

خالد منهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٧٨) المجلد (٦٣) العام [٦٧] ذو الحجة ١٤٢٢ هـ - فبراير / مارس ٢٠٠٢ م



المشكاة .. ومحنة تاريخ



الهندسة الوراثية
نعمة .. ام نقمة ؟!

الأشهر
الجرم .. وجرماتها



الخط العربي
في ذاكرة الغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

دار المنفعة

مجلة شهرية للأداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دار المنهل
للحفاقة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبد القدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م



المركز الرئيسي

جدة الشرقية ص ب ٢٩٢٥

رمز بريدي ٢١٤٦١ بريقيا: المنهل

فاكس: ٢٢٨٨٥٣ - ٦٤٢٧٣٦١

٦٤٢٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧

الرياض ص ب ٢٩٠٠ - ٤٥٤٣٤٣٢

المنهل

نوالحة ١٤٢٣ هـ - فبراير / مارس ٢٠٠٢ م

مقال

ليشهدوا منافع لهم ..



خالط الله تبارك وتعالى نبيه ابراهيم أبا
الأنبياء عليه السلام قائلا : « وأذن في الناس
بالحج باتوا رجلا وعلى كل ضامر يأتين من
كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم - الآية .
وقد جاءت صيغة (منافع) في الآية الكريمة
(منكره) (يضم الميم وفتح النون وتشديد الكاف وفتحها) لتكون شاملة
للمنافع الطبية ..

وهذه المنافع إما شخصية أو عامة .. والعامة في طلائعها رفع مستوى
الامة الإسلامية من طريق استفادتها من هذا التجمع الفريد الذي يتكرر
وجوده في أواخر كل عام هجري منذ صدر الإسلام إلى الآن ، وإلى أن يرث
الله الأرض ومن عليها ..

ومن هذه المنافع المتعددة الوجوه بالنسبة للعالم الإسلامي تفتح
الوعي للمسلمين وإضائة طريق المستقبل لهم ودفع الغوائل من أعداء الإسلام
وتقصيهم عنهم ..

إن دارس مجريات التاريخ الإسلامي يجد فيه اهتمامات بناءة في مواسم
الحج ، كثيرا ما تشمل الججاج الوافدين ، والمواطنين الموفد عليهم معا .. ومن
ثمار تلك الإهتمامات هذا الغيض الطامي من كتب الرحلات التي كان ولا يزال
يقوم بها أفراد من ذوي المستوى الثقافي والأدبي والعلمي العالي يسجلون فيها
بخواطرهم وأراهم ويدونون ملاحظاتهم وانتقاداتهم وثناهم في إطار مشاهداتهم
في الحج للأنواع وفي نطاق سماعهم لختلف الأنباء عن أحداث العالم الإسلامي
، السارة وغير السارة على السواء .

هذا وعلى كثرة ما طالع من المراجع والمصادر التاريخية والإسلامية القديمة
والحديثة فإنني لم أجد فيها حديثا عن «تجمعات» إسلامية ، من غير العلماء والأدباء
في مواسم الحج تقام ، النظر في شؤون المسلمين والكتابة عنها وذلك فيما يتعلق
بشؤون الصناعة تقدما أو تأخرا ، وفي شؤون الزراعة والاجتماع والطب والفك
وعلم الكون والحياة والأحياء والمستحدثات من الفنون والرياضيات والرياضات
والاختراعات وما شاكل ذلك .. وهذا مجال واسع وبإلغ الأهمية بالنسبة لتطور
حياة الامة الإسلامية جمعاء وحياة هذه البلاد خاصة ، فأصحاب هذه
المواهب الحيوية من المسلمين ومن المواطنين مدعوون ومطالبون بسد هذا
الفراغ الكبير في حياة أمتنا الإسلامية العريقة .. على أن يتم ذلك
في هذه البلاد وفي مواسم الحج بها .. لأنها أجمع
لشمل المسلمين .

«عبد القدوس الأنصاري»

ذو الحجة ١٣٩٧ هـ
ديسمبر ١٩٧٧ م

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريال - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم

مصر ١٥٠ قرشاً - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس

عمان ٦٠٠ بييسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس

موريتانيا ١٠٠ أوقية - الأردن ٥٠٠ فلس.

لقطة

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس
الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

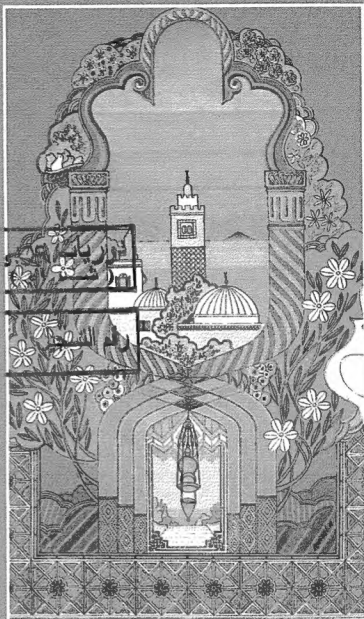
عزيزي القارئ
عزيزتي القارئة

٨٠

هذه المجلة تحمل في العيد من
صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء
الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية
شريفة الرجاء المحافظة عليها.

إشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في
تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب
مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة
لها بالموضوع أو مكانة الكاتب
ويشترط في الاسهامات عناصر
الجدة، العمق والرصانة العلمية،
للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع
التي تراها غير مناسبة للنشر دون
الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره،
كما يرجى الإشارة لمصادر المادة
بصورة واضحة.



جسدة ت: ٦٤٣١١٢٤

قيمة الاشتراك السنوي
للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

الاشتراكات

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة
تليفون : ٦٣٩٦٠٦٠ - فاكس : ٦٣٩٤٠٩٥



- ٤٨ - فن الخط العربي فى ذاكرة الغرب .
معصوم محمد خلف
- ٥٢ - الفنان الفرنسى ايتان دينيه .
غازى عيسى أنعمى
- ٥٨ - بلاغة المقابلة فى كتاب (رسائل الاحزان) .
عبدالله موساوى
- ٦٤ - حنا مينة وجمالية النموذج .
د. محمد الباردي
- ٧٦ - الشاعر الفذ (شعر) .
د. بهاء الدين حسين عزى
- ٧٩ - مجلة السائح العدد (١٣٠)
- ٩٤ - رحلة فى الذاكرة (٥٨) الشيخ محمد متولى الشعراوى .
- ٩٨ - الفروق فى اللغة (١٧) التثدير والاسراف .
د. ياسين الخطيب
- ١٠٠ - أدباء من الخليج العربى (سلطان سعد القحطاني) .
- ١٠٢ - أحماض أدبية (١٧) خطف البصر بأشعة الليزر .
- ١٠٧ - مجلة هن العدد (١٣٣) .
د. أحمد عطية السعودى
- ١٢ - عید الأضحى .. عید الفداء (شعر) .
محمد العلمى
- ١٤ - شعيرة الأمة ،
علاء الدين حسن
- ١٨ - حجاج بيت الله (شعر) .
د. جمال محمد مرسى
- ٢٠ - الأشهر الحرام وحرمتها .
د. عبدالوهاب الفغري
- ٢٤ - عبير الذكريات (شعر) .
محسن عبدالمعطي محمد عبد ربه
- ٢٦ - فى القصص النبوي (٧١) - قصة نوح عليه السلام .
د. عبدالباسط حمودة
- ٣٠ - أمراء الحرم عبر التاريخ (٧) .
السيد ضياء محمد عطار
- ٣٤ - حقائق عن المسجد الاقصى المبارك .
أحمد بن مسفر العتيبي
- ٤٢ - الإسلام والفنون الجميلة (٢) .
د. محمد عمارة
- ٤٦ - المشكاة وحدة تأريخ .
بهاء الدين يوسف غراب

فقرات مسئلة .. فقرات مسئلة .. فقرات مسئلة .. فقرات مسئلة

- ☐ بلاغة المقابلة عند الراعى تقوم على التوفيق بين المؤلف واختلف .
ص ٥٨
- ☐ حنا مينة : الإبداع عنده توليد مستمر لأشكال قديمه، وتنوع على نغمة واحدة .
ص ٦٨
- ☐ تعدد الزوجات ليس ترفاً ومباهاة .. بل
- ☐ الخط العربى منظومة إبداع شغلت أهل الفن طويلاً .
ص ٤٨
- ☐ ناصر الدين (دينيه) أعجب بالشرق، فوجه إبداعه .
ص ٥٢

وكلاء
التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ -
الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشرفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ -
شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبى ٤٠٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

أما بعد

الكل .. ركب موجة الارهاب

تحديد المصطلح ضرورة لازمة .. الكلمة إن لم يحدد مضمونها، والمقصود منها، وتؤطر في إطارها، لاشك تدخل الناس في مآثاتها لا حدود لها ..

«الارهاب» .. هكذا ، كلمة أطلقت ولم تؤطر .. حرب ضروس عرسية تشن على المسلمين اليوم تحت عنوات (الحرب على الإرهاب) ..

وفى فلسطين المحتلة من أكثر من نصف قرن، يشن اليهود حرب إبادة على الشعب الفلسطيني بكامله، تحت مسمى الارهاب ايضا ..

حرب بالطائرات المقاتلة الضخمة، والروحيات والقاذفات والدبابات .. حرب لا تبقى ولا تذر ..

وإذا ما رماهم الفلسطيني بحجر، أو فجر نفسه في ثكنة عسكرية ملأوا الدنيا ضجيجا ضد ما أسموه «الارهاب الفلسطيني» ..

نعم .. هكذا .. (الارهاب الفلسطيني) .. ومن ورأئهم امريكا تتادى بوقف (الارهاب الفلسطيني) ..

وتدخل في الخط المجموعة الأوروبية .. حتى إننا لنسأل اليس في القوم رجل رشيد .. ؟

هكذا .. اصبح المدافع عن نفسه وارضه وعرضه (إرهابيا) .. وذاك المعتصب للارض (له حق الدفاع عن نفسه) .. !!! هكذا !!

كل ذلك ، يحدث تحت مسمى (محااربة الإرهاب) ؟!! .. لكن .. ماتعريف الارهاب في عرف هؤلاء وأولئك .. !!؟

دعونا نقل أن الارهاب هو «اعتداء على حق الآخرين .. وهو عمل إجرامي على الأفراد والجماعات والممتلكات، بغرض إحداث أكبر ضرر على الآخر» ..

إنّ الارهاب هو فساد في الارض .. وبالتالي هو عمل لا يبرره منطق قويم، ولا فهم سليم ولا فطرة سوية ..

إذا سلمنا بهذا التعريف في أدنى صياغاته، إنّه، كيف يُبرّر لاسرائيل ماتقوم به من قتل يومي متعدد لأصحاب الارض في فلسطين، منذ أكثر من خمسين عاما خلت ..

وحتى يومنا هذا .. ؟؟ ..

بأي حق ومنطق تدفع اليهم امريكا بالسلاح والعتاد ..

والمال .. ؟؟ ..

وبأي حق ومنطق تستخدم حق النقض في أي قرار يدين اسرائيل من قبل المجتمع الدولي، أو قرار يمكن ان يوفر حماية

و - لو محدودة - للشعب الفلسطيني .. ؟!! ..

بأي حق ومنطق تعتبر دفاع أهل الأرض المفتتحة والحقوق الضائعة، (إرهابيا) ..

وأي دفاع متاح لهم !! .. انهم يحاولون دفع العدو عنهم بالصجر .. والعدو يطرهم سعيرا .. صباح مساء ..

- المصرد -



غلاف هذه

غلاف الساتح

١٢٨ - التكنولوجيا وآلة التغير في المدينة العربية .

د. محمد صالح العجيلي

١٥٠ - الهندسة الوراثية نعمة ام نقمة .

م. يحيى الصعيبي

١٥٨ - التجربة التكنولوجية في القرن العشرين (٣) .

د. سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن

١٦٢ - شذرات الذهب (٦٨) .

د. أبو حسام

١٦٦ - مسك الختام (شاة أشعب وذئب أهبان) .

د. محمد العيد الخطراوي

١٦٧ - الفهرس السنوي لموضوعات مجلة المنهل العام

١٤٢٢ هـ .

٢ .. فقرات مسئلة .. فقرات مسئلة ..

مسئولية وعدل .

ص ١١٠

□ الطفل نتاج بيئته .. والقياد بيد الأسرة .

ص ١٢٤

□ الهندسة الوراثية بين الايجاب والسلب

تظل هاجس البشرية .

ص ١٥٠

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

الاعلانات:

يراجع بئانها

الأداة ت: ٦٤٣٣١٢٤

١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٢٠ ١٩١ - دار اقرا للتشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ -

الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والطبوعات د.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال

لتوزيع الصحف/ البحرين/ المانة ٥٣٤٥٥٩ .

مشاهد وعظات من كتب الرحلات الحجازية

الشامل لرحلات الحج، فيما وصلنا وفيما علمته - حتى القرن الرابع عشر .

هذا وقد منّ الله تعالى عليّ بقراءة جملة وأقرة من تلك الرحلات، واصطفيت منها مشاهد وعبراً وعظات، وهاتذا أسوق بعضها إلى القراء الكرام، مرتبة بحسب ما يمكنني الترتيب، مضمومة إلى النقاط التالية :

(١) المشاق التي كانت تواجه الحجاج

من المهم أن يطلع الناس اليوم على ما كان يواجه أسلافهم من مشاق عظيمة عندما كانوا يأتون إلى الحرمين، وذلك حتى يذكروا نعمة الله العظيمة عليهم بتسهيل الحج في هذا الزمان، وليعلموا مقدار عظم الإيمان الذي كان يحرك أسلافهم إلى الديار المقدسة متحملين من المشاق الهائلة ما يفوق قدراتهم على الحقيقة لكنه الشوق والإيمان .

فهذا القاسم بن يوسف التجيبي يقول في كتابه «المختار من الرحلات الحجازية» واصفاً المشاق التي يواجهها الحجاج راكبو البحر :

« قد دخلنا بعد مضي ساعة من يومنا مرسى بمقربة من عيذاب المذكورة يدعى بالجدير، ومن هذا المرسى يحرم الآن أكثر القاصدين إلى المجاز الشريف من هذا الطريق، وفي الإحرام منه غرر عظيم وخطر، لما يتوقع من عدم مساعدة الريح لمن يحرم منه،

من جملة النعم الجليلة، والمواهب الجميلة أن يسّر الله الطريق إلى الحج في هذا الزمان بعد أن كان رحلة صعبة محقوفة بالمخاطر العظيمة، مليئة بالعقبات، كثيرة التبعات، من دخل الحجاز فهو في حكم المفقود، ومن خرج منه فهو مولود، ليس على سبيل المبالغة والتهويل بل ما قيل فيه هو أقل من القليل .

ويكفي تصويراً لتلك المخاطر أن عدداً من علماء المسلمين أفتى بسقوط الحج عن المسلمين الذين يمرّون بتلك البوادي المهلكة والأعزاب المفسدة، حيث الطريق غير مأمون والساالك فيه أقرب إلى الهلاك منه إلى سلامة الوصول .

وقد سطر كثير من علماء الحجاج ما وجدوه في تلك المساك، ووصفوا ما وقفوا عليه من الصعوبات والمهاك، وقصوا قصصاً وروا أحداثاً جدير بجيلنا أن يطلع عليها، ويتذكر نعمة الله - تعالى - عليه بتيسير المناسك وسبيلها، وأصبح من كان يأتي في بضعة شهور محقوفة بالمخاطر يأتي في بضع ساعات محقوفة بالنعيم واللذات .

وهؤلاء العلماء الذين سطوروا هذه الرحلات كان أكثرهم أدباء فجاءت عباراتهم رقيقة، جزلة رصينة، فسطوروا تلك الرحلات في أسلوب قصصي جذاب معجب، ولم تنقصهم الدقة ولا الأمانة العلمية فيما سطوروه، فصارت تلك الرحلات سجلاً كاملاً لأحوال الأمة الإسلامية منذ القرن السادس - بداية التسطير



بقلم : د . محمد عقيل موسى الشريف

أستاذ متعاون بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة - السعودية

ويعد استقرارنا فيه، ذكر لنا ربّان مركبتنا، وكان مقدماً في صناعته ماهراً فيها أن سلامتنا كانت مما يعد من النادر، وأن المركب قد اختلت ألواحهُ وتُسَرهُ (٢)، وأن السفر لا يمكن فيه البتة .

فأرسلنا بهذا المرسى، ولم نر قط مرسى أشد توحشاً منه، كان قريب القعر، بعيداً من البر، بقي بين المركب وبين البر نحو نصف ميل، وكان قعره طيناً، فكان أحداً إذا نزل إليه كابد مشقة في نزوله، وساخت رجلاه في الطين إلى قرب ركبتيه، ولا يكاد أن يصل إلى البر إلا بشق النفس، فإذا وصل إلى البر لم يجد ماء ولا ظلاً ولا عمارة ولا حيواناً يدب على وجه الأرض، فاقمنا به أياماً أعظم الله بها الأجر ... إلخ ما قاله - رحمه الله تعالى .

قال الوردستاني الجزائري في كتابه «نزهة الأنظار» واصفاً ما يجري على الحجاج في البوادي المهلكة والصحاري المقفرة من شذائذ ومصائب :

« ثم سرنا في تلك المضائق إلى الوادي المسمى الآن بوادي العقيق، بل تسميته بوادي العقوق أولى لتلصص أعرابه وجراتهم على الناس بالسرقة .

ثم سرنا كذلك إلى أن وصلنا إلى النبط بين الظهر والعصر، وفيه أبار أربع محكمة البناء بالبحر والصخر، وماؤها عذب حلو طيب غزير لا ينقطع مدده .

وفي هذا المنزل تتشرح النفس، وترحم فيه؛ لطيب مائه وحلاوة مكانه، وطلاوة منظره، وقربه من الأساكين الشريفة والمآثر الطيبة كالينابيع ونحوه .

ثم ارتحلنا منه أيضاً ليلاً - أي آخره - .

ثم سرنا كذلك إلى أن دخلنا وادي النار، وهذا الوادي قد وافق فيه الاسم المسمى؛ إذ لا يخلو من

فيطول زمان إحرامه، فيلحقه الحرج بذلك، ولقد بلغني أن بعض المحرمين من أقام محرماً نحو ستة .

ثم لجئنا من الجدير ... فلما قاربنا التوسط بين بر الحجاز الشريف وبر عيذاب الوحش، عصفت علينا الريح، وجاء منها ما أشقينا به على التلف، وعظم الموج حتى حال بيننا وبين المركب المذكور، فلم نعلم من حيث ذهب، وأظلم البحر، واشتد سواده، وأرانا أهواله الفرعونية، سلط الله عليه اليبس، وأخافنا ما شاهدناه من الضال، وأجمع رأي الملاحين وريائهم على أن الرجوع إلى بر عيذاب الوحش أرجأ سلامتنا، فكررنا راجعين طائعين وجلين، فيسر الله تعالى علينا، وبخلنا مرسى من مراسي بر عيذاب يعرف بالواسعة، فلم ينتفع بقال اسمه، وضائق علينا فيه الأرض بما رحبت، ولم يكن به ماء، ولا ظل، ولا أنس، ولا وحش، ولا إنس، فاقمنا فيه يوماً وبعض آخر .

ثم أقلعنا منه فلما توسطنا الطريق مال أيضاً علينا البحر أشد من المرة الأولى، وعصفت الريح عصفواً شديداً، وجاء منها ما لا قيل لأحد به، وعابنا الموت عياناً، وأيقننا بالتلف لا محالة، وضج الناس بالصياح والبيكاء والتضرع إلى الله تبارك وتعالى بالدعاء، وبهت الملاحون من شدة الهول، وهموا بإسلام (١) المركب، وأن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة، وأجمع رأي الجميع على أن الرجوع إلى بر عيذاب الوحش أرجأ لنا أيضاً، فكررنا راجعين عوداً بعد بدء خائفين، وعلى الله تعالى في سلامتنا متوكلين، وقد بلغت القلوب الحناجر، وأحاط بنا الموج من كل جهة ومكان، ثم تداركنا الله تعالى بلطفه، وبخلنا مرسى من مراسي بر عيذاب المذكورة على مقربة من جزيرة سواكن يدعى بالمربوطة،

لنخرجها من الرمل، نرفعها طوراً بالآلة الرافعة وطوراً
بأيدينا، ونزيع الرمال من طريقها، ثم نعد لها ألواحاً
من الخشب لتمشي عليها، ونجرها بالحبال، وندفعها
باليدي، حتى إذا سال منا العرق، وقال منا التعب
مشيت على الألواح حتى إذا وصلت إلى نهايتها عادت
فغاصت في الرمل إلى الأبواب، فأيستنا وبلغ منا
الجهد، وهذنا الجوع والتعب، والحر والعطش، فالتقينا
أنفسنا على الرمل صامتين مطرقتين، حيارى قانطين .
وتلفت فلم أر إلا الرمال المحرقة تمتد إلى حيث لا
يدرك البصر، متشابهة المناظر. متماثلة المشاهد :

في مَهْمَه (٣) تشابهت أرجاسه كان لون أرضه سماؤه

فرحت أفكر في هذه الأيام العشرين، وما قاسينا
فيها من ألوان المكاره، وأتصور الغد الرهيب الذي ينفذ
فيه ماؤنا وزاننا ويلفحنا فيه سموم الحجاز وشمسه
المحرقة فارتجت في الرب .

وجعلت أحد النظر في هذا الأفق الرحيب لعلي
أرى قرية أو خياماً فلا أرى إلا لمع السراب، ولا أبصر
إلا هذه الجبال التي طلعت علينا أمس، فاستبشرنا بها
وابتهجنا، وظنناها قريبة منا، فسرنا مئة وعشرين كيلاً
وهي قيد أبصارنا، تلوح لنا من بعيد كأنها بحر معلق
خيال الأفق ضائع بين السماء والأرض .

(٢) الخشوع في المشاعر والشوق إليها وإلى المدينة النبوية المنورة

بينت أكثر كتب الرحلات ما يجري على الحجاج
في المشاعر من خشوع وما يعترتهم من انكسار
وخضوع عند رؤية تلك المشاهد العظام، وبينت أيضاً
العاطفة التي كانت تتأجج في صدور الحجاج، وكيف
كانوا على أتم استعداد لبيع أرواحهم وأموالهم في

شدة تقع للحاج فيه من عطش وموت ومرض، وهو واد
كبير، ولا ماء هناك من التبط إلى ينبع، فإذا قبح
الهواء مع الحرارة مات من الناس ألوف مؤلفة في
أسرع مدة، فيأخذ الرجل الماء فلا يضعه من يده حتى
يموت، وقد صار ذلك في رجوعنا .

نعم اشتد بنا العطش أنا وجماعة من الفضلاء
كثيراً قرب وصولنا إلى التبط، وإذا بأعرابي أتانا بقربة
ماء عذب، وأظنه من ماء المطر بارد كأنه من ماء الثلج،
وسقى جميعنا لوجه الله العظيم، ولو طلب الدراهم
لأخذ منا كثيراً؛ لقرب الموت والهلاك منا، فاستغفرنا
حال الرجل وما صدر منه إلينا من غير طلب شيء ولو
دعوة خير؛ إذ عادة الأعراب لا يعطون شربة الماء إلا
بفلوس كثيرة - لا سيما عند العطش - ونحن -
والحمد لله - قد وقع بنا فضل عظيم وجود كريم .

أما الرمال فقد كانت أكبر عائق يعوق أوائل
السيارات التي خاضت في تلك البراري الموحشة، وهذا
الشيخ على الطنطاوي - رحمه الله تعالى - يبين تلك
المصاعب في رحلته « إلى أرض النبوة » فيقول :

« هذه الرمال آفة السيارة وعلتها التي لا دواء لها؛
فإنها للينها وتهافتها لا تثبت تحت دواليب السيارة،
فتغوص فيها كما تغوص في الماء، وتلبث فيها كأنما
دفنت وهي في الحياة .

ولقد لقينا من هذه الرملة عناء ثقل في وصفه
مبالغات الشعراء، غرقت فيها السيارات، ومالها لا
تغرق وقد قلت لك إنها رملة كالبحر، أفتمشي سيارة
على وجه البحر؟ ولقد لبثنا إلى الليل نزيع الرمل من
حول السيارة، ونرفعها رفعاً ثم ندفعها بعواتقنا دفعا،
ثم نجرها بالحبال، حتى إذا قلنا سارت عادت
فغاصت، فلم نقطع الرملة حتى تقطعت أعمارنا .

ويقول أيضاً في موضع آخر :
« مضت ساعة كاملة ونحن نعالج السيارة

« فلما قربنا من التمتع ولاحت لنا المساجد التي هنالك وهي التي تنسبها الناس اليوم لعائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - صرخ الناس بالتلبية والدعاء، وارتفعت الأصوات بالتضرع والبكاء، وعابنا من الخشوع والخضوع ما كاد يذيب قلوبنا، ويذهب عقولنا وألباننا، وكان معنا في القافلة شخص فاضل من أهل الخير والسمت الحسن - كانوا يدعونه بالفقيه حسن - فلما قربنا من التمتع أخذته حال وخشوع، وعلته رقة وخضوع، وبكى وأبكى، ثم غشي عليه، وكاد يذهب عقله، فسرى حاله للحاضرين، وزادهم في شوقهم وقلقهم لرؤية البيت الشريف - زاده الله تشريقاً وتعظيماً ومهابة وتكريماً - » .

وبلغنا أن الشبلي - رضي الله عنه - لما وصل إلى مكة شرفها الله تعالى جعل يقول :

أبطحوا مكة هذا الذي

أراه عياناً وهذا أنا

ثم غشي عليه يرحمه الله ، ثم استمر السير، وزاد الخشوع، وعظم الشهيق والبكاء، وعلت الأصوات بالتلبية والدعاء » .

وهذا ابن جبير الأندلسي - رحمه الله تعالى - يقول في رحلته «تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار» واصفاً الخشوع العظيم الذي يخالط الحجاج في عرفة :

« فلما جُمع بين الظهر والعصر يوم الجمعة المذكور وقف الناس خاشعين باكين، وإلى الله عز وجل في الرحمة متضرعين، والتكبير قد علا، وضجيج الناس بالدعاء قد ارتفع فما رُئي يوم أكثر مدامع، ولا قلوباً خواشع، ولا أعناقاً لهيبة الله خواشع من ذلك اليوم .. »

ويقول ابن جبير الأندلسي - أيضاً - يصف حال

سبيل رؤية مرابع الطهر والقداسة، ومغاني السعادة والسيادة، وتصور كيف كان الحاج ينسى كل تعب عند رؤية مكة أو المدينة، وكيف كان يقبل على تلك القدسات باكياً مستقراً، متطهراً تائباً معتبراً، مما كان له أعظم الأثر في بقاء سلطان الدين في النفوس.

ويغل ابن بطوطة هذا الشوق والخشوع المصاحبين للحاج بأنه عمل إلهي حتى يخف على الناس ما يجدونه من مشاق فلا ينقطعون عن الديار الحجازية، فيقول :

« ومن عجائب صنع الله تعالى أنه طبع القلوب على النزوع إلى هذه المشاهد المنيفة، والشوق إلى المثل بمعايها الشريفة، وجعل حبها متمكناً في القلوب، فلا يحلها أحد إلا أخذت بمجامع قلبه، ولا يفارقها إلا أسفاً لفراقها، متولهاً لبعاده عنها، شديد الحنين إليها، ناولاً لتكرار الوفاة عليها، فأرضها المباركة نصب الأعين، ومحبتها حشو القلوب، حكماً من الله البالغة، وتصديقاً لدعوة خليله، عليه السلام .

والشوق يحضرها وهي نائية، ويمثلها وهي غائبة، ويهون على قاصدها ما يلقاه من المشاق ويعانيه من العناء، وكم من ضعيف يرى الموت عياناً نونها، ويشاهد التلف في طريقها، فإذا جمع الله بها شمله تلقاها مسروراً مستبشراً، كأنه لم يذق لها مرارة ولا كابد محنة ولا نصباً، إنه لأمر إلهي، وصنع رباني، ودلالة لا يشوبها لبس، ولا تغشاها شبهة، ولا يطرقتها تمويه، وتعز في بصيرة المستبصرين، وتبدو في فكرة المتفكرين، ومن رزقه الله تعالى الطول بتلك الأرجاء، والمثل بذلك الفناء، فقد أنعم الله عليه النعمة الكبرى، وخوله خير الدارين : الدنيا والآخرة، فحق عليه أن يكثر الشكر على ما خوله، ويديم الحمد على ما أولاه .

هذا القاسم بن يوسف التجيبي يذكر عظم شوق الحجاج إلى المشاعر في كتابه «مستفاد الرحلة والاغتراب» فيقول :

يذكره أو يُذَكِّر به من الماثور، لا تسَل أيها القارئ عن شيء من ذلك، ولا عن غيـره مما يكون عند أداء المتاسك، فمن ذاق عرف، ومن حُرِم انحرَف .

أما الخشوع في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فقد جرى ذكره على لسان كثير من الحجاج، وبينوا صعوبة وداع النبي صلى الله عليه وسلم والحال التي تعترضهم أثناء ذلك، فهذا ابن جبير الأندلسي يقول :

« وفي عشي ذلك اليوم المبارك كان وداعنا للروضة المباركة والتربة المقدسة، فها له وداعاً عجيباً ذهلت له النفوس ارتياحاً حتى طارت شعاعاً، واستششرت به النفوس التَّباعَ حَتَّى ذابت انصداعاً؛ وما ظنُّك بموقف يُناجَى بالتوديع فيه سيِّد الأولين والآخرين، وخاتم النبيِّين، ورسول رب العالمين؟ إنَّه لموقف تنفطر له الأقدسة، وتطيش به الأبواب الثابتة المتَّدة، فوا أسفاه وا أسفاه، كلُّ يوبح لديه بأشواقه، ولا يجد بُدَّ من فراقه، فما يستطيع إلى الصبر سبيلاً، ولا تسمع في هول ذلك المقام إلا رنةً وعويلاً، وكلُّ بلسان الحال ينشد :

**محبَّتِي تَقْتَضِي مُقامي
وحالتي تَقْتَضِي الرحيلَ »**

وهذا الورثيلاني الجزائري يقول في رحلته « نزهة الأناظر » :

« وعظم عليّ أمر التوديع حتى علا صوتي وارتفع، وكاد أمرني إلى العويل، بل أنوح عليه نباح التكلّي العديمة لولدها، وكيف لا وهو أن فراقه أعظم المصائب، ولم انفصل عنه إلا بصبر عظيم وهول جسيم وحرز شديد فلم أملك نفسي عند ذلك فعضمت المصيبة وعز الصبر، غير أنني تسليت بانتقاله من دار الدنيا وفراق أصحابه ... »

الحجاج داخل الحرم فيقول في رحلته : « تذكرة بالأخبار، شارحاً حال ساكني بعض السراة إذا دخلوا الحرم :

« القوم عرب صُرْحَاء فُصْحَاء جُفَاء أصْحَاء، لم تُعْذَم الرقة الحَضْرِيَّة، ولا هذبتهم السيرة المدنية، ولا سددت مقاصدهم السُنَن الشرعية، فلا تجد لديهم من أعمال العبادات سوى صدق النية، فهم إذا طافوا بالكعبة المقدسة يتطارحون عليها تطارُح البُئين على الأم المشفقة، لاثنتين بجوارها، مُعلِّقين بأسئارها، فحيثما علقت أيديهم منها تمزق لشدة اجتذابهم لها وانكبابهم عليها، وفي أثناء ذلك تصدع ألسنتهم بأدعية تتصدع لها القلوب، وتتفجّر لها الأعين الجوامد فتَصُوبُ، فتري الناس حولهم باسطي أيديهم، مُؤمِّنين على أدعيتهم، مُتلقِّين لها من ألسنتهم، على أنهم طول مُقامهم لا يتمكن معهم طوافٌ، ولا يوجد سبيل إلى استلام الحجر .

وهذا الشيخ محمد رشيد رضا يصف في رحلته الحاج إذا دخل مكة فيقول :

« حتى إذا اكتحلت عينه برؤية الكعبة العظيمة، وراع القلب ما جلبها من المهابة والعظمة تذكر أنها أول بيت وضع للناس مباركاً وهدي للعالمين، وخصه الله بالآيات البينات الباقية على بقايا الأيام والسنين، ورأى أمامها مقام إبراهيم عليه وعلى نبينا وألهمنا الصلاة والسلام، ووجد نفسه حيث كان بدءَ بدين الله الإسلام وحيث الختام، فإذا دنا من مهبط الروح الأمين ومطاف الملائكة والنبيين، والصديقين والشهداء والصالحين فلا تسَل ثم عن الدموع كيف تنسكب، وعن الضلوع كيف تضطرب، وعن الأعناق كيف تخضع، وعن القلوب كيف تخشع، ولا عن وجدان الإيمان كيف يتألق نوره في الجنان، ويفيض بيانه على اللسان، فيحركه بما يلم من الثناء، وما يشعر بالحاجة إليه من الدعاء، وما

وهذا الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله تعالى - يصف ما جرى له في المدينة في رحلته «إلى أرض النبوة» فيقول :

« خفف قلبي خفقاناً شديداً ، وخالطني شعور بالهيبة من دخول المدينة والسلام على رسول (الله) صلى الله عليه وسلم) على مافي نفسي من القرح والسرور ، وجعلت أتأمل المدينة وقد دوننا منها حتى لقد كدنا نصير بين بيوتها ، وأحدق بالقبة وتحتها أفضل من مشى على الأرض ، وقد شخص بصري ، وكدت لا أرى ما كان حولي لفرط ما أحس من جيشان العواطف في نفسي ، حتى غامت المشاهد في عيني ، وتداخلت كأنها صورة يضطرب بها الماء ، وأحسست كأنني قد خرجت من نفسي ، وانفصلت عن حاضري ، وذهبت أعيش في عالم طلق لا أثر فيه لقيود الزمان والمكان .

ونظرت فإذا السيارات أمام باب السلام ، فاشرايت الأعناق ، ويزقت الأبصار ، وبمعت العيون ، وخفقت القلوب ، وتعالى الهتاف ونزلنا ندخل مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكانت حال لا سبيل إلى وصفها قط ، اللهم اجعل لنا إلى تلك البقاع التي شرقتها بمحمد معاداً » .

(٢) الأخوة الإيمانية

في كتب الرحلات سطرت صور جميلة للإخاء الإيماني تربو في أثرها على كل ما أنتجته قرائع البشر وأفكارهم ، ونظمهم وقوانينهم وأحوالهم ، ويتبين هذا في عدة حوادث أصطفي منها اثنتان واحدة منها جرت بين الدكتور محمد حسين هيكل - يرحمه الله تعالى - عندما حج سنة ١٩٣٥ وبين أحد الأوروبيين ، وأخرى للشيخ علي الطنطاوي رحمه الله .

يقول محمد حسين هيكل :

« وخرجت من قبتي أتعرف ما حولي ، وأشهد

صنيع الناس يومهم هذا وقد جاءوا إلى الله حاجين متجربين ، وإني لأثقت بعنة ويسرة إذ وقع بصري على رجل لا شيء في سيماء يدل على أنه من أبناء الشرق ، بل هو أدنى إلى أن يكون من أبناء الشمال في أوروبا بطول قامته النحيفة وببشرته البياض المثيرة حمرة وعينه الزرقاوين وشعره الأصفر ، وأخبرني بعض أهل مكة ممن حوله أنه هولندي يقيم بجاوة ، وأنه جاء يؤدي فريضته ، ودلقت إليه وألقيت عليه التحية بالفرنسية ، وتحدثت إليه بها ، فدللتني لهجته على أنه ليس من أهل هذه اللغة وأن أغلب أمره أن يكون إنكليزياً ، وسألت عن جنسيته فعلمت أنه أرلندي وأنه أسلم من سنوات خمس ، وأنه جاء ليؤدي الفريضة ، أخبرني أنه في إقامته بسرواك (٤) بين المسلمين منذ أكثر من خمس عشرة سنة لم تطلب نفسه بما دون التعمق في درس حالهم الاجتماعية والأخلاقية ، والبحث - بوصف كونه أرلندياً - عن الأسباب التي أدت بهم إلى الخضوع لغيرهم ، وكانت عقيدتهم الدينية بعض ما عني بدراسته ، ولم يلبث حين بدأ هذه الدراسة أن شعر بحافز قوي يحفزه للإمعان فيها ولقراءة ما كتب في اللغات المختلفة عنها وللتزويد من ذلك ولطول التفكير فيه ، ولقد أخذت بساطة العقيدة الإسلامية بمجامع قلبه ، ووصلت من تفكيره إلى أعماقه وجعلته يؤمن بحقيقة هذا الدين الذي نزل على النبي العربي وحيضارة الأخوة والإباء التي يدعو إليها . ويؤمن بأن الحضارة التي تنتشر أوروبا اليوم لواها في العالم باسم العلم ليست من العلم في شيء ، وإنما هي اللغة التي صبها الله على العالم؛ فهذه الحضارة تتلخص عنده في إخراج الناس من بساطتهم الفطرية التي تكفل لهم سلامة التفكير وسمو الغاية ، ليخضعوا لأهوائهم وشهواتهم المادية فتضعف نفوسهم وينزلوا ، وأية صلة بين سعادة الرجل أو المرأة وبين منسوجات

قوتهم وأدركوا قيمة حياتهم الروحية وعظمتها لاستطاعوا تجديد نشاط الإنسانية لكنهم متركبون إلى جهالتهم ليسهل خداعهم واستغلالهم، قانعين لذلك بضعفهم وراضين عن هوانهم .

وقال الشيخ علي الطنطاوي مبنياً أهمية الأخوة الإيمانية وأثر الحج في تعميقها، وذلك في مقالته «من تكريرات الحج»، وذلك بعد حجته الأولى بسنوات طويلة، فقال رحمه الله تعالى :

« ولقد كان في الفندق طائفة من صفوة الحجاج، أذكر منهم الأستاذ الشيخ مخلوف مفتي مصر الأسبق، والأستاذ الشيخ التبيسي نائب رئيس جمعية العلماء في الجزائر، وشيخ الإسلام في تونس، والدكتور ظفر أنصاري من كبار القائمين بالعمل الإسلامي في باكستان، والسيد عبدالرشيد من رجال التبليغ في الهند، وممثل سيلان السياسي في باكستان، وعم ملك الأفغان، والقائد العام فيها، وحجاج من جنوب إفريقيا، وكان فيه البعثة العسكرية المصرية .

وكانت أيامنا في الفندق مجالس بحث ونظر في مسائل العلم، وفي أوضاع المسلمين، وفيما ينفع الناس .

ولم يمر يومان، حتى صرنا جيمعاً من جاء من الشرق، ومن قدم من الغرب، والعربي والهندي والأفغاني، صرنا إخواناً في أسرة واحدة، كأننا ما افترقنا من قبل أبداً، وهذا أثر الرابطة الإسلامية، وهي رابطة عجيبة، وهي أقوى من وشائج الدم واللغة والوطن، والمرء قد يخاصم أخاه ابن أمه وأبيه - وهم في روابط الدم واللغة والوطن، أقرب مما بين الأخ وأخيه ؟

إن المرء ليخاصم أخاه الشقيق، إن لم يكن دينه

(لانكشير) أو حرائر (ليون) أو عطور (باريس) أو ما إلى ذلك من مواد الزينة والترف، وهذه مع ذلك هي مظاهر الحضارة الأوروبية وهي السبب الحقيقي الذي تغزو أوروبا العالم من أجله، إنما الصلة الحقيقية بين هذه المنسوجات والحرائر والعطور وبين الأموال التي تريد أوروبا استنزافها من الشعوب هي إقناعها كذباً بأن الحضارة في الرداء والترف والزينة .

أما الإسلام فيدعو إلى معنى هو أسمى المعاني، إلى نيل كل عبودية لغير الله، وإلى الاستهانة بالموت في سبيل الله وإلى البر والتقوى وإلى الرحمة والمغفرة، وهو يدعو إلى ذلك كله في بساطة وقوة لا حاجة بهما إلى منسوجات أو حرائر أو عطور، ولو أن المسلمين أدركوا سر الإسلام إدراكاً عميقاً لهان عندهم ما يعرضه الغرب عليهم، ولما خضعوا لحكم الغرب ولا ذلوا لسلطانته؛ فدينهم يربياً بمن يؤمن به عن الخضوع لغير الله ويجعل الموت في سبيل التخلص من هذا الخضوع موتاً في سبيل الله يجزى صاحبه الجزاء الأوفى .

وأعجبت بحديث صاحبي أيما إعجاب، لأنه صادف موضع العقيدة متي؛ فسألت عما جاء به إلى الحجاج وعن رأيه في حكمة الحج، وكان جوابه على سؤالي كحديث الأول حصافة وبقية، قال : إنما فرض الإسلام الحج ليُشهد المسلم الله على نفسه أمام ملا إخوانه المؤمنين جميعاً أنه نذ ما اختلط بحياته قبل الحج من ذنوب وأوزار، والله يغفر له ما صدق التوبة، ليؤكد ميلاداً روحياً جديداً يكون بعده خيراً مما كان قبله من علم وبصيرة .

وعبنا إلى حديث طويل تكلم أثناءه صاحبي عن المسلمين وعدم إدراكهم قوتهم العظيمة بسبب ما تخدعهم به مزاعم الغرب، فهؤلاء المسلمون يزيدون في آسيا وحدها على مائتي مليون؛ ولو أنهم أدركوا مبلغ

من دينه، ومذهب من مذهب، فكيف بغيره ؟

فقولوا هذا لهؤلاء الببغاوات الذين لا يفتأون
يردون **مقالة الأحق الأول :**

« الدين لله والوطن للجميع » والذين يفصلون
رابطة القومية واللسان على رابطة الإسلام .

هذه التي سقتها كانت مشاهد وعبراً وعظات
منقاة، وهي كثيرة جداً، وأختم بنكر بعض
الجوانب المهمة التي تحتويها هذه الكتب إضافة
إلى ما سبق :

أولاً : وصف كثير من هذه الكتب الحالة الدينية
لأهل الحجاز، وما هم عليه من قرب أو بعد عن الله -
تعالى - وما يسود عباداتهم من الصفاء أو البعد، وما
هم عليه من حرص على أداء التكاليف الشرعية أو
تفريط فيها، وفي هذه فائدة كبيرة في معرفة أثر الدين
في النفوس ومدى رسوخه فيها، وفيه فائدة أخرى
تتمثل في التنبع لما أصاب العالم الإسلامي - ممثلاً
في قلبه - الحجاز - من الوهن والضعف الديني الذي
أثر على مسيرته بالكامل، وسمح للاستخراب -
الاستعمار - العالمي أن يلج دياره ويعمل معاولة فيها
هدماً وتخريباً .

ثانياً : في بعض تلك الكتب وصف دقيق كامل
للهيئة الاجتماعية: فعادات السكان وطبيعتهم من
حاضرة وبادية مسطرة، وكذلك هيتهم ولباسهم،
وسلوكلهم، وطعامهم وشرابهم، وحفلاتهم ونزاهم،
وحزنهم وفرحهم، ورغبتهم ورهبتهم، وحال نساكلهم
وأطفالهم كل ذلك مسطور على ما يحب ويشتهي
الباحث الاجتماعي والمصلح الداعي .

ثالثاً : وقد جاءت هذه الرحلات سجلاً كاملاً لما
عليه كثير من ساسة الحجاز آنذاك من ظلم للحجاج،
وأخذهم بفادح الضرائب، وكيف كان الحكام يسوسون

العامة إلى آخر الشؤون السياسية المعروفة، وقد
تعرضت - أيضاً - إلى حال الدول المسيطرة على
الحجاز من أيوبيين ومماليك وعثمانيين، ومن ثم صورت
حالة العثمانيين وتدهورهم إلى ضعف ثم انهيار
تصويراً موجزاً مقتضباً لكنه معبر كافٍ
رابعاً : تعرض كثير من تلك الكتب - فيما تعرضت
إليه - إلى الحالة الاقتصادية عند الحجازيين : غناهم
أو فقرهم ، رفاهيتهم أو الشدة التي كانوا يعالجونها،
استقلالهم عن الحجاج أو اعتمادهم عليهم إلخ .

خامساً : في كثير من تلك الكتب مسائل متنوعة
شرعية، ولطائف أدبية، وحكايات متنوعة تستحق بها
أن تستحوذ على اهتمام القارئ وتكون من المرصديات
التي يعدها لفراغه ويتسلى بالاطلاع عليها، وتبتهج
روحه بالنظر فيها، ويمكن أن تعد قبضاً للناشئة
والكبار يطلعون عليها ويعتبرون ويتفكحون .

سادساً : تمثل تلك الكتب أهمية عامة للمسلمين
وأخرى خاصة بالحجازيين: فهي تحكي لهم كيف كانت
ربوعهم وديارهم، وكيف عاش أبائهم وأجدادهم،
وتصل حاضرهم بماضيهم، وتشبع فيهم الرغبة إلى
معرفة التاريخ الحجازي وأصالته وعراقته، فله كم
ذكرت من الربوع والمفاني، والحواضر والبوادي، وكم
أطنبت في وصف معاهد القدس وأماكن الطهر، وكم
أشادت بالعادات الحميدة والتقاليد الكريمة، التي قرط
فيها أكثر الناس اليوم وهجروها، وملتئم بعد أن
ملأها .

الهوامش :

- ١ - أي ترك .
- ٢ - أي مساميره .
- ٣ - أي صحراء .

عيد الأضحى .. عيد الفداء

حيى الفداء، وحيى (إبراهيم)

والأنبياء، وزدهموا تعظيماً

ما ناله إيذاء قوم أسرفوا،

بل زاد في توحيده تصميماً

هزأوا به والهزء شر بلاة

والكفر أحرى أن يكون ملوماً

لمس الهدى في وحدة وتأمل

ومضى يسائل في السماء نجوماً

متبرئاً من (آزر) اللفظ الذي

أمسى ظلوماً، مشركاً، وغشوماً

إيمانه اطمئننان قلب صابر

رضى القضاء وأمره المحتوماً

من فضيل ريك صارت النار التي

قد زج فيها، جنة ونعيماً

والكفر مما قد رأى متخاذل

جتماً، تحول في الجحيم هشيماً

وتنكر الرسل الكرام أباهم

من كان موفور الجلال وسيماً

لا يُعرف الإسلام إلا باسمه

أعظم به رمزاً له مرقوماً

إننا لنؤمن بالمقيدة قد سمت

في الأنبياء، وقُدمت تقديماً

بعض لبعض، قد تواصلوا بينهم

إذ أصبحوا هذا لذاك حميماً

حملوا الرسالة والأمانة واتقوا

رباً كريماً، بالعباد رحيماً

وينوا من التوحيد صرحاً شامخاً

للعالمين، وباشروا التعليماً

لم يبق للشيطان منطلق، فقد

أمسى طريداً، في العذاب رجيماً

رسل السماء الأصفياء تواتروا

ليقوموا أخلاقتنا تقويماً

حَتَّى أَتَى بِالْبَيِّنَاتِ مُحَمَّدٌ

و(المسجد الأقصى) يعاف (صهاينا)

والتور بالقرآن صار عميما

قد حرقوه وأثخنوه رجوما

والله في حفظ رعاه، لأنه

والله قيوم غير مبصر

قد عاش فياض الحنان، يتيما

قد كان بالجرح الأليم عليما

في كل شيء نرة من حُبِّه

وهو الثراء لمن يكون عديما

للعمبة، البيت الحرام، قلونا

إذ بلغ الوحي الذي قد جاء

تصفو، وتُظهر شوقها المكتوما

من ربه، والعبء كان جسيما

طاف العباد بها، وصلوا خُشْعاً

فتوطد الحق المبين، وأشرقت

وترنموا بتلاوة ترنيما

شمس تزيل عن الوجود وجوما

وتجربوا عن كل شيء عنديما

وتوارت الأوثان وهي كسيرة

جاءوا، وقد نالوا الثواب كريما

وتخاذل الشرك اللعين لزوما

لُبُّوا نداء الله بالقلب الذي

في زكريات الأنبياء هداية

سمع الأذان في السماء رخيما

صقلت قلوبا بيننا وفهوما

يدعو جميع المسلمين لدينهم

هم منبوتنا بالثال، وأدعوا

ليزيد شعلهموبه تدعيما

سراً يفوق ثقافة وعلوما

وبروضة المختار أحمد، كلهم

عرفوا الحقيقة في الشرائع رحبة

صلوا عليه، وسلموا تسليما

والله كان مدبرا وحكيما

شجيرة الأمة

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} - ومن أوضح العبادات أثراً في حياة المسلمين: فريضة الحج التي تعدُّ طاقةً روحية تملأ القلب حباً لله ورسوله.

قال تعالى: {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدي للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً. وله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين}. فالكعبة هي أول بيت وضعه الله لعبادته في الأرض، وجعله مثابة للناس ليؤدبوا مناسك الحج عند ذلك البيت الذي طهره الله للطائفتين والعاكفين والركم السجود. والكعبة هي قبلة المسلمين يتجهون إليها بقلوبهم ووجوههم أينما كانوا. ولقد تولى إبراهيم مع ولده اسماعيل عليهما السلام رفع قواعد هذا البيت، فيما جاء جبريل بالحجر الأسود، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقبله ويقول: «هنا تسكب العبرات». وسكب العبرات يُذهب العثرات.

وحدث في بعض السنين أن تهدمت جدران الكعبة، ولما أرادت قريش إعادة بنائها ووصلت إلى

موضع الحجر الأسود، تنازعوا فيمن يكون له شرف ذلك، فقال أحدهم: تحكم في خلافنا أول داخل علينا. ولأمر قدره الله سبحانه وتعالى وقضاه كان أول داخل عليهم نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، فبسط عليه الصلاة والسلام رداءه، ووضع الحجر في وسطه، وطلب من زعماء القبائل أن يأخذوا بأطراف الرداء، فلما قاربوا مكان الحجر من الكعبة، تناوله عليه الصلاة والسلام بيده الشريفة وأعادته إلى مكانه. وبقيت نسبة البيت إلى الله قائمة على مر الزمن. ألم يقل عبد المطلب لأبره: أما الإبل فهي لي، وأما البيت فله رب يحمي؟

ولقد شُرع الحج لإداب دينية وتربوية، وحكم اجتماعية، ومعان روحية، وذلك حين ينفق المؤمن ماله ويفارق أهله، لتكتحل عيناه بمكة وآثارها، وبالمدينة وأنوارها.

وعندما ينوي الإنسان أداء هذه الفريضة، وحتى يعود كيوم ولدته أمه، لابد له من توبة صادقة، ورد الحقوق والأمانات، فالحج شجيرة الأمة، يلتقي فيه المسلمون على تبايع ديارهم، واختلاف ألسنتهم وألوانهم، يتعارفون ويتألفون، فتتأكد الأخوة بين مختلف شعوب الأمة الإسلامية.



قال تعالى: [وأتوا الحج والعمرة لله] وقال عليه الصلاة والسلام: «الحجاج والعُمَار وفد الله، يعطيهم ما سألوا، ويستجيب لهم ما دعوا، ويخلف عليهم ما أنفقوا».

وشمة أنواع ثلاثة من النسك، وهي: الأفراد، والقران، والتمتع. أما الأفراد، فهو أن يحرم من يريد الحج من الميقات بالحج وحده، ويقول في التلبية: لبيك بحج / ويبقى محرماً حتى تنتهي أعمال الحج، ثم يعتمر بعد ذلك إن أراد.

وأما القران، فهو أن يحرم من عند الميقات بالحج والعمرة معاً، ويقول عند التلبية: / لبيك بحج وعمرة/. وهذا يقتضي بقاء المحرم على صفة الإحرام الى أن ينتهي من أعمال العمرة والحج معاً.

وأما التمتع، فهو الاعتماد في أشهر الحج ثم يحج من عامه الذي اعتمر فيه، ويحرم من الميقات بالعمرة وحدها، ويقول عند التلبية: / لبيك بعمرة/.

ويبقى على صفة الإحرام حتى يصل الحاج الى مكة فيطوف ويسعى ويحلق شعره أو يقصره، ويتحلل فيخلع ثيابه الإحرام ويلبس ثيابه المعتادة، ويأتي كل ما كان قد حرم عليه بالإحرام، الى أن يجيء يوم

التزوية فيحرم من مكة بالحج.

والحج مبني على التيسير، وما سُئِلَ عليه الصلاة والسلام في أمر من أمور الحج - قَدَّمَ أو أُخَّرَ - إلا وقال: «أفعل ولا حرج».

والحج ينطوي على: التقرب إلى الله في الفكر والعمل، واجتناب الطاغوت بالروح والجسد، وهذان العنصران هما مادة الإسلام: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت). والآيات التي تتحدث عن الحج تتجّه دائماً نحو هذين العنصرين: [فإذا قضيتُمْ مناسككم فاذكروا الله كذكركم آبائكم أو أشدّ ذكراً].. التقرب إلى الله يتطلب ذكراً وصلاة وإحراماً، واجتناب الطاغوت يستلزم تنقية القلب من الأهواء ليتزوّد الحاج بالتقوى، وبالتقوى تزداد حصانة الأمة الإسلامية.

سُئِلَ [صلى الله عليه وسلم]: أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل ثم أي؟ قال: جهاد في سبيل الله - قيل ثم أي؟ قال: حج مبرور - والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

وفي الحج يتساوى الناس بلباسهم ومواقفهم، يُسَبِّحُونَ إلى دين واحد، ويهتفون بدعاء لرب واحد: لييك اللهم لييك، لييك لا شريك لك لييك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك - كلمات تتساب عزوبة ورقة، وتعبر عن أسْمَى معاني الخضوع لله رب العالمين.

والضمانات التي تلمحها في الحج، لا يمكن أن

تتوافر في المؤتمرات التي هي من صنع البشر، فمؤتمر الحج الذي يقام كل عام برعاية الله عزّ وجلّ، ما هو في بعض مقاصده إلا تذكير للإنسان بأخيه الإنسان.. في هذا المؤتمر العظيم، صُحوة للنفس البشرية على أنه لا مفاضلة بين الناس إلا بالتقوى والعمل الصالح، وبذلك يتلقى الإنسان درساً لا يتلغاه أقوى العبارات.

والحج عبادة شاملة، فصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه، والنفقة في الحج نفقة في سبيل الله، وفي الحج صوم عن التطيب والزينة، وفيه توحيد الله عن كل مفتريات المشركين.

وفي الحج تأدّب مع الجماد في تقبيل الحجر الأسود، وفيه تأدّب مع النبات في النهي عن قطعه، وتأدّب مع الحيوان في تحريم صيده، ومع الإنسان في عدم مجادلته. ومناسك الحج إرشاد للمسلم في سائر أحواله.. فالإحرام الأبيض رمز لما يجب أن يكون عليه قلب المؤمن من حب ونقاء، والطواف دعوة لجمع كلمة الأمة، وعرفات ترفع عن المغريات.

عن أنس رضي الله عنه قال: وقف رسول الله [صلى الله عليه وسلم] بعرفات - وقد كادت الشمس أن تؤب - فقال يا بلال: أنصت لي الناس. فقام بلال فقال: أنصتوا لرسول الله. فانصت الناس! أتاني فقال عليه الصلاة والسلام: معشر الناس! أتاني

يرى المسلمون المواطن الأولى التي انطلقت منها رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم)، فيتذكرون صبره وجهاده، وتضحيات الصحابة الكرام في سبيل هذا الدين العظيم.

ولقد وجه الله الدعوة إلى حج بيته الحرام منذ أن رفعت قواعده: [وأذن في الناس بالحج ياتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق].

وما أن تأتي أشهر الحج حتى يرى المسلمين يتوافدون على بيت الله من كل فج عميق، فالحج فرض عين على كل مسلم ومسلمة مرة واحدة في العمر، ومن قدر على ذلك ولم يفعل فهو آثم. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «هممت أن آتي إلى أناس يقولون على الحج ولم يحجوا أن أفرض عليهم الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله فرض عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يارسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم». والمقصود بالاستطاعة: أن تكون الطريق آمنة، وأن يتوافر الزاد والواسطة السفر، وأن يكون ذلك زائداً عن دينه وموئنة أسرته مدة ذهابه وإيابه.

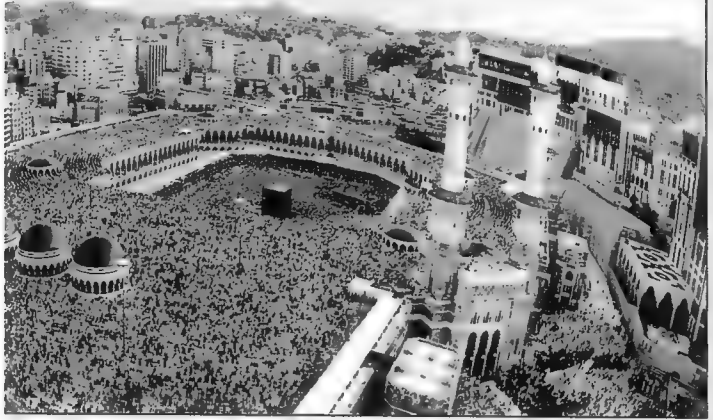
ولبيت العتيق مكانته ومآثره، من دخله كان آمناً وغفر ذنبه: [ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم].

جبريل أنفأ فأقرأني من ربي السلام وقال: إن الله تعالى غفر لأهل عرفات، وأهل المشعر، وقصم عنهم التبعات. فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال يارسول الله: هذا لنا خاصة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: هذا لكم، ولن أتي بعدكم إلى يوم القيامة. فقال عمر رضي الله عنه: كثر خير الله وطاب.

وأما الرمي، فما هو إلا تجسيد لصدق العزيمة، واحتقار لعوامل الشر. وما الذبح إلا إراقة لدم الرذيلة بيد اشتد ساعدها في بناء الفضيلة.

ومن خلال السعي بين الصفا والمروة، يتذكر الحاج قصة السيدة هاجر وولدها اسماعيل، يوم تركهما إبراهيم - بوحى من الله تعالى - بلا ماء ولا زاد، فامتلت هاجر وصبرت، وبكى الطفل يطلب الماء والزاد. في ذلك الموقف، يستعيد الحاج في ذهنه خيرة الأم تجاه ولدها وهي تتضرع إلى الله تعالى، تبلل الرمل بدمعها، تمد بصرها في كل اتجاه عليها تجد من يعين ولدها. واستجاب الله دعاء هاجر وإبراهيم، وتفجرت الأرض تبيع ماء بين قديمي اسماعيل، في واد غيز ذي زرع: (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار). وازدحم المكان بالناس يوماً بعد آخر.

ذكريات ما أجلها، نذك من خلالها أن الله جل جلاله لا يتخلى عن المؤمنين الصادقين. وفي الحج



حجاج بيت الله

حجاج بيت الله فاح أريجهم

أفشى الأريج السر والأخبارا

من كل فج أقبلوا فتخضوع الـ

مسك النكي عشية ونهارا

واستقبلوا بحفاوة يا مرحباً

أهلا حللتم بيننا أبرارا

تلك الديار بياركم أنتم بها

أصحاب دور لستم الزوارا

جئتم تلبسون النداء فتهللت

تلك الوجوه بشاشة ووقارا

وانهل مع العين فرحاً وارتوى

قلوب تجاوز في المدى الأطيارا



أثوابهم بيضٌ كسُنٍّ بهاغا
 درٌ تنأثر في السحاب نثارا
 جاعوا وقد رفعوا اليدين وهللا
 حمداً لرب البيت واستغفارا
 جاعوا فلم ترد يد مُدَّت ولا
 عينا تسيل دُموعُها أنهارا
 مُستبشرين بأن عفوك واسعٌ
 شمل القلوب ونور الأَبصارا
 مُستبشرين بنصرِكَ الموعود لم
 تخلف لهم وعدا ولا إخبارا
 ونصرتَ عبدك أحمداً طه الذي
 أرسلت هدياً للورى ومنازا
 فاحفظ بلاد المسلمين ولا تنز
 ممن يعادى ديننا ديناً
 والقدس حرر يا إلهى إنه
 بك يستجير سريرة وجهارا
 ليعود للإسلام سالف عهده
 عزاً ومجداً خالصاً وفخارا

قطع البوادي والمواضر ساعياً
 لله يركبُ أنهُراً ويحاراً
 ليجاور الرحمن في أم القرى
 يدعوهِ رياً واحداً قهاراً
 ليك يارب، الورى فاغفر لمن
 حجوا إليك وبارك الأسفارا
 واقبل تساعيتهم إليك وزدْ بهم
 أهل الحجاز على الضيا أنوارا
 غُبراً أتوك وقد حداهم شوقهم
 للعفو ممن قَدَّر الأقدارا

الأشهر الحرم وجرماتها

شؤون
ذو الحجة
ذو القعدة
اجب

يوم خلق الله السموات والأرض، منها أربعة حرم،
ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم. وقاتلوا
المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة. واعلموا أن الله
مع المتقين (التوبة/ ٣٧).

ويقول سبحانه وتعالى في آية أخرى من كتابه
العزیز: (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل
قتال فيه كبير. وحد عن سبيل الله وكفر به والمسجد
الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله. والفتنة أكبر
من القتل. ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن
دينكم إن استطاعوا. ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا

شرعنا الاسلامي خصص بالأحكام التي تحدد
العلاقات بين الناس. وكذلك تاريخنا الاسلامي، فهو
حافل بالعبر والعظات التي تضمنتها سنن الخالق
الشرعية والكونية. ما أحوج المسلمين وكل الناس
إلى إحياء هذه السنن وبعثها، ليس للضرورة
الشرعية فحسب ولكن للضرورة الحضارية أيضا.
وتعد حالة الأشهر الحرم واحدة من هذه
الحالات. سنة أهمت بشكل غريب في وقت تدعو
الضرورة إليها بشكل جد ملج.

يقول الباري جل جلاله في كتابه الحكيم: (إن
عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله

والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (البقرة/ ٢٨٧).

وورد في الحديث النبوي الشريف: عن أبي بكرة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) خطب في حجته فقال: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض: السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة والحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان» (رواه الإمام أحمد وأخرجه البخاري في التفسير بتمامه).

وعن ابن عمر قال: خطب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حجة الوداع بمنى في أوسط أيام التشريق فقال: «أيها الناس، إن الزمان قد استدار، فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، أولهن رجب مضر بين جمادى وشعبان، وذو القعدة وذو الحجة والمحرم» (أخرجه ابن جرير وابن مردويه).

وورد في تفسير ابن كثير: وقال ابن عباس في قوله: (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) قال: في الشهور كلها. ثم اختص من ذلك أربعة أشهر، فجعلت حراما وعظم حرمانتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم، وقال قتادة: إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما

سواهن، وإن كان الظلم على كل حال عظيما. ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء. وقال: إن الله اصطفى صفايا من خلقه: اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا. واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر. فعضموا ما عظم الله، فإنما تعظيم الأمور بما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل. وقال ابن عباس: (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) أي لا تجعلوا حرامها حلالا، ولا حلالها حراما، كما فعل أهل الشرك. وهذا القول اختيار ابن جرير.

وجاء في تفسير ابن كثير أيضا: وقال سعيد بن منصور عن ابن عباس في قوله (منها أربعة حرم) قال: مجرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة. وقوله (صلى الله عليه وسلم) في الحديث «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» تقرير منه صلوات الله وسلامه عليه وتثبيت للأمر على ما جعله الله في أول الأمر من غير تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقص ولا نسيء ولا تبديل. كما قال في تحريم مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض. فهو حرام بحرمه الله تعالى إلى يوم القيامة» [١].

وفعلًا فقد قتلَه بعد ذلك وأوقع ببني تميم في يوم
مبايض - وأنشد بعض بني شيبان:

**وأقد دعوت طريف دعوة جاهل
غرّ وأنت بمنظر لا تعلم**

- ورثا طريفا عمرو بن سواد فقال:

**لا تبعدن يا خير عمرو بن جندب
لعمرى لمن زار القبور ليبعدا**

وكان معاوية بن عمرو بن الشريد السلمي قد
تواعد مع هاشم بن حرملة المري على القتال ومع ذلك
فقد انتظر حتى تنصرم الأشهر الحرم ليغير عليه يوم
حوزة الأول حيث قتل معاوية، فجزع لذلك أخوه
صخر جزعا شديدا - وأتى هاشم بن حرملة في
رجب ليواعد على الغارة بعد الشهر الحرام - ومما
قال في ذلك:

**وعاذلة هبت بليل تلومني
ألا لا تلوميني كفى اللوم مابيا
وقالوا ألا تهجو فوارس من هاشم
ومالي وإهداء الخنائم ماليا
أبى الهجو أني قد أصابوا كريمتي
وأن ليس إهداء الخنا من شماليا [٢]**

والمثل العربي المشهور «سبق السيف العذل»
إنما سببه (ضبة) الذي فتك بقاتل ابنه سعيد في

هذه النصوص والأقوال الشريفة من القرآن الحكيم
والحديث الشريف وأقوال السلف الصالح تدين
الحرملة الخاصة التي أولاهما الشارع للأشهر الحرم
الأربعة التي وضحتها هذه النصوص وذلك لحكمة
عند الخالق مثمنا أولاه الخالق جل وعلا من
خصوصيات الأزمنة وأمكنة معينة كشهر رمضان
ويوم الجمعة ويوم عرفة وأيام التشريق وليلة القدر،
والبلد الحرام والحرم النبوي والمسجد الأقصى.

وحالة الأشهر الحرم هي إحدى الحالات التي
أدركها الإسلام عند جاهلية العرب فأقرها نظرا لما
فيها من موافقة للخير والحق وعدم التعارض مع
أصل من أصول الدين الاسلامي.

وقد كان العرب قبل الاسلام ملتزمين بحرملة
الأشهر الأربعة المذكورة صارمين في ذلك بالرغم مما
عرفوا به من الثأرات والغارات وسرعة البطش - وهم
أصحاب الأيام المشهورة المتعددة التي خلفت دواوين
الشعر في الحماسة والتودع والرتاء والتفجع .

فقد ورد في كتب التاريخ كالكمال والعمدة والعقد
الفريد والمفصل وأيام العرب أن طريف بن تميم
العنبري كان قتل شراحيل الشيباني، فلقية حضيصة
بن شراحيل في عكاظ وجعل ينظر إليه ويتأمله
ليتعرف عليه فيقتله بعد انصرام الأشهر الحرم - وفي
ذلك يقول طريف:

**أوكلما وردت عكاظ قبيلة
بعثوا اليّ عريفهم يتوسم**

الانقلاب أو محاولات العودة إلى السلطة، وحروب الإبادة العرقية، وحروب الوحدة، وحروب الاستقلال. . دماء إسلامية تفيض على طول العام في الفلبين وتيمور وسيلان والهند وتركستان وبورما وطاجيكستان وأفغانستان وأذربيجان وباكستان وكشمير والخليج العربي وفلسطين ولبنان ومصر والسودان والحبشة والقرن الإفريقي والصحراء الكبرى والجزائر وأبخازيا والشيشان والبوسنة والهرسك.

فهل يستطيع أبناء المسلمين إحياء هذه العادة المجيدة ويحث هذه السنة المحمودة فيعقد المقتلون هذبات سلمية لحقن الدماء على الأقل في الأشهر المحرمة. وأن يطبقوا ذلك حتى مع غير المسلمين ولو من جهة واحدة، فينال بذلك الأجر وتحيا السنة فيغاث إبليس ويطبق الشرع. . ويوظف خلق كريم من أخلاق الإسلام الأصل في الشرع والقصد فيه الدعوة، فتستفيد الدعوة فضلا عن حقن دماء المسلمين.

الهوامش:

(١) ابن كثير: تفسير سورة التوبة.

(٢) أيام العرب في الجاهلية: محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم.

الشهر الحرام. فلما صام على ذلك فأجابهم بهذا الجواب الذي صار مثلاً.

وشدت عند العرب حروب الفجار بين قبائل من قيس كهوازن وبني عامر، وأخرى من كنانة كقريش وبني بكر بن مالك بن كنانة، التي وقعت في الأشهر الحرم. وقد تسمى أصحابها بالفجار لسوء ما فعلوه من انتهاك حرمة الأشهر المحرمة.

فإذا كانت هذه المناقب من الأخلاق المحمودة لعرب الجاهلية. الذين طالما ضرب بهم الأمثال في السوء. فكيف لو قارنا ذلك بحال المسلمين وسلوكهم في هذا العصر الذي تعددت فيه خروقا تهم الشرعية وتتنوع بدرجة أصبحت معها حرمة الأشهر الحرم من آخر ما يفكر فيه من حرمان الشرع؟!

إن الدماء تنسكب على طول بلاد الإسلام وعلى طول أيام السنة بسبب الاقتتال بين الأقطار الإسلامية والفئات المتناوئة وصراعات السلطة وتصفية الحسابات. وبعضها بسبب الاحتلال الأجنبي والتصفيات التي يشهدها المسلمون من طرف قوى الكفر. وللأسف فإن معظم الدماء دماء المسلمين. وللأسف الشديد أن معظمها بسبب صراع المسلمين مع بعضهم البعض. الحروب تنتشر على خارطة العالم الإسلامي بشكل مختلف: منها الحروب الأهلية ومنها حروب الحدود وحروب الانفصال وحروب انقلابات السلطة ومحاولات

عبير الذكريات

تنادي علينا في الحجاز أماكن
لها ذكريات في النفوس المجدة
نودع كل الناس، نترك مالنا
من الأهل والأحباب، في خير رحلة
ونخلع ثوباً، قد تقادم عهده
لنصبح أكفاء، بحب وألفة
ونلبس ثوب الحج، فخراً بلبسه
ونذكر إجلالاً، مقام النبوة
ونترك أهواء النفوس جميعها
وأولادنا، من أجل أقدس هجرة
ونطرح أعباء الحياة وراءنا
ونعطي جميعاً، دون زهو وحيلة
ألا إن تقوى الله - يا قوم - ديناً
فما أجمل التقوى، بأرفع ملة!
ألا إن خير الزاد، في العلم والتقى
وحج لبیت الله، في خير طلعة
وخير متاع المرء، تقوى تعينه
إذا عاد من حج، على أي كبوة
ألا إن دين الحق قد جاء للنا

ولله حج البيت، في خير دعوة
نلبي نداها، في فخر وعزة
فبعد صيام خالص ومطهر
أتانا نداء الله، في خير شرعة
ألا إن أنوار الحنيفية زائنا
لأجل ارتقاء النفس أعظم رتبة
وخير ابتداء الحج في الشرع دائماً
شعور بتصميم، وإحضار نية
فتسعى إلى البيت العتيق قلوبنا
تلبى إله الناس، في كل نبضة
فأول بيت قد أقیم لذكره
بناه خليل الله، صرحاً بمكة
وآذن (إبراهيم) بالحج في الورد
أتاه حجيج الله، من كل بلدة
عبادة رب العالمين تعمنا
بخير وفضل، في ازدياد المودة
نقوم بها في كل عام، بما لنا
من الجهد والمال الوفير المبيت

ونكتسب التوجيه، من خير قبله
ونختزن الطاقات، بين ضلوعنا
فيبقى لدينا، خير أعظم شحنة
الى الله أشكو أن (إسرائيل) أظهرت
عداء وكرها، نحو دين الحنيفه
وأن جميع المؤمنين بما لهم
من العز والسلطان، في كل جبهة
يمدون بالإرشاد (إسرائيل) دائماً
بصبر وإيمان وحسن روية
لتنأى عن الإجرام، في حق ديننا
وتسمع صوت الحق، من كل مهجة
وتترك أفواج الضلال تدويها
وترضى به، بون انتساب لريبة
ولكن (زعيم السوء) يائى، سذاجة
إجابة داعي السلم، في كل هجمة
الى الله أشكو، من تمزق شملنا
وغوص حقوق المسلمين، لفرقة
ويارب وفقنا، وللم شعوبنا
وتوج جهود المسلمين، بوحدة

بخير وعدل، ثم إشراق رحمة
ألا إن مريضات الإله على الورى
إذا اتحدوا، في كل يسر وشدة
وخير امتثال للإله وشرعه
بخير اجتماع، في سرور وبهجة
على عرفات الله، كان لقائنا
فما أنفع اللقاء، بحسن الطوية
نشاور بعضنا، كي يدوم رعاؤنا
وننسى خلاف الأمس، في خير كعبة
ونسمى بجد، واجتهاد موقف
ونمشى بنور الله، في خير قلعة
وتأتى علينا في الزمان حقائق
تساهم في خير، لأعظم أمة
ونجني ثمار الحب والعشق والذي
عرفناه بالإيمان، رمز المحبة
ونعرف معنى كل فرض بيننا
ونترك نبل الحق، من خير عصية
ونسال رب الناس، أن يهدي الورى
ونسعد بالتوحيد، في كل لحظة
ونرفع أصوات الهدى بدعائنا
عسانا نخال السعد، في خير فرصة
ونسكب عبر النور، بالشوق، دمعا

قصة نوح (عليه السلام)

الحلقة الأولى

وقال - تعالى - : « وقرونا بين ذلك كثيرا » (١) وقال : « وكم أهلكتنا قبلهم من قرن » (٢) . فقد كان الجيل قبل نوح يعمررون الدهور الطويلة، فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألوف من السنين .

نسب نوح - عليه السلام - ومولده :

ورد نسب نوح - عليه السلام - في التوراة في كتاب التكوين، وفي كتب السير والتاريخ بصور متعددة نعتمد فيها على رواية ابن كثير في قصص الأنبياء وهي :

هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ - وهو إدريس - بن برد بن مهلايل بن قينان بن شيث ابن آدم أبي البشر - عليه السلام .

ويقول الثعالبي (٨) (وهو نوح بن الملك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يزد بن قينان بن أنوش بن شيث - عليه السلام - وأمه أفينوس بنت راكيل، وقيل بنت كابل بن مخنويل بن أخنوخ) .

وفي مولده روايات : قيل إنه ولد بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة، فيما ذكره ابن جرير وغيره . ويقول ابن كثير : (وعلى تاريخ أهل الكتاب يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة وست وأربعين سنة) . ويرى النجار (٩) ما ورد في كتب التاريخ والتوراة اختلاف

الحدة بين آدم ونوح عليهما السلام :

يذكر أصحاب السير والتاريخ أن بين آدم ونوح - عليهما السلام - عشر قرون . ولما جاء في القصص النبوي عن أبي نر - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - : (أول الأنبياء آدم ، ثم نوح ، وبينهما عشرة آباء ...) وعن أبي أمامه - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - : (نبي آدم ، وبينه وبين نوح عشرة قرون ، والرسول ثلاثمائة وخمسة عشر) (١) وقال ابن كثير (٢) : وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام) . ولم أقف على هذا الحديث في البخاري ، وفي رواية لابن سعد عن عكرمة ذكر النص السابق .

واختلف العلماء في المراد بالقرن : أهو مئة سنة أم المراد به الجيل؟ قيل المراد بالقرن مئة وعشرون سنة، وقيل مئة سنة، وقيل ثمانون سنة، وقيل أربعون سنة . وقيل المراد بالقرن أهل زمان واحد وجمع قرن قرون يعني أمما وخلائق. قال ابن كثير : والأظهر أن القرن هم الأمة المتعاصرون في الزمن الواحد، إذا ذهبوا وخلفهم جيل فهم قرن آخر، كما ثبت في الصحيحين : (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ..) الحديث (٣) ويقول أيضا : المراد بالقرن الجيل من الناس، كما في قوله - تعالى - : « وكم أهلكتنا من القرون من بعد نوح » (٤) وقوله : « ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين » (٥)



بقلم : أ.د. عبد الباسط أحمد حمودة - مصر

سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غُطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير، لال ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلم عبثت .

وقال ابن حجر (١٢) : وذكر السهيلي في (التعريف) إن يغوث هو ابن شيث بن آدم فيما قيل، وكذلك سواع وما بعده، وكانوا يتبركون بدعائهم، فلما مات منهم أحد مثلاً صورته وتمسحوا بها إلى زمن مهلائيل، فعبدها بتدريج الشيطان لهم. ثم صارت سنة العرب في الجاهلية ... وعن عروة بن الزبير: إنهم كانوا أولاد آدم لصلبه، وكان ود أكبرهم وأبرهم به. وهكذا أخرجه عمر بن شعبة في (كتاب مكة) عن طريق محمد بن كعب القرظي قال : كان لآدم خمس بنين فسماهم، قال: وكانوا عبَّاداً، فمات رجل منهم فحزنوا عليه. فجاء الشيطان فصوره لهم ثم قال للآخر إلى آخر القصة . وذكر ابن كثير مثل ذلك في تفسير سورة نوح. ويؤيد ذلك ما جاء في القصص النبوي في صحيح البخاري عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية، فذكرت له ما رأت فيها من

حيث جمع المدة بأنها تزيد عن المدة المذكورة وحيث تبلغ ست وخمسون وألف سنة .

قوم نوح :

تحدث القرآن الكريم عن قوم نوح في كثير من سور القرآن الكريم، مرة يذكر نوحاً - عليه السلام - ومرة يذكره مع قومه وقصته مع قومه مفصلة في سور الأعراف ، ويونس، وهود، والمؤمنون، والشعراء، والعنكبوت، والصفات، والقمر، ونوح .

وفي عهد نوح كثرت نزية آدم التي جاءت من ظهريه، حيث ذكر الطبري (١٠) : أن حواء ولدت لآدم - عليه السلام - عشرين ومائة بطن، أولهم قابيل وتوعمته قليما، وأخبرهم عبد المغيث وتوعمته أمة المغيث. وقال ابن كثير : ذكر أهل التاريخ أن آدم - عليه السلام - لم يمض حتى رأى من نزيته من أولاده، وأولاد أولاده أربعمائة ألف نسمة .

ولاشك أن الأعداد البشرية قد تضاعفت، لأنه بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام - كما سبق في الحديث - ومع تكاثر الخلق وتقادم العهد بالرسول شاعت عقيدة الشرك بعد فطرة الإسلام . قال البخاري (١١) : حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام عن ابن جريج، وقال عطاء عن ابن عباس - رضى الله عنهما - : (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما

واستكبروا استكباراً » كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبيداً وقالوا مجنون وأزئذٍ » (١٧) وقد وصفهم الله بأنهم قوم سوء لا تقيد فيهم النصيحة وأنهم يستحقون الهلاك « ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا، إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين » (١٨) .

قيل (١٩) إن قوم نوح كانوا في يوم عيدهم ينصبون أصنامهم على أسرتها وكراسيها، ويقربون القرابين لها، ويخرون لها سجداً، ويشربون الخمر، ويضربون بالصنج، ويتأثرون النساء كالبهائم من غير تستر، يفعل ذلك جموع كثيرة تزيد على تسعين زمرة، كل زمرة لايحصون كثرة، فشاخ فيهم المنكر والفساد، واختفت القيم والأخلاق. وذكر ابن كثير عن ابن جبير وغيره أن قوم نوح يقال لهم : بنو راسب .

بعثة نوح - عليه السلام - :

أرسل الله نوحاً - عليه السلام - وفي القصص النبوي (٢٠) عن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم - : (بعث الله نوحاً لأربعين سنة، ولبت في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا) وروى ابن عساکر عن أنس - رضى الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (أول نبي أرسل نوح) وفي قصة عن أبي نر - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - : (أول الأنبياء آدم، ثم نوح، وبينهما عشرة آباء ..) وعن أبي

الصور، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح - أو الرجل الصالح - بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله) .

ويتضح من قصة قوم نوح أن عقيدتهم فاسدة، وأن الشرك وعبادة الأصنام هي السمة الغالبة عليهم، وأنهم اتخذوا آلهة من دون الله، وأنهم ملأوا بهذه الأصنام السهل والجبل، حيث كانوا يسكنون. قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم (١٢) : (ماعذب الله قوم نوح إلا والأرض ملأى بهم وليس بقعة من الأرض إلا ولها مالك وحائز) .

ومع فساد عقيدة قوم نوح كانت لديهم الجراءة على نبههم والتطاول عليه بالسب والشتم « قال الملا من قومه إننا لنراك في ضلال مبين » (١٤) كذلك التكبر والتعالي عليه وعلى الذين اتبعوه « فقال الملا الذين كفروا من قومه مانراك إلا بشراً مثلاً، ومانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي، ومانرى لكم علينا من فضل، بل نظنكم كاذبين » (١٥) وأنكروا نبوته وأنه يريد أن يتفضل عليهم، وبلغت بهم الوقاحة فقالوا: إنه مجنون « ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم، ولو شاء الله لآتى ملائكة، ماسمعنا بهذا في أبائنا الأولين. إن هو إلا رجل به جنة فتريصوا به حتى حين » (١٦) وسخروا من دعوة نوح - عليه السلام - وأصروا على وصفه بالمجنون والكذب، وكلما اقترب منهم ادعوتهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا

فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ..
الخ .

- للبحث صلة -

الهوامش :

- (١) منتخب كنز العمال ج ٤ ص ٣٢٠ .
- (٢) قصص الأنبياء ص ٦١ .
- (٣) ج ٢ ص ٤٢٣ .
- (٤) سورة الإسراء آية ١٧ .
- (٥) سورة المؤمنون آية ٣١ .
- (٦) سورة الفرقان آية ٢٨ .
- (٧) سورة مريم آية ٩٨ .
- (٨) قصص الأنبياء ص ٣٢ .
- (٩) قصص الأنبياء ص ٤٥ .
- (١٠) تاريخ الطبري ج ١ ص ١٤٥ وقصص الأنبياء ص ٥٢ .
- (١١) فتح الباري ج ٨ ص ٦٦٧ .
- (١٢) المرجع السابق .
- (١٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٠٠ .
- (١٤) سورة الأعراف آية ٦٠ .
- (١٥) سورة هود آية ٢٧ .
- (١٦) سورة المؤمنون آية ٢٤ - ٢٥ .
- (١٧) سورة القمر آية ٩ .
- (١٨) سورة الأنبياء آية ٧٦ - ٧٧ .
- (١٩) نهاية الأرب ج ١٣ ص ٤٣ .
- (٢٠) منتخب كنز العمال ج ٤ ص ٣٢٠ - ٣٢٣ .
- (٢١) أيضا في فيض القدير ج ٢ ص ٩٦ - ٩٧ وحديث (أول الرسل آدم) قال السيوطي ضعيف .

أمامة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : (نبي آدم، وبينه وبين نوح عشرة قرون، والرسل ثلاثمائة وخمسة عشر) ومما يؤكد نبوة آدم، وأنه سابق على نوح - عليه السلام - وما روى عن أبي ذر - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - : (أول الرسل آدم وأخبرهم محمد ..) (٢١) قال المناوي: ولا تعارض من أن أولهم آدم، لأن نوحا أرسل إلى الكفار وأدم أول رسول إلى بنيهِ، ولم يكونوا كفارا، ثم نوح هو أحد أولى العزم الخمسة الذين هم أفضلهم .

وقال ابن كثير في قصص الأنبياء : وبالجمله فنوح - عليه السلام - إنما بعثه الله - تعالى - لما عبدت الأصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد، فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض، كما يقول أهل الموقف يوم القيامة.

وكان قومه يقال لهم بنو راسب فيما ذكره ابن جبير وغيره .

واختلفوا في مقدار سنه يوم بعث، فقليل كان ابن خمسين سنة، وقيل ابن ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل ابن أربعمائة وثمانين سنة، حكاه ابن جرير، وعزا الثالثة إلى ابن عباس والحديث الذي أشار إليه ابن كثير رواه البخاري عن أبي ذرعة عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: (كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في دعوة، فرفعت إليه الذراع ..) إلى أن قال (فباتون نوحا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض، وسمك الله عبدا شكورا، أما ترى إلى مانحن

ولاية البلد الأمين

ولايتة نحواً من بضعة أشهر فخلفه الخارجي أبو حمزة الاباطي ثم قتل في معركة حدثت بين جيوشه وجيوش بني أمية بقيادة القائد:

- الأمير عبد الملك بن محمد بن عطية بن عروة السعدي من بني سعد بن بكر فتولى إمارة الحرمين الشريفين بعد قضائه على فتنة الخوارج ودام عليهما نحواً من بضعة أشهر ثم أقام مقامه على البلد الأمين رجلاً يدعى:

- الأمير رومي بن ماعز الكلبي رحمة الله عليه . وهو أحد أفراد الجيوش الذين قدموا من الشام ولم يلبث كثيراً حتى خلفه:

- الأمير محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي رحمة الله عليه . في موسم حج سنة ١٣٠ من الهجرة المباركة خلفاً للأمير عبد الملك بن عطية السعدي في إمارة الحرمين الشريفين . ولبت عليهما نحواً من سنة واحدة وقد وصفه العلامة أبو محمد بن حزم في جمهرة أنساب العرب بأنه كان رجلاً عابداً ورعاً ناسكاً . ثم عزل وخلفه عليها:

- الأمير الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدي رحمة الله عليه .

في سنة ١٣١ من الهجرة الشريفة حج بالناس من سنته على خلاف في ذلك . وكان هو آخر أمراء بني أمية على الحرمين الشريفين ومن بعده دخلت

كنت قد توقفت في الحلقة الماضية بأن ولاية الاباطح المكية المشرفة آلت الى الأمير عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز الأموي رحمة الله عليه وأنه لبت فيها نحواً من ثلاث سنوات ثم عزل عنها . فخلفه عليها:

- الأمير عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي رحمة الله عليه . وذلك في سنة ١٣٩ من الهجرة النبوية المباركة . وكان إليه الحرمان الشريفان فحج من سنته فخرج عليه وهو بعرفات عصابة أبي حمزة الاباطي الذي يدعو الى الخروج على بني أمية . . فانحدر الأمير عبد الواحد الى منى ثم الى أن خرج منها في يوم النفرة الأولى قليل فيه:

زار الحجيج عصابة قد خالفوا
بين الاله ففر عبد الواحد
ترك الحلائل والامارة هارياً
ومضى يخط كالبعير الشارد
لو كان والده تنصل عرقه
لصفت موارده بعرق الوارد

وكان رجلاً كريماً ودوداً جواداً وقد مدح بقصائد تزل على مكارم أخلاقه رحمة الله عليه وكانت مدة



بقلم : السيد ضياء محمد عطار - المدينة المنورة

أشهر حسبما حددها الامام ابن كثير القرشي في البداية والنهاية. ويعده خلفه ابنه:

- الأمير موسى بن داود بن علي بن عبد الله العباسي الهاشمي رحمة الله عليه.

وذلك في شهر ربيع الأول من سنة ١٣٣ للهجرة وكانت ولايته بوصية من والده وليس من الخليفة. والله أعلم بما لبث فيها ولكنها لا تعدو أن تكون أكثر من شهر فخلفه عليها.

- الأمير زياد بن عبيد الله بن عبد الله الحارثي خال أمير المؤمنين.

وكان ذلك في الربيع الثاني تقديراً من سنة ١٣٣ للهجرة المباركة وكان إليه أمر الحرمين الشريفين. وكان مقامه بمدينة سيد الوري صلوات الله وسلامه عليه تترى. وكان ينوب عنه بالبلد الأمين ابن أخيه:

- الأمير علي بن الربيع الحارثي رحمة الله عليه وكان إليه الطائف من مكة شرفها الله فلم يزل الأمير علي بن ربيع ينوب عن عمه أمير الحرمين الشريفين زياد بن عبيد الله الحارثي حتى عزله الخليفة وسيروه أميراً على اليمن وذلك في سنة ١٣٥ من الهجرة وكانت مدة ولايته لا تزيد عن سنتين.

غير أن الإمام الفاسي لم يتعرض له بذكر في شفاء الغرام ولا العلامة عز الدين بن فهد الهاشمي في غاية الغرام. وأعتقد أنه قد خلفه في إمارة البلد الحرام:

الأقطار الحجازية والحرمين الشريفين إلى مرحلة جديدة في خلافة دولة بني العباس فأول وال من قبل الخلافة العباسية كان هو:

- الأمير داود بن علي بن عبد الله بن عم النبي (صلى الله عليه وسلم) العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي رحمة الله عليه.

وكان ذلك في سنة ١٣٢ من الهجرة المباركة وكان إليه ولاية البلد الحرام ومدينة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام. وابتدأ ولايته بخطبته في المسجد الحرام ثم هدم الفسقية التي أحدثها الأمير خالد بن عبد الله القسري وكانت بجوار زمزم وكان الناس يستقون منها. وهدم البركة التي كانت عند باب الصفا وصرف ماء العين إلى بركة كانت عند باب المسجد الحرام فسر الناس بهذا الإجراء سروراً عظيماً، كما ذكر ذلك الامام أبو الوليد الأزرق في كتابه أخبار مكة. وبدأ بالانتقام من بقايا بني أمية وقتل من قدر عليه منهم وكان الأمير داود رجلاً فصيحاً مفوهاً خطيباً بليغاً روى له أئمة الحديث مثل الامام البخاري والامام الترمذي في صحيحيهما حسبما ذكره العلامة عز الدين بن فهد الهاشمي في كتابه غاية المرام في سلطنة البلد الحرام.

وتوفي في سنة ١٣٣ من الهجرة وهو عليها فكانت مدة ولايته للحرمين الشريفين نحواً من ثلاثة

- الأمير عمر بن عبد الحميد العدوي القرشي
رحمة الله عليه.

وقد وضحت هذا الاعتقاد في كتابي جلاء
العينين بشيء من التحليل التاريخي ومن المؤكد في
سنة ١٣٥٠ من الهجرة الشريفة كانت ولاية الديار
المكية المشرقة:

- للأمير العباسي بن عبد الله بن معبد بن عم
النبي (صلى الله عليه وسلم). العباس بن عبد المطلب
العباسي الهاشمي القرشي رحمة الله عليه.

وكان الأمير العباس رجلاً فاضلاً صالحاً فقيهاً
فلم يزل عليها حتى توفي بها في سنة ١٣٧ من
الهجرة بعد انقضاء موسم الحج. وهو ممن توفي
بمكة شرفها الله من ولاتها ومن المطوم أن الأمير
زياد بن عبيد الله الحارثي قد أعيد إلى ولاية البلد
الأمين في سنة ١٣٨ من الهجرة المباركة واستمر
حتى سنة ١٤١ للهجرة.

وكان نائبه أيضاً بالبلد الحرام:

- الأمير اسماعيل بن أيوب المخزومي رحمة الله
عليه.

قيماً يعتقد ولكن مدة ولايته غير معلومة ولا تزيد
عن بضعة أشهر حسب اعتقادي. ثم خلفه عليها:

- الأمير هيثم بن معاوية العتكي الخراساني
رحمة الله عليه.

حيث تولاهما في أواسط سنة ١٤٨ من الهجرة
التبوية المباركة. وجاءت ولايته في أعقاب عزل الأمير
زياد الحارثي عن الحرمين الشريفين ولم يزل على

المنهل

أمانة البلدة المحرمة حتى سنة ١٤٣ من الهجرة ثم
عزل عنها وكانت مدة ولايته نحواً من سنتين. ثم
خلفه على البلد الحرام:

- الأمير السري بن عبد الله بن الصارث بن
سيدنا العباس بن عبد المطلب العباسي الهاشمي
القرشي رحمة الله عليه.

وكانت ولايته في سنة ١٤٣ من الهجرة. كما
نكره الامام الفاسي في شفاء الغرام وكان الأمير
السري غاية في الكرم والعطاء وكان جواداً وفيه قال
الشاعر يمدحه:

راح السري وراح الجود يتبعه

وانما الناس منموم ومحمود

لقد تروح اذ راحت ركائبه

عن أهل حجر ورب الكعبة الجود

من كان يضمن للسؤال حاجتهم

ومن يقول اذا أعطاهم وجوبوا

وقال الشاعر حسين بن شونب الاسدي فيه:

إن السري بن عبد الله قال لنا

خيراً وكان وفيّاً بالذي زعمنا

وما رأيتك في قوم وان كثروا

الا تبينت في عرينك الكرمنا

تلقاك في الأمر حملاً أختة

وفي الهزاهز ليثاً يضرب البهمننا

واستمر في ولايته من سنة ١٤٣ من الهجرة

كان على المدينة المنورة من سنة ١٥٥ من الهجرة وحتى سنة ١٥٩ من الهجرة حسبما ذكره الامام أبو جعفر بن جرير الطبري في تاريخه وقد خلفه على البلد الأمين في ١٤٩ من الهجرة:

- الأمير محمد بن إبراهيم الامام بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس العباسي الهاشمي
رحمة الله عليه.

كما ذكره الامام القاسي في شفاء الغرام. وكان الأمير محمد بن إبراهيم الامام رجلاً فاضلاً من فضلاء بني هاشم وبني العباس الذين تولوا البيت الحرام وقد مدحه الشاعر علي بن عاصم الاصفهاني بقصيدة له قال فيها:

إقض عني يابن عم المصطفى

أنا بالله من الحين ويك

من غريم فاحش يقنرني

أشوه الوجه لعرض منتهك

أنا والظل وهو ثالثنا

أين مازلت من الأرض سلك

ذكر ذلك الإمام القاسي في العقد الثمين.

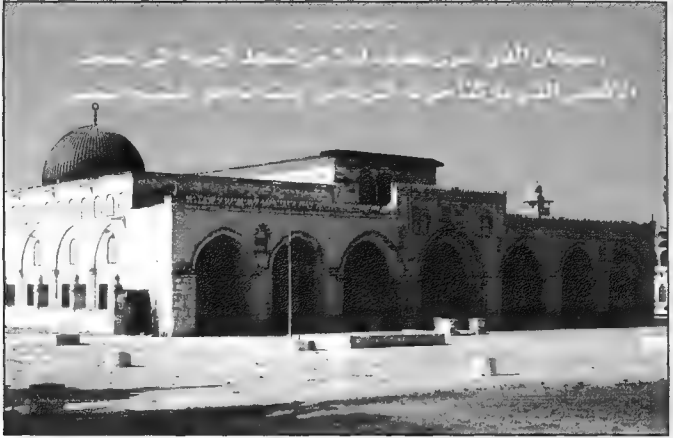
وكانت مدة ولايته تسع سنوات وقد حج بالناس في بعض هذه السنين. وعاد لولاية الحرمين الشريفين للمرة الثانية في سنة ١٧٨ من الهجرة في خلافة أمير المؤمنين الرشيد رحمة الله عليهم أجمعين. والله تعالى أعلم.

- للبحث صلة -

حتى ظهور السيد محمد ذي النفس الزكية الحسنی رحمة الله عليه في سنة ١٤٥ من الهجرة وتقلب على الحرمين الشريفين فكانت فتنة زال سحابها بعد خمسين يوماً تقريباً ثم عاد الأمير السري بن عبد الله رحمة الله عليه إلى ولايته للبلد المقدسة واستمر عليها حتى أواخر سنة ١٤٥ من الهجرة الشريفة وكانت مدة ولايته نحواً من ثلاث سنوات وبعده تولى إمارة أم القرى:

- الأمير عبد الصمد بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن سينا العباس بن عبد المطلب بن هاشم العباسي الهاشمي رحمة الله عليه.

وذلك في سنة ١٤٦ من الهجرة وكان إليه ولاية مكة شرفها الله مع الطائف كما ذكره الامام القاسي في شفاء الغرام وهو الذي بنى الدرج على مصاعد جبلي الصفا والمروة ولم يكن ذلك من قبل بهما كما ذكره الامام الازرق في اخباره ولم يزل عليهما حتى عزل عنها في سنة ١٤٩ من الهجرة حيث قال العلامة ابن كثير القرشي في تاريخه البداية والنهاية عن سنة ١٤٩ من الهجرة وفيها حج بالناس محمد بن إبراهيم بن علي وولاه المنصور على مكة والحجاز عوضاً عن عمه عبد الصمد بن علي انتهى. وكانت مدة ولايته نحواً من أربع سنوات. وذكر الامام القاسي في شفاء الغرام أنه كان عليها في سنة ١٥٧ من الهجرة فإن صح ذلك فإنها قد تكون ولاية ثانية له غير هذه. ولكنني أرى أن الخبر فيه شيء من الضعف لأن الأمير عبد الصمد بن علي



المسجد الأقصى

حقائق عن المسجد الأقصى المبارك

أسرى بعبيده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنزله من آياتنا إنه هو السميع البصير {الإسراء/١}.

والمسجد الأقصى هو المسجد المعروف في مدينة القدس، وقد بني على سفح الجبل، ويسمى بيت المقدس، أي البيت المطهر الذي يتطهر فيه من الذنوب، ويسمى الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة في الأرض يعظم بالزيارة.

وقد ذكر «الزركشي» (ت ٧٩٤هـ) في كتابه

الحقيقة: الشيء الثابت يقيناً. وعند اللغويين: ما استعمل في معناه الأصلي، وحقيقة الشيء: خالصه وكنهه. وحقيقة الأمر: يقين شأنه. والجمع: حقائق [١].

هذه الكلمات توطئة مقتضبة للحديث عن بعض الجوانب المتعلقة بأولى القبلتين وثالث المسجدين الشريفين ومسرى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومغزاه، ومصلى الأنبياء جميعاً ليلة الإسراء.

وقد نوه القرآن الكريم بمكانة المسجد الأقصى وأشاد بمنزلته في قول الله تعالى: [سبحان الذي

بقلم : أحمد بن مسفر العتيبي

المدرس بمركز ومدرسة المظليين وقوات الأمن الخاصة - السعودية

كان يطلق اسم المسجد الأقصى على كل ما بداخل سور المسجد القدسي الشريف، يمتد بناؤه من جهة القبلة الى الشمال في سبعة أروقة متجاورة مرتفعة على الأعمدة الرخامية والسواري التي تضم (٢٣) عموداً و(٤٠) سارية مبنية بالحجر. للمسجد عشرة أبواب تؤدي الى الساحة العامة للمسجد القدسي الشريف، سبعة منها جهة الشمال وباب من الشرق وآخر في الغرب والباب الأخير في جامع النساء[٣].

وقد وقع كثير من الكتاب والمؤرخين في خطأ شنيع في وصف المسجد الأقصى؛ حيث يصفونه بـ «ثالث الحرمين» و«الحرم القدسي». ومعلوم أن الألقاب والأوصاف الشرعية مبنية على التوقيف. ولم يطلق الشرع الحكيم صفة الحرم إلا على ثلاثة أماكن، اثنان منهما حرم باتفاق المسلمين، وهما: حرم مكة، وحرم المدينة. والثالث: «وج» وهو وادٍ بالطائف، وفيه حديث رواه أحمد في مسنده، من حديث يعلى العامري، وهو حرم عند الشافعي، لاعتقاده صحة الحديث، وليس حراماً عند أكثر العلماء.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - «وليس ببית المقدس مكان يسمى حراماً، ولا بترية الخليل»[٤].

ثانياً: فضائه وأحكامه:

يمكن اجمال فضائه في ست نقاط:

- ١ - أنه القبلة الأولى للمسلمين: فإليه كان المسلمون يتوجهون في صلاتهم قبل أن تحول القبلة الى الكعبة

«إعلام الساجد» سبعة عشر اسماً تطلق على المسجد الأقصى، من أشهرها: مسجد إيلياء: وقيل في معناه: بيت الله. وروي عن كعب الأحبار أنه كره أن يسمى بيت المقدس بـ (إيلياء)، وقد حكى ذلك الواسطي في فضائله ومن أسمائه: بيت المقدس: بفتح الميم وإسكان القاف - أي المكان الذي يطهر فيه من الذنوب، والمقدس: المطهر.

ومن أسمائه: البيت المقدس: بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة - أي المطهر، وتطهيره: إخلاؤه من الأصنام.

وقد أوصل «الجراعي» (ت ٨٨٢هـ) أسماء المسجد الأقصى الى (٢٢) اسماً كما في كتابه «تحفة الراعي والساجد».

وقد صنّف العلماء الأسلاف في أخبار المسجد الأقصى وفضائله وتاريخه مصنفات فريدة، ودواوين عديدة، من أشهرها: «اتحاف الأخصاء بفضائل المسجد الأقصى» لابن أبي شريف (ت ٩٠٦هـ)، و«هجة الدمثة لما ورد في فضل المساجد الثلاثة» لابن فهد (ت ٩٥٤هـ)، و«المستقصى في أخبار المسجد الأقصى» للعلمي (ت ٩٤٨هـ)، وغيرها كثير[٥].

والحقائق التي ينبغي على كل مسلم أن يؤمن بها ويُسَلِّمَ بمعرفتها - في شأن المسجد الأقصى عديدة - يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

أولاً: التعريف بالمسجد الأقصى:

هو جامع كبير يقع في الجهة القبلية من ساحة المسجد الأقصى الشريف في مدينة القدس، وقديماً

{صلى الله عليه وسلم} قال: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى» متفق عليه.

٤ = مضاعفة الصلاة فيه :

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: «فُضِّلَتِ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلَى غَيْرِهِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ، وَفِي مَسْجِدِي أَلْفَ صَلَاةٍ، وَفِي مَسْجِدِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ خَمْسِمِائَةِ صَلَاةٍ، أَخْرَجَهُ الْمُنْزِفِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ وَعَزَاهُ إِلَى الطَّبْرَانِيِّ وَابْنِ خَرِزْمَةَ وَابْنِ الْبَزَارِ، وَقَالَ الْبَزَارُ: إسناده حسن» وقال الجراعي: ورد أن الصلاة فيه بخمسمائة، وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية: إنه الصواب.

٥ = كونه ثاني مسجد في الأرض :

عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن أول مسجد وضع في الأرض، قال: «المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: وكم بينهما؟ قال: أربعون عاماً» متفق عليه.

٦ = مباركة الأرض حوله :

أخبر الله تعالى عن المسجد الأقصى أنه بآرك حوله في قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} (الإسراء/١)، وفي الآية تأويلان: أحدهما أنه مبارك بمن دُفن حوله من الأنبياء المصطفين الأخيار، والثاني بكثرة الثمار ومجازي الأنهار.

المشرفة. وقد أشار القرآن الكريم إلى أن المتوجه إلى بيت المقدس كان ابتلاء من الله، ليعلم سبحانه من يتبع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ممن يرتد على عقبيه، فقال سبحانه: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ} (البقرة/١٤٣).

وقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كان أول ما قدم المدينة، نزل على أجداده أو أخواله - من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت.

٢ = الإسراء إليه والمعراج منه :

قبل الهجرة النبوية أسرى برسول الله {صلى الله عليه وسلم} - بجسده على الصخيخ - من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، راكباً على البراق، صحبه جبريل عليهما الصلاة والسلام، فزلا هناك، وصلى بالأنبياء إماماً، وروى البراق بحلقه باب المسجد - وقد نزل في ذلك قول الله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} (الإسراء/١).

وقد فصل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الحديث عن قصة الإسراء والمعراج، وذكر ما اشتملت عليه من المعجزات، كما في صحيح البخاري ومسلم من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه.

٣ = شد الرحال إليه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله



قبة الصخرة

ابن عيسى ومعاذ وكعب الأحنان رضي الله عنهم
أجمعين[٦].

ثالثاً : بناؤه وتأسيسه :

شاع عند كثير من المؤرخين والمصنفين نسبة بناء
المسجد الأقصى إلى داود أو سليمان أو يعقوب عليهم
وعلى نبيينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهذه النسبة
فيها «أغاليط كثيرة، وقد راجت وشاعت حتى أصبحت
من المسلّمات اليقينية»... وكل الآثار التي استدل
بها بعض الكتبة على بناء الأنبياء المذكورين أنفاً
للمسجد الأقصى إما ضعيفة أو موقوفة، وبعضها
يعزى إلى الإسرائيليات!

وقد زعم بعض المصنفين أن إبراهيم عليه السلام
هو الذي بنى المسجد الأقصى، واستدلوا على ذلك

وقد قال الله سبحانه: [باركنا حوله] ولم يقل:
باركنا عليه أو فيه، والجواب عن ذلك: أنه سبحانه قال:
[باركنا حوله] لتكون بركته أعم وأشمل، فإنه أراد بما
حوله ما أحاط به من أرض الشام وما قاربه منها،
وذلك أوسع من مقدار بيت المقدس، ولأنه إذا كان هو
الأصل، وقد بارك في لواحقه وتوابعه من البقاع كان
هو مباركاً فيه بالطريق الأولى بخلاف العكس، وقيل
أراد سبحانه البركة الدنيوية كالأنهار الجارية
والأشجار المثمرة، وذلك حوله لا فيه[٥].

ومن الأحكام المتعلقة بالمسجد الأقصى: كراهة
استقباله واستدياره بالبول والغائط، والحذر من اليمن
الفاجرة فيه، واستحباب إقامة صلاة العيد فيه قياساً
على الحرمين الشريفين، وهذه الأحكام لم ترد فيها
أحاديث مرفوعة، بل وردت فيها آثار وأقوال سبّغت عن

بحديث أبي ذر - رضي الله عنه - أنه قال: «قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة» متفق عليه.

ووجه الدلالة عندهم أن المسجد الأقصى من بناء إبراهيم لأنه حُدِّدَ بِمَدَّةٍ هي من مدَّة حياة إبراهيم عليه السلام، وقد قرن ذكره بذكر المسجد الحرام.

وقد أشكل هذا الحديث على بعض العلماء كابن الجوزي فقال: إنه معلوم أن سليمان بن داود هو الذي بنى الأقصى كما رواه النسائي بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو يرفعه: أن سليمان بن داود لما بني بيت المقدس سأل الله ثلاثاً... ومنها: وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ألا يأتيه أحد لا يتهزه إلا الصلاة فيه أن يخرج من خطبته كيوم ولدته أمه... وسليمان بعد إبراهيم كما قال أهل التاريخ بأكثر من ألف عام. وأجاب الزركشي: بأن سليمان عليه السلام إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه، والذي أسسه هو يعقوب بن إسحاق بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا القدر [٧].

وكلام ابن الجوزي والزركشي مُتَقَبَّحٌ من وجوه:

الأول: أن رواية عبد الله بن عمرو هذه جاءت بطرق أخرى في بعض ألفاظها اختلاف، منها ما أخرجه أحمد في مسنده مرفوعاً: «وسأله: أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد» وليس في متن الحديث أن سليمان عليه السلام بنى المسجد، وليس فيه لفظ البناء، أو أنه طلب من الله ما طلب عندما نهاه، فهو يشير إلى المسجد (هذا المسجد)، فيحتمل أنه يريد مسجد بيت المقدس الذي كان مبنياً من قبل، لأنه لم يقل إنه بناه، ويحتمل أنه أراد مسجداً بناه بجوار قصره!

الثاني: أورد الخطيب البغدادي بسنده هذا الحديث إلى عبد الله بن عمرو مرفوعاً وفيه: «من أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه أن يغفر له». وليس في هذه الرواية أن «سليمان عليه السلام» بنى المسجد الأقصى، وإنما فيه إشارة إلى البيت، وهذا يدل على أنه كان مبنياً فأشار إليه أو إلى موقعه القديم.

الثالث: رواية النسائي التي ساقها ابن الجوزي فيها زيادة ليست في الروايات الأخرى، ومنها: «حين فرغ من بناء المسجد» ولم يقل المسجد الأقصى، أو مسجد بيت المقدس. وعلى فرض أن الإشارة إلى المسجد الأقصى فإنه يعارض ما جاء في الصحيح أن بين بناء مسجد القدس، وبناء مسجد مكة أربعين سنة. ولو فرضنا أن إبراهيم بنى الكعبة، فإن بين إبراهيم وسليمان، حوالي ألف سنة، فكيف وقد صرح أن الكعبة أسست قبل إبراهيم عليه السلام [٨].

الرابع: إبراهيم عليه السلام لم يبن المسجد الأقصى بناءً تأسيساً، وإنما بناه تجديد وتوسعة، كما أنه لم يبن البيت الحرام، وإنما رفع قواعده كما في قول الله تعالى: [وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل] (البقرة/ ١٢٧) والذي بنى أساس البيت الحرام هو آدم عليه السلام، وقد قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - «فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم، ثم انتشر ولده في الأرض، فجازز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس».

وقال الخطابي: «يشبه أن يكون المسجد الأقصى أول من وضع بناءه بعض أولياء الله، قبل داود وسليمان».

وقال ابن حجر أيضاً: وقد وجدت ما يشهد ويؤيد قول من قال: إن آدم هو الذي أسس كلاً من المسجدين، فذكر ابن هشام في كتاب «التيجان» أن

أدم لما بنى الكعبة أمره الله بالسير الى بيت المقدس، وأن يبنيه، فبناه ونسك فيه» [٩].

الخامس : قول الزركشي: والذي أسسه هو يعقوب بن اسحاق، هذا القول متلقى عن بعض الأخبار الإسرائيلية، والشواهد التاريخية والجغرافية تأيى هذا المعنى. وقد قال بعض أهل العلم: إذا حسبنا الزمن بين رفع قواعد الكعبة على يد ابراهيم وإسماعيل، واحتمال بناء يعقوب المعبد - الذي أورده بعض المؤرخين - فإنه لا يكون أربعين سنة [١٠].

رابعاً: هيكل سليمان عليه السلام لم

يبن في بقعة المسجد الأقصى:

هيكل سليمان: أهم مبنى للعبادة اليهودية في فلسطين، شيده سليمان عليه السلام، وأنفق في بنائه أموالاً طائلة. وكان الهيكل في أول أمره خيمة من خشب، وله عند اليهود منزلة عظيمة في نفوسهم، وشاء الله أن يهدم البابليون الهيكل في التاسع من آب (٥٨٦ ق م)، ثم أعيد بناؤه عام (٢٥١ ق م)، ولكن الرومان حطموه عام (٧٠ م)، وللإهود في أمر الهيكل ووصفه أخبار تطول ليس هذا محل بسطها [١١].

وقد زعم الإهود قديماً وحديثاً أن الهيكل الذي بناه سليمان كان في موقع المسجد الأقصى، وهذا الزعم لا دليل عليه، إذ خلت أرض المسجد الأقصى من كل ما بناه سليمان عليه السلام، لأن الهيكل الذي بناه سليمان عليه السلام انهدم واحترق، ونقل ترائه بعد موت سليمان بثلاثة قرون تقريباً، عندما غزا بُحْتَنَصْرُ مدينة القدس سنة (٥٨٩ ق م)، ودمر مدينة أورشليم وأسوارها وهيكلها وأحرقها بالنار، ونهب خزانها، وأجلى سكانها إلى بابل.

وقد ذكر «يوسف جورج» في (قاموس الكتاب المقدس) إن كنيسة العذراء، التي بنيت في عهد

«يوسفتينات» هي موقع الهيكل. والتواريخ اليهودية القديمة التي وصفت هيكل سليمان عليه السلام لم تحدد المكان الذي بني فيه، بل إن بعضها تعتقد أن الهيكل بني فوق جبل (جرزيم) في ظاهر نابلس [١٢]. أما اعتداء اليهود على المسجد الأقصى وقيامهم بالحفر عند سوره والمناطق الملاصقة للحائطين الجنوبي والغربي، مما تسبب في تلفظهم إلى مسافة (٢٢٠ م) أسفل المسجد وعقارات الوقف الإسلامي التابعة له، كل هذا ليس من أجل استخراج الهيكل كما زعموا، بل هم يهدفون من وراء ذلك إلى إزالة المسجد الأقصى ونسفه من الوجود!

وفي سنة (١٩٨١ م) أعلن اليهود أنهم توصلوا من خلال حفرياتهم الى نفق يمتد تحت المسجد الأقصى، يصل ما بين أسفل حائط المبكى وقبة الصخرة المشهورة، وزعم بعض الصاخامات أن هذا النفق هو أقدس الأماكن اليهودية، وأنه أهم من حائط المبكى، إذ هو على حد زعمهم - بوابة «كيفونوس» الواردة في كتاب التلمود [١٣].

خامساً : تصحيح أغاليط مشهورة تتعلق

ببيت المقدس:

أ - اطلاق لفظ «بيت إيل» على بيت المقدس:

وهذه التسمية جاءت من الإسرائيليات، ومن أطلقها على بيت المقدس فقد أبعد النجعة، لأن «بيت إيل» بعيدة عن بيت المقدس، حيث تقع في منطقة (رام الله) [١٤].

ب - الاعتقاد في صخرة بيت المقدس:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - أن بعض الناس يتخذون «الصخرة» قبلة يصلون إليها، ويطوفون بها، وبعضهم يرى مشروعية ذبح الأصحية عندها، ويسافر إليها بعد عشية يوم عرفة، وكل هذا من

المواضع مما لا يقره الله تعالى ولا يُرسله عليهم الصلاة والسلام. وكل من زعم بوجود ما تقدم فقد تكلف ما لا علم له، وتسبب إلي دين الله ما لم يقع [١٦].

د - إعتقاد وجود الصراط والميزان عند الصخرة، أو أن السور الذي يضرب به بين الجنة والنار هو ذلك الحائط المبني شرقي المسجد، أو اعتقاد تعظيم السلسلة.

وكثير من الخواص والعوام يعتقد مثل ذلك، ولم يرد نص صحيح في ثبوت ذلك، ولا يشرع تعظيم تلك الأماكن عند عدم وجود الدليل. وقد تناقل بعض الرحالة المسلمين ما شاع بين كثير من الناس كتسمية وادي «قدرون» في بيت المقدس بـ «وادي جهنم» لاعتقادهم أن عيسى عليه السلام رفع منه، وعليه ينصب الصراط!!.

قال ناصر خسرو الذي زار القدس عام (٤٣٨هـ): وقد سألتُ من أطلق هذا اللقب على وادي جهنم؟ فقلت: إن عمر رضي الله عنه أنزل جيشه في سهل السامرة - أرض شمال القدس، وفيها مقبرة للمسلمين - فلما رأى الوادي قال: هذا وادي جهنم، قال: ويقول بعض العوام: إن من يذهب إلى نهاية الوادي يسمع صياح أهل جهنم، فإن الصدى يرتفع من هناك. قال: فذهبتُ فلم أسمع شيئاً [١٧].

ومن المؤكد أن مثل هذه الأخبار متلقى عن عقيدة اليهود والنصارى، إضافة إلى أحاديث القصاص والأخباريين.

هـ - تعظيم كنيسة القيامة:

وقد أنشأها النصارى في المكان الذي يعتقدون أن المسيح - عليه السلام - صلب ودفن فيه!! ومن أجل ذلك أطلقوا على هذه الكنيسة «كنيسة القيامة» أي أن المسيح - عليه السلام - قامت قيامته في ذلك الموضع، والمسلمون يطلقون عليها «كنيسة القمامة» لأنها كانت مزبلة ترمى فيها الأوساخ والأقذار. هذه الكنيسة من أهم الأماكن الدينية في جميع أنحاء العالم، يحج إليها

الضلال والإبتداع في دين الله، وبعض المؤرخين يطلقون عليها «الصخرة المقدسة» لأن جبريل عليه السلام عرج بمحمد (صلى الله عليه وسلم) من عندها، والأولى عزم أضافة وصف «المقدسة» للصخرة، لأن التقديس: التعظيم، ولا وجه في الشرع لتعظيم ما لم يعظمه الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم).

ولما فتح عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بيت المقدس في سنة خمس عشرة من الهجرة، وكان على الصخرة زبالة عظيمة، لأن النصارى كانوا يقصدون إهانتها مقابلة لليهود الذين يصلون إليها، فأمر عمر - رضي الله عنه - بإزالة النجاسة عنها، وقال لكعب الأحبار: أين ترى أن نبني مصلى المسلمين؟ فقال: خلف الصخرة! فقال: يا بن اليهودية، خالطتك يهودية، بل أثبتني أمامها، فإن لنا صدور المساجد.

قال شيخ الإسلام: ولهذا كان أئمة الأمة إذا دخلوا المسجد قصدوا الصلاة في المصلى الذي بناه عمر، وقد روي عن عمر - رضي الله عنه - أنه صلى في محراب داود - عليه السلام - وأما الصخرة فلم يصل عندها عمر - رضي الله عنه - ولا الصحابة، ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة، بل كانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي ومعاوية ويزيد ومروان، ولكن لما تولى ابنه عبد الملك، الشام، ووقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة، كان الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير، فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن ابن الزبير، فبنى القبة على الصخرة، وكساها في الشتاء والصيف، ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس، ويشتغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير [١٨].

ج - اعتقاد وجود قدم الله تعالى على الصخرة، أو قدم الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وأثر عمامته:

يعتقد بعض الغلاة من الجهال وغيرهم بوجود موضع قدم الرب تعالى على صخرة بيت المقدس، وبعضهم يعتقد وجود أثر قدم الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وأثر عمامته. ويحدث التبرك والغلو في تلك

كما أشرنا إليه في مطلع هذه المقالة.

وقد أحسن أحد الشعراء حين قال في وصفه:

لله بالبيت المقدس جامع

بهر النواظر نوره وضياؤه

منه الجوانب وأسعادت تجلي

وزمت بطلعة قبته سماؤه

حيث المدارس حوله قد أشرقت

تمتد من أشجاره أقيانم [٢٠]

الهوامش :

- (١) المعجم الوسيط، مادة (حق).
- (٢) معجم الموضوعات المطروقة (ص/٢٩٥).
- (٣) الموسوعة العربية العالمية ٢٣/ ٢٠٦ - ٢٠٧.
- (٤) مجموعة الفتاوى (١٤/ ١٢).
- (٥) سبل الهدى والرشاد للصابي (٣٣/ ٣).
- (٦) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٧/ ٢٣٤ - ٢٣٥).
- (٧) إعلام الساجد للزركشي (٢٩ - ٣٠).
- (٨) بيت المقدس لمحمد شراب (ص/ ٢٧٠) وما بعدها.
- (٩) بيت المقدس لمحمد شراب (ص/ ٣٠٠).
- (١٠) المصدر السابق.
- (١١) الموسوعة الصهيونية (ص/ ٤٢٥).
- (١٢) بيت المقدس لمحمد شراب (ص/ ٢٧٥) وما بعدها.
- (١٣) الموسوعة العربية العالمية (٢٣/ ٢١٠).
- (١٤) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم (ص/ ٢٧).
- (١٥) مجموعة الفتاوى (١٤/ ١١).
- (١٦) المصدر السابق.
- (١٧) سفر نامة (ص/ ٥٦ - ٥٧).
- (١٨) بيت المقدس لمحمد شراب (ص/ ٥١٥).
- (١٩) نزهة المشتاق للإدرسي (ص/ ٣٠٠).
- (٢٠) الموسوعة العربية العالمية (٢٣/ ٢١١).

النصاري من جميع الأقطار النصرانية، وهي فسيحة من داخلها وعظيمة الزخرف، ومطلية من الذهب، وفيها من التصاوير التي صورها النصاري: صورة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وعيسى ومريم - عليهم السلام جميعاً [١٨]

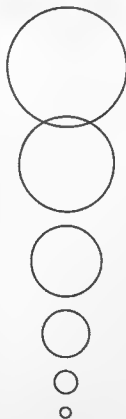
وقد أسهب بعض الرحالة المسلمين - ممن زاروا بيت المقدس - في وصفها والاشادة بها، حتى قال بعضهم، «إنها من عجائب الدنيا»، وغير ذلك من عبارات الثناء والإعجاب [١٩].

(و) إطلاق اسم المسجد الأقصى على مسجد قبة

الصخرة :

يرمي اليهود الى طمس المعالم التاريخية الإسلامية من أجل تحقيق مآربهم الفاسدة وغاياتهم الخبيثة. ودليل ذلك ما تناقلته وسائل الإعلام اليهودية من نشر صور لمسجد قبة الصخرة وتعريفه بأنه المسجد الأقصى! وقد عثر بعض الباحثين في بعض المؤسسات الإسلامية على صور مسجد قبة الصخرة، وتبين له من خلال سؤالبهم عن تلك الصور، أنهم يعتقدون أنها صور المسجد الأقصى!! ولعل من أسباب هذا الخلط بين صورة مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى، عدم فهم كثير من الناس لدلول المسجد الأقصى، فالمسجد الأقصى له إطلاقان: عام وخاص، فالعام يقصد به: المسجد الذي تقام فيه صلاة الجمعة بالإضافة الى الصلوات الأخرى، وكذلك الصخرة، وجامع عمر، وجامع المغاربة، وجامع النساء، ودار الخطابة، والزاوية الختية، الزاوية البسطامية، وقبة موسى، بالإضافة إلى الأروقة والمنائر والمصاطب والأبواب والآبار وغرف السكن، ومخرباب مريم، ومخرباب زكريا - عليهما السلام. أما الخاص فالمقصود به المسجد الذي تقام فيه صلاة الجمعة وهو المتعارف عليه في عصرنا الحاضر - وهو بناء عظيم به قبة مرتفعة، يمتد بناؤه من جهة القبلة الى الشمال في سبعة أروقة متجاورة مرتفعة على الأعمدة الرخامية،

الإسلام والفنون الجميلة



(الحلقة الثانية)

❖ الأستاذ الدكتور محمد حمادة، من الأقلام المتميزة في طرح القضايا الإسلامية، وقضايا الاجتماع، ما يتعلق به وما يرتبط به. كل ذلك من خلال رؤية إسلامية عميقة ناهضة تستقرى، ثوابت الديب المكنون الأساسي لثوابت هذه الأمة.

ومجموع كتاباته ينتظم في عقد متماسك الخلفات، لبشكل منظومة حضارية، أو لنقل مقدمة منظومة حضارية متكاملة، يظل الجهد ميزولا لأكمال حلقاتها من علمائنا الاجلاء، كل في مجال تخصصه.

الدكتور محمد حمادة ظل ويظل بإذن الله تعالى. واحداً من علماء هذه الأمة الاجلاء، وواحداً من مفكرها، يصرف كل وقته وجهده من أجل الإحلاء من شأن كل القيم الرفيعة التي تميزت بها هذه الأمة ذات الرسالة الخاتمة. وكتاباته ومجاهداته ونذواته ولقاءاته كلها تشهد له بهذا.

الأستاذ الدكتور محمد حمادة منذ بضع سنوات خلت خصّ وأثر مجلته المنهل بعدد وافره من الدراسات والبحوث نشرت في صفحات المنهل على مدى السنوات الفائتة، وآخر سلسلة وليست الاخيرة. كانت بعنوان (من زعماء الإصلاح) وهي من (الدكتور عبد الرزاق السنهوري). ونشرت في ثماني حلقات متتاليات، آخرها في عدد رجب ١٤٢١ هـ.

وكانت المنهل قد سعدت بإجراء حوار صريح مع الدكتور حمادة، نشر في العدد (٥٧٥) العام ١٤٢٢ هـ.

ويبقى الود هو صولاً مع استاذنا الدكتور حمادة، وهذه سلسلة جديدة من دراساته وبحوثه المتميزة، تحمل فكره واستقراءه، واستنباطه، وهي بعنوان (الإسلام والفنون الجميلة).

والمنهل لا شك سعيد بالدكتور حمادة، وسعيد بكل الاساتذة الافاضل الكرام الذين آثروه بعلمهم وفكرهم، وفضلهم.



بقلم المفكر الإسلامي: أ. هـ. محمد عمارة

- مصر -

المسرفين * قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي الذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون [٤].

ونحن نلاحظ أن هذه الآيات تدعو الإنسان - مطلق الإنسان (يا بني آدم) وليس المسلمين وحدهم، وذلك تنبيهها على أن هذا هو مقتضى الفطرة التي فطر الله الناس عليها، طلب الزينة والجمال... وتصحيحا للانحراف الذي جعل العبادة رهبانية تدير الظاهر لصفات الحسن ومظاهر الجمال في هذه الحياة [قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق]... إنه المنهج الاسلامي، الذي يعيد الإنسان - في هذه القضية، كما في سواها - الى «فطرته»، والتي يمثل التجميل والتزين ملمحا أصيلا من ملامحها... وفي حديث عائشة، رضي الله عنها، يقول رسول الله [صلى الله عليه وسلم] «عشرة من الفطرة: قص الشارب، وقص الظافر، وغسل البراجم» [٥]، وإعفاء اللحية، والسواك، والاستنشاق، وتنف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء» [٦]... [٧].

وإذا كان «المسجد» في العرف الاسلامي، هو: مطلق مكان السجود، ولذلك كانت الأرض كلها مسجداً لأبناء الاسلام، فإن اتخاذ الزينة هو فريضة اسلامية في الأوقات الخمسة التي يمثل فيها المسلم، يومياً، بين يدي مولاه... أي أنها فريضة اسلامية في كل زمان - تقريباً - وفي أي مكان.

وهذه الفريضة بتأكد التنبيه عليها في أيام وأماكن الاجتماع، كالجمع والأعياد... وفي حديث رسول الله [صلى الله عليه وسلم] «ما على أحدكم، إن وجد سعة، أن يتخذ ثوبين لجمعة، سوى ثوبى مهنته» [٨]... «ومن اغتسل - أو تطهر - فاحسن الطهور، وليس من أحسن ثيابه، ومس ما كتب الله له من طيب أو دهن أهله، ثم

وإذا كان المسلم - بحكم إيمانه وإسلامه - مدعوا الى التخلق بأخلاق الله، ليكون ربانياً، ومطلوب منه أن يسعى، قدر الطاقة - ومع ملاحظة فوارق المطلق عن النسبي - أن يسعى كي يتحلّى بمعاني أسماء الله الحسنى... فإن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يعلمنا أن «الجميل» هو من أسماء الله... ففي الحديث الشريف: «إن الله جميل يحب الجمال» [٩]... فالسليم، إذن، مدعو الى الاتصاف بالجمال، الذي هو البهاء والحسن، في الفعل وفي الخلق، والى تنمية إحساسه بالجمال الذي أودعه الله في الكون، جمال الصور وجمال المعاني على حد سواء» [١٠].

ففي ذلك «كمال» للإنسان و«سعادة» له أيضاً... وكما يقول الإمام الغزالي «فإن كمال العبد وسعاده في التخلق بأخلاق الله تعالى والتحلّى بمعاني صفاته، وأسمائه، بقدر ما يتصور في حقه... ليقرب بها من الحق قريبا بالصفة لا بالمكان... لأن استعظام الصفة واستشرافها يتبعه شوق الى تلك الصفة وعشق لذلك الجلال والجمال، وحرص على التحلى بذلك الوصف إن كان ذلك ممكناً... أو يبعث الشوق الى القدر الممكن منه لا محالة... وبذلك يصير العبد ربانياً، أي قريبا من الرب تعالى» [١١]... عندما يكون جميلاً، يتصف ويستمتع بصفات وآيات الحسن والبهاء، التي أبدعها الباري... «الجميل، الذي يحب الجمال».

ولأن هذا هو موقف المنهج الاسلامي من آيات الجمال والزينة المبثوثة في الكون، ومن صفات الحسن والبهاء المتاحة للإنسان في هذه الحياة، كانت دعوة القرآن الكريم الناس الى اتخاذ الزينة عند كل مسجد، أي الى إقامة التلازم وعقد القران بين التزين وبين دعاء الله والمثول بين يديه، فكلهما - التزين، والصلاة - شكر لله سبحانه وتعالى... [يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، إنه لا يحب

أتى الجمعة، فلم يبلغ ولم يفرق بين اثنين، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»[٩].

ولا يحسن أحد أن «الزينة» التي يطلبها الإسلام ويأمر بها مقصورة على الثياب الحسنة، والطيب وحسن التجميل، فقط، عند المثل بين يدي الله في الصلاة. ذلك أن «الزينة» إذا كانت اسما جامعا لكل شيء يتزين به[١٠]. فإن مصادرها طلبها، ومواطن الإحساس بها مثبتة في كل آيات الجمال التي خلقها الله وأبدعها وأودعها في سائر أنحاء هذا الوجود. ففي الجنات وأزهارها وورودها - بل إن في مطلق النبات - زينة للأرض، تتزين بها، وتتجمل، كي يستمتع بها الإنسان. ولقد كان من دعاء النبي، (صلى الله عليه وسلم) في حديث الاستسقاء «اللهم أنزل علينا في أرضنا زيتها». وكانت دعوته إلى تزين قراءة القرآن بالصوت الحسن: «زينوا القرآن بأصواتكم»[١١].

فالخيل «ستر وجمال للرجل يتخذها تكريما وتجمالا، ولا ينسى حق بطونها وظهورها وعسرهما ويسرها»[١٢].

والثياب الجديدة، نعمة لا يقف المسلم إزاءها عند «منفعتها المادية» وحدها، وإنما يحرص فيها «المعاني الجمالية» للثوب الجديد. وفي الحديث الذي يرويهِ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) «من استجد ثوبا فلبسه، فقال حين يبلغ ترقوته: الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتى، وأتجمل به في حياتى، ثم عمد إلى الثوب الذي أخلق - أو قال: ألقى - فتصدق به، كان في ثمة الله تعالى وفي جوار الله وفي كف الله حيا وميتا، حيا وميتا، حيا وميتا»[١٣].

فالثياب «للمنفعة المادية»، و«للتجمل» كذلك. ولقد قال رسول الله، (صلى الله عليه وسلم) لعمر بن الخطاب، وقد رآه لبس ثوبا جديدا: «إليس جديدا، وغش حميدا، ومث شهيدا، ويرزقك الله قرعة عين في الدنيا والآخرة»[١٤].

ولقد ميز الإسلام ما بين طلب الجمال، والاستمتاع به، عندما يحكمه الاقتصاد والاعتدال،

وعندما يكون شكرا لأنعم وأهب هذا الجمال، وبين «الكبر» الذي نهى عنه الإسلام، وتوعد مقترفيه. فعندما قال رسول الله، (صلى الله عليه وسلم) في الحديث الذي يرويهِ ابن مسعود: «لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر». عند ذلك قال رجل:

- يا رسول الله، إنى ليعجبني أن يكون ثوبى غسلا، ورأسى دهينا، وشراكتى [١٥] جديدا - وذكر أشياء، حتى ذكر علاقة سوط [١٦] - أفمن الكبر ذاك يا رسول الله؟

- فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «لا! ذاك الجمال، إن الله جميل يحب الجمال. ولكن الكبر من سقَّ الحق وأزدرى الناس»[١٧].

فالجمال محمود. بل هو سعى على درب الاتصاف بطرف من صفات الله المخلقة في أسمائه. وليس هو الكبر المذموم، الذي هو تسفيه الحق وأزدراء الناس.

وأیضا. فليس هذا الجمال هو «البغى» الذي ينهى عنه الإسلام. ولقد سأل الصحابي مالك بن مرارة الرهاوي، رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال:

- يا رسول الله، قد قسم لى من الجمال ما ترى، فما أحب أحدا من الناس فضلتى بشراكين فما فوقهما! أفليس ذلك هو البغى؟!

- فقال، (صلى الله عليه وسلم): لا! ليس ذلك بالبغى، ولكن البغى من بطر - أو قال: سفه الحق وغطت الناس [١٨].

فالحرص على التجميل، إلى حد التنافس في الاتصاف بصفاته والجمع لمؤهلاته، ليس من «البغى» الذى ينهى عنه الإسلام.

ولقد أباح الإسلام للمرأة أن «تتجمل للخطاب» إظهارا لإنعمة الجمال، وطلباً للزواج. وفي حديث الصحابية سبيعة بنت الحارث الأسلمية: «عندما توفي عنها زوجها سعد بن خولة، ووضعت حملها منه، وورثت

الحسنى - انظر: الغزالي (المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) ص ١٠٧. طبعة القاهرة سنة ١٩٦١م.

(٢) انظر تعريف «الجمال» في (لسان العرب) لابن منظور.

(٣) (المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) ص ٢٠، ٢١.

(٤) سورة الاعراف/ ٢١، ٢٢.

(٥) البراجم: مفردا برجمة - يضم الباء وسكون الراء وضم الجيم - عقد الأصابع ومفاصلها كلها، أو هو خطوط الكف التى يترسب فيها الفبار.

(٦) انتقاص الماء من معانيه: الاستجاء.

(٧) رواه النسائى (ولقد ذكر راوى الحديث تسع صفات، ونسب العاشرة).

(٨) رواه ابن ماجه.

(٩) رواه ابن ماجه والإمام أحمد.

(١٠) انظر معنى مصطلح «الزينة» في (لسان العرب) لابن منظور.

(١١) رواه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه والدارمى والإمام أحمد.

(١٢) من حديث أبى هريرة - رواه مسلم والإمام أحمد.

(١٣) رواه الترمذى وابن ماجه والإمام أحمد.

(١٤) رواه ابن ماجه والإمام أحمد.

(١٥) شارك النعل : السير يكون على وجهها.

(١٦) علاقه السوط: السير في مقبض السوط، يعلق منه.

(١٧) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه والإمام أحمد.

(١٨) رواه أبو داود والإمام أحمد. (والشرائح: السير يكون على وجه النعل).

(١٩) رواه مسلم والنسائى وأبو داود.

(٢٠) رواه الإمام أحمد.

(٢١) سورة يونس/ ٢٤.

من نفاسها «تجملت للخطاب».. فدخل عليها أبو السنابل بن بعلك - من بني عبد الدار - فقال لها: مالى أراك متجملة، لعلك ترجين النكاح؟! إنك، والله، ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر - فذهبت سبيعة الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسالت عن ذلك - عن «العدة» - وليس عن «التجمل للخطاب» فلم يكن ذلك موضع خلاف! قالت: «فاقتانى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بانى قد حلت حين وضعت حملى، وأمرنى بالتزويج إن بدا لى» [١٩].

بل لقد رأينا «الجمال» والتجمل» نعمًا ، يدعو الرسول ربه أن يسبغها الله على الصحابى أبى زيد الأنصارى، فيقول في الدعاء له: «اللهم جملة وأدم جماله» [٢٠].. ووجدنا القرآن الكريم يتحدث عن زينة الأرض وزخرفها كمهمتين من مهام خلافة الانسان عن الله في عمرائها، ان تنتهى هذه الخلافة، بطى صفحة هذه الحياة الدنيا إلا إذا بلغ الانسان الشؤ في هذا السبيل [إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما ياكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وزينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمركنا ليلا أو نهارا فحططناها حصيدا كان لم تقن بالأمس، كذلك فنصل الآيات لقوم يفكرون] [٢١].

هذا هو منهج الاسلام إزاء آيات الجمال والحسن والبهاء والزينة والزخرف التى أبدعها الله وأودعها في الوجود، طالبا من الانسان النظر فيها، والاستقبال لتأثيراتها، والاستمتاع بمتاعها، شكرا لله على إبداعها، وعلى إبداعه الحواس المستقبلية لتأثيراتها، وتخلقا ببعض من صفات الله، سبحانه، الذى هو «جميل يحب الجمال» ، كما قال عليه الصلاة والسلام - للبحث صلة -

الهوامش:

(١) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه والإمام أحمد - وهو في إحدى روايات أبى هريرة لحديث أسماء الله



المشكاة وحدة تاريخ ورمز ديني وفني وجمالي

- مشكاة زجاج مذهبة .. صناعة يدوية باللون الأخضر
والانزق والاصفر والابيض عام ١٢٥٦م .. صنعت لاجل
السلطان حسن . (المتحف الاسلامي بالقاهرة)

المشكاة على الزجاجاة أو القنديل الذي كان يوضع فيه
المصباح وكان من فوائده حفظ نار المصباح من هبات
الهواء وتحويلها الى ضوء ينتشر بهدوء في أرجاء
المكان .

وكان المصباح يثبت في داخل المشكاة بواسطة
سلوك تربط بحافتها ، أما المشكاة نفسها فكانت توضع
معلقة داخل المساجد وغيرها بسلاسل من الفضة أو
النحاس الأصفر تشبك بالمقابض التي تلف حول بدن
المشكاة وكانت السلاسل تجمع احياناً عند كسرة
مستديرة أو بيضية الشكل تتصل بها سلسلة تنزل من
السقف .

وتشبه المشكاة في شكلها العام إناء الزهور وهي
ذات بدن منتفخ ينساب إلى أسفل وينتهي بقاعدة لها
رقبة على هيئة قمع متسع الألوان بين الأحمر والأخضر
والابيض والوردي .

وترجع المشكاوات المعروفة كلها تقريباً الى دولة
المماليك حيث يبدو إن صناعة المشكاوات قد بلغت
أوجها بصفة خاصة في القرن الثامن الهجري - ١٤م .
وفي كثير من الأحيان كانت المشكاة تستخدم
كوحدة للتاريخ حيث كان يكتب عليها اسم السلطان أو
الحاكم ومدة حكمه وتاريخ صناعة المشكاة .

قال تعالى: {الله نور السموات والأرض مثل نوره
كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجاة
كأنها كوكب نرى يُوقد من شجرة مباركة زيتونة لا
شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله
الأمثال للناس والله بكل شيء عليم} (النور/ ٣٥) .
- كثيراً ما نقرأ هذه الآية الكريمة ونمر عليها مَرَّ
الكرام، ومن هنا نود أن نسأل ما هي المشكاة وما
فوائدها، وهل معنى كلمة مشكاة هو نفس المعنى الذي
يجول بخواطرها؟

للإجابة على كل هذه التساؤلات يجب أن نتوقف
لبرهة لنتعرف على ماهية المشكاة واستخداماتها
وتاريخها .

فعندما نعود الى معنى كلمة مشكاة في معاجم
اللغة نجد الآتي :

- المشكاة هي ما يحمل عليه أو يوضع فيه القنديل
أو المصباح .

- وهي بلغة اهل الحبشة كل كوة غير نافذة .

- وفي تفسير ابن كثير، في قول عباس ومجاهد
في موضع القنديل من القنديل .

- وقد اطلق علماء الفنون والآثار الإسلامية كلمة

بقلم : د. بهاء الدين يوسف غراب

- مصر -



- مشكاوات من العصر العثماني مصنوعة من الزجاج الابيض الشفاف العالي من الزخرفة/ مسجد محمد على القاهرة.

وتعتبر المشكاة عنصراً مهماً من العناصر التي تميز بها الفن الإسلامي حيث إنها تستخدم في المباني الإسلامية دون غيرها.

وتصنع هذه المشكاة من الزجاج، ونجد ان صناعة الزجاج قد استقرت في مصر أثناء القرن السادس عشر قبل الميلاد ثم أخذت تتقدم فيها على مر العصور، ولقد أضاف المسلمون لهذه الصناعة خبرات كثيرة سواء من الناحية الفنية أو التطبيقية، ولقد ارتقت صناعة الزجاج بصفة خاصة في العصر الفاطمي على يد الصناع المصريين الذين عرفوا اساليب صناعية مثل النفخ واستخدام القالب والزخرفة بالإضافة الى القطع والطبع والتذهيب والتلوين والبريق المعدني كما صنعوا أنواعاً من الأواني الزجاجية تقليداً للبلور الصخري، ولقد ورث الصناع المصريون والسوريون في عصر الأيوبيين والمماليك هذه التقاليد الفنية الراقية، ولقد تفوق الصناع في عهد المماليك في تمويه الزجاج بالملينا والذهب واستخدموا هذه الطريقة في زخرفة كثير من الأواني الزجاجية المختلفة، وتتجلى براعتهم بخاصة في فن المشكاوات.

وعند تحليل المضمون الجمالي والبناي للمشكاة الإسلامية نجد التالي:

- التماثل : تتوافر بنائية التماثل في جميع الأشكال

في الفنون الإسلامية، حيث إن التماثل قاتنون الحياة وهو اتزان بين الليل والنهار وبين الخير والشر.

- اللون الأزرق : ويرمز الى السماء بحالتها من قيم دينية وهو مستمد من الفنون الساسانية.

- اللون الاحمر القاني «الفيرميون» : ويرمز إلى

الحياة وهو مستمد من الفن الساساني ايضاً حيث لم تعرف فنون الشرق ذلك اللون من قبل حيث إنهم قاموا باستمداد هذا اللون من الفنون الساسانية التي كانت موجودة من قبل.

- اللون الأصفر «الكناري» : وهو أحد عناصر الألوان الأساسية في الفن الساساني ايضاً والذي ارتبط بشجرة الحياة وما يرتبط بها من ثمار وفاكهة وأغاب.

- اللون البني : وهو رمز للأرض ودورها في حياة المسلم وهو اللون السائد في الفنون العربية الإسلامية.

- الجمات : وهي رموز إسلامية ذات أشكال بنائية أو هندسية، يكتب داخلها أسماء الملوك والسلاطين والتاريخ.

- شجرة الحياة : وهي تأثير ساساني يوصف الحياة بأنها شجرة.

- الخط : استخدم الخط الكوفي بأشكاله المزهر والمورق والمضفر.

- الرنوك : وهي إشارات الملوك والرؤساء والحكام.

- الأشطرط : وهي وحدات هندسية تحمل غالباً وحدات دعائية للملوك والسلاطين.

- التكرار : وهو سمة واضحة في جميع الفنون الإسلامية.

- القيمة الدينية : هي مصدر للضوء الذي يشع نوره في جميع أرجاء المكان.

- القيمة الجمالية : التوافق اللوني المتكامل من خلال مجموعة من الأشكال والألوان التي تعتمد اساساً على الاتزان.

فن الخط العربي في ذاكرة الغرب

غوتيه» قائلا «إن السفر إلى الجزائر أكثر أهمية بالنسبة إلى المصورين الغربيين من السفر إلى إيطاليا».

وأعطى هذا الانطباع نقطة الالتقاء بين الغرب والشرق. وإن كتاباً آخرين زاروا البلاد العربية في بداية القرن العشرين من أمثال/ موريس باريس، وبوهامل، وقلبوير وأندريه جيد، وموياسان، وريكله فأجمعوا جميعاً على تعريف فنانيهم على ذلك العالم المدهش الذي كانوا يجدونه في بلاد الشرق.

وامتد التأثير العربي على الفن الغربي عبر المعاهد التي تأسست في البلاد العربية على يد الغرب فالباحث اليوناني «الكسندر بابا دويول» كتب باللغة الفرنسية ما معناه: «إن الخط العربي فن رائد وأساسي وذلك على عكس موقع الخطوط لدى العديد من الشعوب الأخرى». وباحث آخر هو تيفوس بوركات «أشار إلى الأهمية الفنية للخط العربي فاعتبره أيقونة العرب والمسلمين» أما أوليه غرابار فقد أولى اهتمامه الرئيسي لفن الزخرفة الإسلامية واعتبر الخط العربي جزءاً متمماً لهذه الزخرفة وأضاف عليهما سيمه «الكتابة المقدسة» ويقول: «غوستاف مور» إن الشرق هو مخزن الفنون، وأنه قبله الفنان الحديث وإن

للخط العربي سمات بارزة وقيم خالدة... هذا الفن الجميل الذي شهد العالم بعظمته وعبقريته، هو الانطلاقة الأولى للمسلمين الأوائل الذين فتحوا البلاد والأمصار ينشرون الدين الإسلامي الحنيف في كل بقاع الأرض ومعهم لفنتهم العربية السامية التي تمكنت من زرع جنود الإبداع والخصوصية لهذه الرسالة الخالدة فقصت على كثير من اللغات وحلت محلها وأصبحت هي اللغة الرئيسية التي استخدمها أهل البلاد الأصليين.

فكتب بها الإبرانيون والسلاجقة والعثمانيون والأكرد والطاجيك والأوزبك وبلاد الحبشة وكشمير وغيرهم. وفي الغرب الأوروبي ومع بداية الثورة التي تفجرت في نطاق الفكر والفن وأسلوب الحياة أعلن الفنانون خلالها ثورتهم على الحضارة البورجوازية، مستخدمين في ذلك الرغص الكامل للقيم التقليدية والنزوح بعيداً عن الواقع الذي تم سقوطه وتجلي هذا النزوح بالجوء إلى بلاد الشرق.

فيبدأ الاستشراق الفني قديماً منذ القرن التاسع عشر وكان «دولاكروا» الفاتح الأول لطريق الاستشراق إلى الجزائر والمغرب عام ١٨٣٠م وأعرّب «نيوفيل



بقلم : **موصوم محمد خلف** - سوريا



- «وكل شيء عنده بمقدار» بخط جلي التثا للخطاط عكلة الحمد/ سوريا .



لوحة رقم ١ : هم لآله المكرمة (وفاة غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)
من خط المرحوم غزلان وهي حافلة بخطوط التي تتشابه وتتشارك كمستويات في حلة
رائعة ، ويعلل إتيانها متحرك وهي كلمة «كما يقول الصولي في أدب الكتاب» أو كما
يقول المتنبي : تنادى سككون الحسن في حركتها

- «والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون» من خط المرحوم غزلان .

فن المنمنمات قد فجر جميع
إمكاناته وأنه عليها أكد
أبحاثه الفنية».

ويعترف بيكاسو مرة
«أن أقصى نقطة أردت
الوصول إليها في فن
التصوير، وجدت الخط
الإسلامي قد سبقني إليها
منذ أمد بعيد».

والبروفيسور مارتن
لنكس خبير المخطوطات

العربية يصف الخط العربي
بأنه التشكيلية والمعنوية
فلمعنى الكلمة ودلالاتها
ولظهرها التشكيلي ما
يتناسب مع الدلالة المعنوية .

ويقول أستاذ اللغات
الشرقية في جامعة استانبول
المستشرق ريتزر وهو من
الأساتذة المخضرمين الذين
حضرُوا وحاضروا في
العهد العثماني والكمالي
قال:

«إن الطلبة قبل الإنقلاب

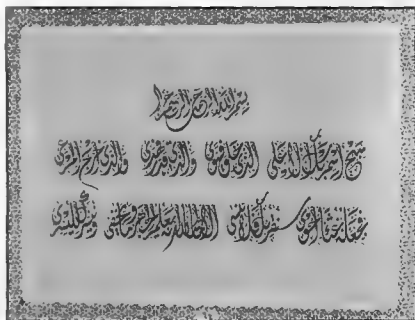
الأخير في تركيا كانوا يكتبون ما أتوا عليهم من محاضرات بسرعة فائقة لأن الحرف العربي اختزال في طبيعته، أما اليوم فإن الطلاب يكتبون بالحرف اللاتيني، ولذلك فهم لا يفتأون يطلبون التي أن أعيد عليهم العبارات مراراً، أنهم معنورون ولا شك في ما يطلبون، لأن الكتابة اللاتينية لا اختزال فيها فلا بد من كتابة الحروف بتمامها، ثم أضاف قوله: «إن الكتابة العربية أسهل كتابات العالم وأوضحها، فمن العبث اجهاد النفس في ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل وتوضيح الواضح».

كما يؤكد المؤرخ الإنكليزي أرنولد توينبي حيث يقول: «لقد انطلق الخط العربي الذي كتب به القرآن الكريم غازياً ومعلماً مع الجيوش الفاتحة الى الممالك المجاورة والبعيدة وأينما حل أبداً خطوط الأمم المغلوبة».

أما الدكتور أكمل الدين احسان أوغلي[*]، فيصف الخط العربي بأنه الى جانب تعبيره عن قيم فنية وجمالية معينة فانه، ينقل الكلمة المجردة بمضمون ومعنى لتمدج الثقافة بالفرن وتصبح وسيلة راقية لإيصال المعرفة الى الإنسان وهكذا، فالخط العربي خط غني



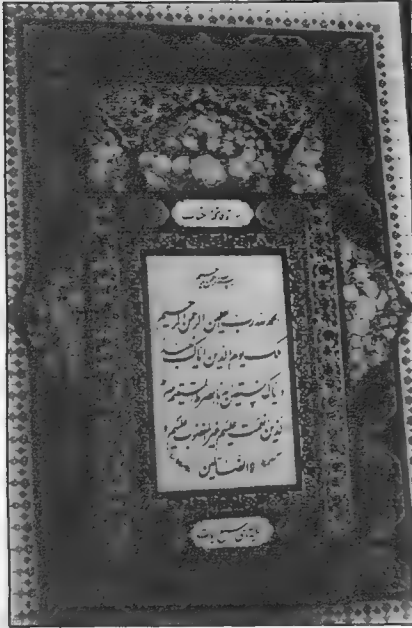
- وفي السماء رزقكم وما توعدون- الخطاط معصوم محمد خلف/ سوريا.



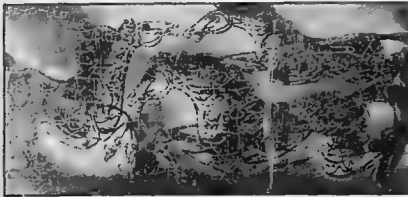
- صفحة من كتاب قواعد الخط العربي للخطاط هاشم البغدادي.



- عليكم بصن الخط فانه من مفاتيح الرزق- بخط جلي النيانبي/ الخطاط معصوم محمد خلف.



- فاتحة الكتاب بخط غلام حسين/ ايران.



- ثلاثة الحصان العربي الخطاط الدكتور احمد مصطفى/ مصر.

بالإمكانات الفنية والتعبيرية ولا يمكن الاستهانة به أبداً ولا يجوز التقليل من أهمية ادخاله في اللوحات الزخرفية، وقد اعتبر /كانط/ الزخارف العربية أجمل من عادة حسناء.

ويقول روم لاندو في كتابه «الإسلام والعرب» «حُرِّم على المسلمين الاهتمام بالفن التشبيهي، ولذلك فقد تعين على مواهبهم الفنية أن تلتصم منافذها في اتجاهات أخرى. ومن خلال هذا السعي أحدثوا فناً يستطيع أن يدعي بصرف النظر عن محاسنه أو نقائصه الأخرى، إنه واحد من أصفى الفنون التي نعرفها.

إذا كانت تلك اعترافات ومشاهدات شعوب شاهدوا هذا الفن المبدع، فكيف بالفنان الذي يعيش مع هذا الفن منذ لحظة الولادة الى زمن الجمالية وعنصر الكمال لتكنم العبقري ويهوى الى شفاف القلب صورة من شيء خصه الله به دون غيره.

[*] المدير العام لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، والصادرة عن المؤتمر الاسلامي بوزارة الخارجية في نيامي - النيجر سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.



الفنان دينيه ناصر الدين

الفنان الفرنسي (إبتان دينيه) ناصر الدين يعتنق الإسلام ويهيم حبا في رسم صحرائنا

في عام ١٨٨٤م صحبه الرسام (لوسيان سيمون) الى الجزائر وهو في الثانية والعشرين من عمره، وفي نفس العام كافاه صالون الفنانين الفرنسيين في باريس بوسام وبمنحة مالية تقديراً للوحته (الأم كلثيد وصخرة صاموا). أتاح له أن يقوم برحلة ثانية الى (درقلة والأغواط) في جنوب الجزائر، واستقر به المطاف بمدينة (بوسعادة) المطلة على الصحراء والتي تكتنفها واحة ذات نخيل وشجيرات ومجرى مائي صغير.

اعتناق الإسلام :

في عام ١٩٠٥م يستقر (دينيه) بمدينة (بو

ولد الفنان (إبتان دينيه) بباريس في ١٨٦١/٣/٢٨م، وكان أبوه يعمل محامياً لدى محكمة (السين). وبعد نجاحه في الثانوية العامة، وأدائه للخدمة العسكرية، أرادت أسرته أن يدرس القانون، لكن حسه الفني دفع به الى الدخول لمدرسة الفنون الجميلة وأكاديمية جوليان، وتخرج ليمارس الرسم، فأبدع مجموعة لوحات لقيت اهتمام النقاد، وحصلت على عدة أوسمة.

بقلم : غازي عيسى انعيم - الاردن

الشهادتين أمام مفتي الجزائر في ديسمبر ١٩٢٧م.
ويقول كلمته: «إن الإسلام قد غير مجرى حياتي الفنية والدينية».

من دينه الى ناصر الدين:

بعد اعتناقه الإسلام، غير اسمه من «دينه» الى «ناصر الدين دينه» غير مبال بما يلقاه في حياته من عنق الفتنة المتعصبة من قومه، حتى بلغت بهم نزعة الحقد وشهوة الاضطهاد والتشفي الى حد نعته (بخائن الغرب) وعرقلة مشروع إنشاء (متحف دينيه) عام ١٩٢٩م.

هذه الحملة التي تعرض لها (ناصر الدين) ليس بسبب اعتناقه الإسلام فحسب، بل تصويره أيضاً ما كان يبرز تحته الجزائريون من يؤس جره عليهم الاستعمار الفرنسي الشرس والذي أدى الى سقوط مليون ونصف المليون من الشهداء على مذبح الحرية.
وتقول أخته (جان) عن اعتناق (دينه) للإسلام: «فهذا أمر لا يمكن لعقليتنا الغربية العريقة والدينية أن تقبله، وهذا ما جعله إنساناً فريداً».

التأليف والدفاع عن الإسلام:

جمع (ناصر الدين) الى جانب المهوبة الفنية، المهوبة الأدبية، فشملت إبداعاته مجالين أساسيين هما: (الفن والعقيدة الإسلامية)، فكتب بحثاً ودراسات حول الضوء واللون، قام بنشرها في عام ١٩٢٦م في كتاب (آفات الرسم ووسائل مكافحتها)، وهي حصيلة جهود كبيرة بذلها في دراسة المشاكل التقنية الخاصة بمرج الألوان وفساد الأقمشة وكيفية الحفاظ على الآثار الفنية بالطرق الفيزيائية والكيميائية.

أثناء تردّد (ناصر الدين) على باريس يلتقي بشاب جزائري يدعى (سليمان بن ابراهيم باعامر) وأسفر هذا اللقاء عن صداقة توطدت بين الرجلين حتى



الفنان بعد أن أصبح الحاج ناصر الدين

سعادة) واتخذ له مسكناً متواضعاً يعلوه سقف من التراب والقصب، وتدعمه العارضات التقليدية المصنوعة من شجر العرعر.

ووجد (دينه) في «يوسعادة» عالماً رائعاً يجعل الإنسان يشعر بذاته ويحس بوجوده وبمكانه ويأن هناك عالماً ليس مقفراً كما تصوره بعض المؤلفات الغربية، فأحس بالأمن والسلام والحب والصفاء والإنسانية بأرقى معانيها وتعلم من أهالي «يوسعادة» كيف تكون طهارة النفس والفؤاد. فكان عشقه لهذا العالم الجديد قويا، بل نابعا من الوجدان والعقل معاً، فتعلم العربية لغة القرآن الكريم واعتنق الإسلام عن قناعة وإيمان في عام ١٩١٣م، وقد أكد اعتناقه الإسلام بنطقه



فتيات بو سعادة

الرسالة في نفسي انطباعات لم أشعر بما هو أسمى منها في حياتي، فلا أحد في العالم يمكنه أن يعطي فكرة عما شاهدته من جوانب هذه العقيدة الوحدانية من حيث المساواة والأخوة بين حوالي (٢٥٠.٠٠٠) من الناس من مختلف الأجناس كانوا مزدحمين الواحد بجانب الآخر في صحراء موحشة».

موضوعات الفنان وأسلوبه الفني:

يتميز أسلوب (ناصر الدين) الواقعية، وهي السمة البارزة لأعماله، فقد صور الواقع الذي عايشه تصويراً صادقاً ودرجة عالية من الدقة والحساسية والجمال. فاللوحات التي صورها في (بو سعادة) تكشف عن الروح الوثائقية لدى عالم (ناصر الدين). فهو يصور أثراً يمكن أن يكون شاهداً على تاريخ قديم أو حاضر كما يخبرنا بميلاد جديد... من هنا تكتسب أعمال (ناصر الدين) قيمة أخرى: قيمة الرصد والوثائقية أولاً وتقصح عن نظامه الفكري في فهم الحالة الإنسانية ثانياً، وبهذا المسار نلاحظ أن الفنان لم يتخذ طريقاً أسلوبياً غير الواقعية. وقد يسأل البعض ويقول لماذا لم يتعاط ناصر الدين مع بعض المدارس الحديثة؟ للإجابة على هذا



المكفوفة والشبيبة اللامبالية

أصبحت أخوين وقد أثرت هذه العلاقة عن تأليف عدة كتب مشتركة نشرت في باريس وهي:
(حياة محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)) عام ١٩١٨م، و(خضرة راقصة أولاد نائل) عام ١٩٢٦م و(الحج إلى بيت الله الحرام) عام ١٩٣٠م، والكتاب الأخير طبع بعد وفاة ناصر الدين حيث قام الفنان الجزائري (محمد راسم) بتصميم الغلاف وزخرفته. تصدى (ناصر الدين وسليمان باعامر) في الكتاب الأول الرد على الادعاءات الغربية المتحاملين والمتهمين على الإسلام عن جهل أو عن فهم سقيم، ويفضح الصديقان في كتابهما (خضرة) سلوك بعض المرابطين الذين يدعون أنهم من الشرفاء وبهذا الأصل الشريف ينسبون لأنفسهم قوة خفية. (فناصر الدين وسليمان باعامر) يذكران بأن الله سبحانه وتعالى لا شريك له: (لا إله إلا الله).

الحج إلى بيت الله الحرام:

رغم ضعف صحته ومشاق الطريق الطويل، أبى (ناصر الدين) إلا أن يكمل الفروض الدينية. فحج بيت الله الحرام عام ١٩٢٩م عن عمر يناهز الثامنة والستين، وقد كتب من (جدة) يقول: «تركت هذه

التي تصور ثلاثة مقاتلين جزائريين ينصبون كميناً للمستعمرين ونلاحظ في هذه اللوحة دور العيون المعبرة التي ترصد الطريق وحركات الأيدي التي تشير إلى العدو.

هذه اللوحة هي رمز لأمة عقدت العزم على النصر، وهي تمثل وتعبر عن مرحلة من مراحل جهاد الشعب العربي في الجزائر من أجل الحصول على حريته واستقلاله.

كما نجد الخشوع يظهر تماماً في لوحة (الصلاة)، فهناك انسجام بين القوة الهادئة للرجال وبين عمق الإيمان المتجلي في الموقف وفي النظرة وحركات الأيدي المرفوعة للدعاء. فالموضوع هنا والحركة وقوة التعبير حققت تماماً هدف الفنان.

ونلاحظ براعته في تصوير العواطف الإنسانية وبقته في التعبير عنها كما في لوحة (في ضوء القمر) وهو الرفيق الوفي للعشاق الصحراويين ويسترعي المتأمل في هذه اللوحة التي تمثل (عاشق ومعهشوقته) تلك الألفة الروحية التي تنعكس على شخصيه ويحتل خلفية اللوحة جذوع الدفلى بزهاره التي تتصاعد في

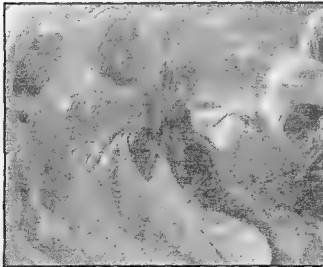
السؤال نقول: إن المدارس الحديثة بمختلف فروعها (الرمزية، السريالية والتجريدية) ويحكم نشأتها جاءت في أخريات حياته ويعد مماته، لذا فهو لم يجرب هذه الاتجاهات نظراً لعدم وجودها.

من هنا عالج (ناصر الدين) أفكاره بأسلوب واقعي، فصور البيوت والجبال والمياه والأشجار والشوارع وحركة الناس وعاداتهم وتقاليدهم وبطولاتهم بمحتوى شعري وموسيقي... وبهذا المفهوم أعطى بعداً للفن الشعبي الذي يؤكد بأن الواقع قيمة أولى لأنها مرتبطة بالإنسان.

لذلك فاللوحة عند ناصر الدين هي تعبير عن رؤية وعن موقف، ودراسة أعماله تكشف لنا عن عمق إخلاصه والتزامه بالواقع الاجتماعي والجغرافي الذي عاش فيه، حيث نهل من هذا الواقع وسجل لوحات لا تزال شاهدة على تلك الحقبة الزمنية من تاريخ الجزائر.

أعماله الفنية :

لقد برع ناصر الدين في تصوير الأحداث التاريخية والوطنية الجزائرية كما في لوحة (الكمين).



الصلاة



اللفة

توازن. وتلمح أيضاً في تلك اللوحة غنى وثراء برسمه للتفاصيل الدقيقة لتلك المنمنمات على الملابس والطي الفضية.

كما كان لأطفال (بوسعادة) حضور في لوحات (ناصر الدين)، ففي لوحة (فتيات بوسعادة) نشاهد ثلاث فتيات صغيرات يخرجن بوجوه مضيئة وعيون تشع فرحاً من تحت الإشارات الذي ظللن من أشعة الشمس اللامعة، وقد أبرز الفنان من خلال الملامح ورسوخ البناء ذلك الإحساس بالطفولة. وفي لوحة (القلعة في مدرسة تحفيظ القرآن) نشاهد التلاميذ يمسكون زميلهم وقد أسند أحدهم ركبته على صدره ليمنعه من الحركة، والمعلم يقوم بدوره في ضرب التلميذ بالعصا.

ونلاحظ في هذه اللوحة الخطوط المنسقة برشاقة ويسر في حركتها والوجوه التي تنظر نحو مركز اللوحة المتمثل في (التلميذ) مما يؤيد أصالة العمل.

أما اللوحة التي تعتبر أكثر اللوحات تأثيراً في النفوس هي لوحة (المكفوفة والشبيبة اللامبالية)، فهي تحكي قصة جيلين يجمعهما مصير واحد وهدف واحد فالطفل يمسك بيد الطفلة ويد الطفلة تمسك بملابس الجدة (المكفوفة) وهما يداعبان الطير غير مباليين بما يحدث، لكنهما يمثلان الأمل والمستقبل والغد المشرق وهما يسيران على الطريق الذي رسمه أجدادهم والمتمثل في المرأة (المكفوفة) حيث ترك الزمان بصماته على وجهها المتجدد النحيل.

إلى جانب ذلك قدم الحاج (ناصر الدين) عدداً من اللوحات المهمة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: (الرقص بالإشارات)، راقصة مع الطرحة، راقصة أولاد نائل، العرافة، ملابس العيد، في عهد الاستعمار، الواحة، مواكب الإيمان، سطوح الأغواط، عهود الفقر، الأهالي المحتقرون، نساء (بوسعادة) وغيرها من اللوحات التي تمثل روح الصحراء.

كانت تلك أهم الموضوعات التي تناولها (ناصر الدين) حيث عكس من خلالها مدى عشقه للصحراء العربية وللناس الذين أحبوه وأحبهم، فرد الجميل برسومات تعتبر مقطوعات شعرية بالغة الرقة والعذوبة لبساطتها وجمال ألوانها. . . وليس هذا بالغريب، لأن (ناصر الدين) فنان مثقف، وبالتالي انعكست ثقافته على فنه فظهرت مقدرته الكبيرة في تطبيق القواعد والأسس الفنية من منظور وخط وقيم لونية وظل ونور وكثلة وفراغ وملامس على سطح لوحاته.

بعض ما قاله النقاد عن فنه:

كتب مدير الفنون الجميلة بالجزائر الأستاذ (سيد أحمد باغلي) يقول: «وكان قدراً على التقاط الخطوط الرئيسية، بارعا في مزج الألوان وتحقيق الانسجام بينهما وبين الضوء في جوها العام، مما جعل النقاد يشبهونه (بانغر) و(كورييه) و(مانيه) أو بالسويدي (نورن).» يضاف إلى هذا مهارته في تصوير العواطف ودقته في التعبير عن الحالات النفسية، ويستدعي المتأمل في رسمه تلك الألفة الروحية التي تنعكس على أشخاصه، فتكشف عن هذه الصالات وعن الظروف والقيم الاجتماعية والثقافية التي يعيشون في ظلها، والتي اتخذها (دينيه) موضوعاً للتأمل والتفكير).

وقال عنه وزير الإعلام والثقافة الأسبق بالجزائر الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي: «إن (دينيه) قد عرف في وقت مبكر كيف ينبذ تلك الموضوعات التي كانت مألوفة لدى المستشرقين التقليديين، ليحقق بطريقته الخاصة فناً من ذلك (الجمال ضمن الحقيقة) كما وصفه بحق أحد النقاد».

أما محافظ متحف لوكسمبورغ (ليونس بينيديت) فقد قال: «استطاع (دينيه) أن يصور الجمال أروع تصوير، وأن يستخرجه من الحقيقة التي لا توجد حقيقة سواها».

المحتقرون)، وهي لوحات تحمل إدانة صارخة للممارسات الاستعمارية، التي تجانب قيم العدالة والحق».

وفاة ناصر الدين :

لكن جسد (ناصر الدين) لم يقو على مقاومة المرض فوافته المنية في ١٢/٢٤/١٩٢٩م بباريس - وأقيمت له صلاة الجنازة في مسجد باريس، ثم نقل جثمانه الى (بوسعادة) في ١٢/١/١٩٣٠م عملاً بوصيته، ليدفن تحت القبة التي بناها في مقبرة بوسعادة الإسلامية.

كما دفن صديقه (سليمان) تحت نفس القبة، وبجانبيهما رقدت زوجة (سليمان)، فكانا رفيقي حياة وممات.

وتكريماً لذكرى الحاج ناصر الدين قام (جيلالي مهري) بفتح غاليري في باريس وأطلق اسم ناصر الدين عليه، لكن للأسف لم يقدر لهذا المشروع أن يكتب له النجاح.

في عام ١٩٩٣م افتتح متحف الحاج ناصر الدين في بوسعادة وهي لفحة جميلة من الجزائر للفنان ناصر الدين الذي اتسم بالإيمان والعلم والثقافة وترك بصمة مضيئة في سفر التاريخ لتكون منارة لشبابنا ومتقني وفنانينا يسترشدون به في رحلة الحياة.

بقي أن نقول إن فن الحاج ناصر الدين لازال في موضع تقدير واحترام من قبل الدارسين والمهتمين والباحثين سواء في داخل الوطن العربي أو خارجه، حتى إن لوحاته تباع الآن بأسعار تتراوح ما بين ٧٠٠ - ٨٠٠ ألف فرنك فرنسي.

هذه هي رحلة الفنان (ناصر الدين دينيه) الذي اعتنق الإسلام وهام حيا في رسم صحرائنا.

وقال عنه الفنان الجزائري الكبير (محمد راسم): «لم يكن ناصر الدين باحثاً في علم الأجناس البشرية، ولا متمحّصاً في الفلكلور (الفنون الشعبية) بل كان فناناً بكل معنى الكلمة، ورجلاً يتقن مهنته، وكان من ذوي العواطف النبيلة، والفكر النير، والإيمان الصادق. وكان - مع ميله للعزلة - يتمتع بشخصية جذابة في ذلك الوسط الأوروبي الذي كان ينتقد عمله الفني لغرض خفي في نفسه وهو التعبير عن استنكارهم لاعتناق (دينيه) الإسلام».

وقالت عنه مجلة الشباب الجزائرية: «وله في صوره نزوع الى الإبداع والابتكار، حتى إنه يعد في العصر الراهن يعد من أشد الرسامين ولوعاً بترقية الذوق الفني. وأعظم رسوماته رسم مشهد (الأنديجينا) المؤثر الذي مثل فيه أثر أغلال العبودية».

وأخيراً يقول الكاتب والناقد والفنان التشكيلي الجزائري (أحمد عبد الكريم) في مجلة العربي - العدد ٤٦٤ - ١٩٩٧م: «تدين الحركة التشكيلية في الجزائر بالشهيد الكثير للفنان (ناصر الدين دينيه)، وذلك لأنه تحول الى مدرسة مرجعية، تتلمذ فيها الكثير من فنانين الجيل اللاحق، مأخوذين بصديق تعبيره، وسحر تجسيده لحياة الإنسان في الصحراء، وقدرته على التعامل الفذ مع الألوان والضوء والظل».

ولأن هذا الفنان فرنسي النسب والولد، فقد كان مسلم الروح والانتماء وليس أدل على ذلك من لوحاته الغامرة بالتقاليد والمعاني الإسلامية، والمليئة بالدلالات الحضارية لأمتنا، المعبرة أصدق تعبير عن مضامين جزائرية قلباً وقالباً، شكلاً ومحتوى.

.. كما كان ولاؤه كبيراً لقضية الأمة الجزائرية، فقد انحاز لها برغم كونه فرنسياً، وانتصر لعدالة قضيتها عندما كانت تعاني الظلم الاستعماري، وذلك ما يتجلى في لوحاته: (العمياء - عهود الفقر - الأهالي

**بلاغۃ المقابلة في كتاب « رسائل
الأحزان » لمصطفى صادق الرافعي**

نصیبك فی حیاتك من حبیب

نصيبك في متاعك من خيال

ففي البيت بُنِيَ مخالفة بادية في التقابل المعنوي بين الحياة والحبيب من جهة، وبين النوم والخيال من جهة ثانية[٥] - وفيه بنية موافقة بادية في التوازن الصوتي، يمكن توضيحهما فيما يلي[٦]:

تعميد: حول المقابلة:

معلوم أن المقابلة في التراث البلاغي العربي تعني: «إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثل في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة»[١]. والملاحظ أن «الموافقة» و«المخالفة» يحضران دوماً في تحديدات البلاغيين القدماء للمقابلة[٢].

والمخالفة في المقابلة أوضح من الموافقة إلا إذا كانت هذه الأخيرة في المستوى الصوتي، ومن ذلك قول الباحثي (٢٨٤هـ):

فَإِذَا حَارَبُوا أَذَلُّوا عَزِيزًا

وإذا سألوا أعزوا ذليلاً

قابل الشاعر بالمخالفة بين معان متعددة وراعى

ترتيبها:

مؤلفه صوبه	مؤلفه صوبه	مؤلفه صوبه	مؤلفه صوبه	مؤلفه صوبه
مؤلفه صوبه	مؤلفه صوبه	مؤلفه صوبه	مؤلفه صوبه	مؤلفه صوبه

والموافقة في المقابلة قد تحدث في المعنى، كما تحدث في التوازن الصوتي، أما ما كان منها في المعنى، ففي مثل قوله تعالى: {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا} [٢٣] فهناك مقابلة بالموافقة بين خراب البيوت وظلم أصحابها، أي مقابلة الفعل بالفعل [٤]. أما ما كان منها في التوازن الصوتي، ففي مثل قول المتنبي:

(٣٥٤هـ):

[illegible]

بهذا التصور الذي يجمع بين المؤالفة والمخالفة في
المقابلة ستعمل على تتبع قضية التقابل في كتاب
«رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب» لمصطفى
صنابق الرافعي (١٨٨٠ - ١٩٣٧م)، وذلك بعدم

بقلم : عبدالله موسى

كلية الآداب - مراكش



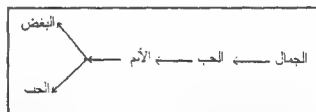
مصطفى صادق الرافعي

الخضوع المطلق لتقابل المفردات، حيث سيتم التركيز على تقابل الفكرة في شموليتها، أي تطبيق أبعاد التقابل على النص/ الكتاب كله، تمثيلا مع الإطار الفلسفي المترامي الذي تموج به الفكرة

الإبداعية لدى الرافعي؛ إذ لما تتفجر - لديه - طاقة الإحساس والشعور يقود فكرته نحو عوالم مصبغة بألوان خاصة.

١ - بلاغة المخالفة:

ونعلن هنا أن طرفي التقابل مصدرهما شخصيتان هما: الرافعي وحبيته «مي» فجماها ولَّد الحب والحب ولَّد البغض، لكنه بغض لا يعدو أن يكون لونا من ألوان الحب لدى الرافعي:



هذه التقلبات هي نتيجة التقابل بين الرافعي و«مي» في مستوى أول هو مستوى التقابل على وجه المخالفة وهو تقابل مؤقت سيزول فيما بعد [٧]:

الطرفان	هي (مي)	هو (الرافعي)
بعض	- كلها كبرياء ..	- كبرياء الكبرياء
الصفات	- يمين خلقت الشعر بها...	- كلمة استوى ظاهرها وباطنها
المعيرة	- حيل تتحلّ فيه السحب ..	- قمة الصخر تغسلها السيول ولا تتقلى
	- رُوح يُلبلل ..	- روح نسر ..
نتيجة التناقض	تأمل العصفور الصغير [مي] أن يطوي النسر [الرافعي] في جناحيه وهو لا يبلغ قصبة في ريشة في جناح هذا النسر، ولكنه .. أه ولكنه طواه في غير جناحيه ^(١) أي طواه في قلبه.	

هذه بعض الصفات المميزة لكل من الرافعي و«مي» متبوعة بنتيجة تستصغر «مي» في البداية وتستكبر الرافعي لتقود - في الأخير - إلى استكبار «مي» واستصغار الرافعي.

ونتابع التقابل بين الشخصيتين فيما يلي:

يقول الرافعي: «كان لي صديق خلطته بنفسي زمنا طويلا. وكنت أعرفه معرفة الرأي، كآته شيء في عقلي، ومعرفة القلب، كآته شيء في دمي. ثم وقع فيما شاء الله من أمور نياه حتى نسيتني، وطار على وجهه حتى غاب عن بصري، والتقت عليه مذاهبه فما يقع إلى من ناحيته خبر؛ وامتد بيني وبينه حول كامل خلا من شخصه وامتلا من الفكر فيه» [٩]. يمكن ملاحظة التقابل المعنوي على مستويين:

الأول: أعرفه معرفة العقل # حتى نسيتني

أعرفه معرفة القلب # حتى غاب عن بصري

الثاني: حول كامل خلا من شخصه # وامتلا من الفكر فيه.

أما جانب الموائمة على المستوى الصوتي فيضمنه التكرار في النص بوضاومته بوضاومته:

يقول الراجعي كذلك: «وأحاول أن أرى تلك الطلبة الفاتنة التي انطوى عليها ألقب قانبت نورها في حواشيه المظلمة» [١٠].

هناك عالم «مي» الفاتن، وهناك عالم الراجعي: قلبه بين نور الفتنة ونار الظلمة. ففي الوقت الذي يظل فيه الراجعي تحت وطأة متناقضين، يتسجم لدى «مي» النور، والفتنة الجمالية.

ويمكن ملاحظة التقابل بين عالمي الراجعي وحبيبتة «مي» على مستوى التعارض القائم بين علاقة الجزء بالكل، يقول: العالم لكل الناس، غير أن لكل إنسان عالماً هو خاصة نفسه، وعلى أن هذه الدنيا مترامية إلى كل جهة تدلى عليها السماء، فإن أراضيها الخمس بما رحبت لا تقوم عندي بتلك الجدران الأربعة التي رأيت فيها من أحببتها [١١].

فهناك عالم الناس جميعاً: الدنيا المترامية، وهناك عالم الراجعي: الغرفة التي رأي فيها التي أحبها؛ أوسع من الدنيا الرحبة، وهنا يصبح الجزء أكبر من الكل، وهي فلسفة خاصة بالراجعي في هذا الموقع وفي هذا المقام.

وفي إطار غرابة التقابل بين عالمين، يتحایل الراجعي على فكرته، فإذا كان في المثال السابق جعل الجزء أكبر من الكل تمشياً مع فلسفته الخاصة ومقامه المعبر، فإنه قلب موازين عالمي الحب والهجر أيضاً من خلال قوله: «ومع الحب عالم كثيف ينشيء في كل يوم ألماً، ومع الهجر عالم مجرد يحدث في كل يوم سلوة» [١٢]. فكثافة عالم الحب تحدث الألم، وتجريد عالم الهجر يحدث السلوة، وبذلك يصير الهجر أنفع وأجدى من الحب، وهي فلسفة لها مقامها في كتاب الراجعي، كما سبقت الإشارة.

ونلاحظ التقابل بين الشخصيتين - الراجعي ومي - ينتقل إلى تقابل في الشخصية الواحدة، ومن ذلك تقابلات شخصية الراجعي من خلال تقابلاتها في علاقتها «بمي»، يقول مثلاً: «فإن هذا الحب جعل في

عقليين لا عقلاً واحداً؛ أحدهما يقرني في هذه الدنيا والآخر ينقلني إلى ثانية: دنيا الناس جميعاً ودنيا امرأة واحدة: دنيا السموات والأرض وبنياً قلبي، في العقل الأول تتحلل كل المشكلات، وفي الثاني تتعقد كل البسائط» [١٣].

فالراجعي يجد نفسه بين عقليين متنافرين أحدهما يعقل النظر إلى هذه الدنيا، والآخر يعقل النظر إلى المرأة التي أحبها، ويصير العقل الثاني أعقد من الأول، لأن الراجعي قد يفهم مكونات الدنيا وأسرارها، ويعجز عن فهم كيد المرأة المحبوبة. وتتابع هذه التقلبات التي تخضع لها شخصية الراجعي من خلال قوله: «وأننا بين هذين العقليين كائني عالم عجيب حقائقه هي خرافاته» [١٤].

هذه النظرة الحقيقية والخرافية معاً، لهذا العالم العجيب تساير تعقد البسائط في دنيا المرأة وانحلال المشكلات في دنيا الناس حسب الراجعي. ويصف الراجعي حاله بما يقابله ويناقضه قائلاً: «فأنا بين نعمة تفتأ وبين عافية تتحول وكأنه لا عمل لي إلا أن أصعد مئة درجة لأهبط مئة درجة» [١٥].

فالعافية التي تتحول تصعد به مئة درجة والنعمة التي تفتأ تهبط به مئة درجة أخرى، مما يظهر التقابل حاداً.

ونضيف مثلاً آخر تتضح فيه حدة التقابل في قوله: «وكانما أعيش في هذه الأرض عيش من وضع رجلا في الدنيا ورجلا في الآخرة» [١٦].

أما التقابل في شخصية «مي» فيمكن تتبعه من خلال الأمثلة الموالية، يقول الراجعي: «وكنت أراها أحياناً في جمالها وتأثير جمالها كأنها طاووس من طواويس الجنة على كل ريشة فيه لون من ألوان النار» [١٧].

لقد تصور الراجعي جمال «مي» في درجتين حستين هما: جمال الطاووس، وجمال الجنة معاً، أما

الإنسجام بينهما مرة أخرى. وهذا سر من الأسرار الخفية للمقابلة إذ كثيرا ما نقف على مستويات المخالفة فيها [٢١] وقليل ما نقف على بُعد الموائمة. وفي هذا الشأن يقول الدكتور منير سلطان: «وهم قد قصدوا بالمقابلة بين الجميلين، إقامة التجانس، وإطراد الترابط، وتواصل العلاقات بين جنبات السياق، بغض النظر عن طبيعة هذه العلاقات، ضدية أو مطردة» [٢٢].

ونلاحظ طلائع هذا الإندماج والترابط بين الطرفين من خلال طرح السؤال المتجاهل للحقيقة في قول الراجعي: «ولكنني أكتب الآن وقد تركت الحب وتركته». خرجت من المعركة فنشبت نفسي في معركة أخرى لا أدري أهى قائمة بين الحب والبغض أم بين الحب والحب [٢٣].

هذا النص يعيدنا إلى السلسلة التي تتسجها العلاقة بين الطرفين في كتاب رسائل الأحران وذلك واضع من خلال العنوان: «رسائل الأحران في فلسفة الجمال والحب» فالكتاب عبارة عن رسائل - فعلا - والأحران سببها الحب والحب سببه الجمال، وتفاعل هذه العناصر كلها، لدى الراجعي، جعل تناوله لها تناولا فلسفيا يبيح المستحيل حيناً ويستبعد الممكن حيناً آخر، وتأتي خصوصية هذه الرؤية لدى الراجعي من رؤيته الخاصة للكون، ولا يهمنا نحن من ذلك كله إلا مستويين:

الطرف المقابل لهذه الصورة فهو: كل ريشة عليها لون من ألوان النار. ويقول عن «مي» [١٨]:
أما السماء فجلت عليهم بدرها
والأرض قد عرضت لذاك غزالها.

هذا تقابل من أجل الزيادة في صفة الجمال، ذلك أن جمال «مي» جعلها بدرها في السماء وغزالا في الأرض، وفي كلا الحالين سواء في السماء أو في الأرض فهي فاتنة. غير أن فتنة جمالها لا تجعل الراجعي في مأمن من الحيرة التي يعبر عنها بقوله: «وفتور في اللحظات تدل على أن في قلبها منك شيئا تحب ألا يظهر لك وتحب ألا يخفى عليك» [١٩].

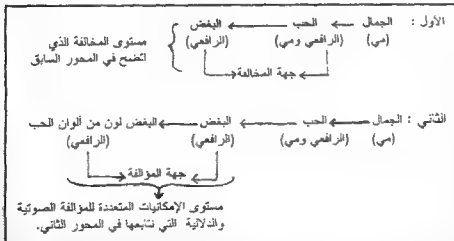
وتظهر حيرة الراجعي أكثر في قوله: «ولعمري إنني لأريد أن أنساها ثلاث مرات لا مرة واحدة، ولكنها في ذكري كأنها ثلاث نساء: واحدة في الرضا وثانية في الغضب وثالثة بين ذلك، واحدة في كلمة، وأخرى في قبلة وثالثة في معنى من المعاني» [٢٠].

الملاحظ أن الراجعي يقابل بين نفسه وبين «مي»، ويقابل بين تقلاباتها كأنها ثلاث نساء واحدة تغضبه وثانية ترضيه وثالثة بينهما .. أشار إليها بقوله «وثالثة في معنى من المعاني» وهذه الثالثة ذات الأوصاف الخفية، تسمح بتأويل أوصافها نحو إعادة الإندماج بين الطرفين: الراجعي و«مي».

وإذا كنا قد بينا التقابل على جهة المخالفة فيما سبق، فإننا سنتحدث عن التقابل على جهة الموائمة فيما سيلحق.

٢- بلاغة الموائمة:

ويأتي تقابل الموائمة للربط بين الطرفين - الراجعي و«مي» - والتقريب بينهما، وذلك لأن عامل التقابل بالمخالفة سببه هو الحب، والسبب تقبيله قابل ليحقق



يقول الرافعي: «على أنك لم تفقد مني في هذه السنة إلا بضعة كتب وكلاما كنا نترسل به، وليس فيه إلا الحبر، فسأرد عليك من ذلك كتب سنوات وأعوذك برسائلي كلاما فيه دمع العين ودم القلب. فقدتني صديقا يهز يدك بتحيتي والآن أعود إليك شاعرا يهز قلبك بأثنيه. فقدتني شخصا وسأرجع إليك كتابا» [٢٤].

يبود أن التقابل في هذا النص يحمل وظيفة الشرح والتأكيد: كتب فيها كلام مُحبرّ مقابل كتب فيها كلام مُعبرّ عن دمع العين ودم القلب، وهذا التقابل بمثابة إضافة معنى أكثر قوة وفاعلية، لأن الكلام المحبرّ يقل شأنًا إذا قورن بالكلام المعبر عن دمع العين ودم القلب. ونلاحظ مثل هذه الزيادة في المعنى، في مقابلة عبارتي: فقدتني صديقا يهز يدك بتحيتي وأعود إليك شاعراً يهز قلبك بأثنيه، والأمر نفسه في: فقدتني شخصا وسأرجع إليك كتابا، لأن هذا الأخير يحوي عصارة الفكر التي لا تظهر على الشخصية الخارجية للإنسان. ففي هذا النص تقابل مؤالفة معنوية تفيد الزيادة في المعنى وتؤكد.

أما المؤالفة الصوتية فتتطبق على كل الأمثلة السابقة بدرجات متفاوتة بحسب تناسب التقابل وترتيب. ويمكن متابعة أمثلة أخرى تتضح فيها إمكانيات الإندماج بين الطرفين في قول الرافعي:

«وقد تكون الجدوى والمنفعة من الجمال في بغضه أحيانا أكثر مما تكون في حبه» [٢٥].

«فإني لأعلم أن كل شيء حبيب ممن نحبه حتى البغض إذا كان يدل على حبه ولو دلالة خفية» [٢٦].

«ولن تظهر قدرة الجمال وما فيه من القوة الأزلية إلا إذا حملك على بغضه بعد أن يحملك على حبه فيقتلك مرتين كل مرة بسلاح وكل مرة بنوع من الألم» [٢٧].

«وسيبقى سبب هذا البغض من سر الحب الذي لا يعرف» [٢٨].

«البغض شيء مؤلم والحب شيء كالآلم» [٢٩].
نستنتج من هذه الأمثلة ما يلي:

- ١ - المنفعة في بغض الجمال وفي حبه.
- ٢ - البغض حبيب عندما يدل على الحب.
- ٣ - القوة الأزلية للجمال تحمل المرء على حبه وعلى بغضه.
- ٤ - سبب البغض من سر الحب.
- ٥ - البغض والحب مؤلمان.

إذن: المنفعة في بغض الجمال وفي حبه، وذلك عندما يدل البغض على الحب ولا يتأتى ذلك إلا إذا وصل الجمال قوة أزلية، إذ ذاك يصير الإندماج ممكنا بين الحب والبغض: يؤلمان معا أو يسعدان معا.

لقد وجد الرافعي نفسه في بحر التقابل الظاهري بينه وبين «مي»، والإندماج الباطني بين بغضه وحبه لها، لأنه جنّ بفنّته جمالها «فجمال تستحسنه وآخر تعشقه، وجمال تجن به جئونا» [٣٠].

ولا شك أن الرافعي قطع مراحل من الحب حتى استقر على مرحلة قصوى تصله إلى الجنون، وهذا النوع من الحب يسمى «التدلي» ولا يتحقق إلا إذا مر بمراحل هي [٣١]: الهوى، العلاقة، الكلف، العشق، السّعف، الشّفف، الجوى، التيم، التبلُّ، التدليّيه وهو ذهاب العقل من الهوى. و«الدلّة» في لسان العرب و«الدلّة» مثله: «ذهاب الفؤاد من هم أو نحوه كما يدلُّه عقل الإنسان من عشق أو غيره (٠٠)» والتدلّة: ذهاب العقل من الهوى» [٣٢].

والنتيجة من ذلك كله أن في الدلّة تختلط الممكنات والمستحيلات ما دام الأمر يصل إلى حد الجنون، فلا غرابة إذن إذا انقلب الحب غضبا وبغضا، وقد عبر الرافعي عن ذلك في قوله: «ولكن كل شيء فإنما هو

- تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط، بيروت، دار الكتب العلمية (د)، ص ١٤١. وانظر ابن رشيق (٤٥٦هـ) «المدقة» تحقيق محي الدين عبد الحميد، طه، بيروت دار الجيل، ١٩٨١، ج ٢، ص ١٥.
- (٣) سورة النمل، الآية ٥٤.
- (٤) أورده العسكري في الصناعتين، ص ٣٣٧.
- (٥) محمد العمري: الموازيات الصوتية في الرؤية البلاغية ط١، البيضاء، النجاح الجديدة (سال) ١٩٩١، ص ١٣.
- (٦) نفسه، ص ١٣ - ١٤.
- (٧) انظر هذا التقابل في الصفات في: رسائل الأحران في فلسفة الجمال والحب، للرافعي، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٤، ص ٢٤ - ٢٥.
- (٨) نفسه، ص ٢٥.
- (٩) نفسه، ص ٥، ويقصد الرافعي بالصديق في النص حبيبته «مي» فهو يخاطبها في بداية كتابه بضمير الذكر لتضليل القارئ.
- (١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠) نفسه، ص ٦، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠.
- (٢١) انظر محمد بركات حمدي أبو علي: البلاغة عرض وتوجيه وتفسير، ط ١، عمان، دار الفكر ١٩٨٣، ص ١٢٨.
- (٢٢) منير سلطان: البديع تصليل وتجديد، ط١، الاسكندرية، منشأة المعارف ١٩٨٦، ص ١١٦.
- (٢٣) رسائل الأحران، ص ٢٢.
- (٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠) نفسه، ص ٦، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠.
- (٢١) انظر مراتب الحب عند أبي منصور الثعالبي في كتاب: فقه اللغة، تحقيق: جمال طلبة، ط ١، بيروت دار الكتب العلمية ١٩٩٤، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.
- (٢٢) ابن منظور: لسان العرب، ط٢، بيروت دار صادر ١٩٩٤، ج ١٣، مادة (دله)، ص ٤٨٨.
- (٢٣) رسائل الأحران، ص ٩٣.
- (٢٤) نفسه، ص ٩٨.

باعتباره في نفسه وباعتباره لنفسه؛ ألا وإن الزلزلة التي يضرب بها ذلك الجبل القائم من نفسه إنما رقة رقة الحب» [٣٣].

خاتمة :

لقد رأينا أن المقابلة في التراث البلاغي العربي: إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في اللفظ والمعنى على جهة المخالفة أو الموافقة. ولاحظنا أن الرافعي استغل عنصرى المخالفة والموافقة التي سميها مؤالفة في مقابلة مواقفه بمواقف «مي» حيناً، ومؤالفة بينهما حيناً آخر، وذلك لوجود قوة الرابطة الازلية للحب لدى الرافعي، حيث إنه انطلق من الإحساس بالجمال ليتولد لديه الحب الذي ولد بدوره البغض. والحديث عن هذا التناقض والتقابل الظاهري يخلص في الأخير الى الحب، وهو بذلك انطلق من الحب وانتهى إليه، الشيء الذي جعل المتقابلات مؤقتة سرعان ما انتفت ليحل محلها الإدماج والترابط الذي يؤلف بين الرافعي و«مي». ودلالة هذا الإدماج قول الرافعي: «لقد وصفتها لك أيها العزيز وملاّت رسائلي منها، غير أنني والله ما أدري أوصفتها أم وصفتُ بها، وكتبْتُ منها أم كتبتُ عنها» [٣٤].

ففي هذا النص مؤالفة صوتية: وصفتها وصفت بها .. كتبت منها كتبت عنها .. ومؤالفة معنوية: إذ بقدر ما توصف الحبيبة في الكتاب، يوصف الرافعي، وبقدر ما يكتب عنها، يكتب عن نفسه في الكتاب كله.

الهوامش:

- (١) أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) الصناعتين، تتج على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٦، ص ٣٣٧.
- (٢) انظر قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) نقد الشعر،

حنا مينه

وجمالية النموذج

في آخر ما كتب حنا مينه أي ذاك النص الذي يحمل عنوان «النجوم تحاكم القمر» [٢].

فلأول مرة يخص الكاتب قراءه بصفحة يوضح فيها نهجه في كتابة رواية جديدة فهو يقول: «هذه رواية ومسرحية معا، فمن شاء أن يقرأها رواية ففي وسعه ذلك ومن شاء أن يقرأها مسرحية ففي ميسوره أن يفعل وهو مشكور على الحالين - إن التجريب، مع الابتكار، ليس صرعة قصدية بالنسبة إلى، بل هو هدف أسعى إليه مجتهدا، وقد تعدد وتنوع في رواياتي العشرين التي كتبتها حتى الآن وصدرت كلها عن دار الآداب، ويمكن الرجوع إليها أو إلى بعضها، خاصة الذي صدر في السنوات الأخيرة، ليتأكد مما قلته في مناسبات سابقة عن تقلص مساحة السرد في رواياتي، ليتسع مجالها للحوار الذي أرى فيه تعبيراً أعمق عن الذات، وهذا النهج ليس اتباعاً للرواية التي دما إليها توفيق الحكيم وإنما هو محاولة في الرواية تمزج السرد بالحوار وتعطي للشخصيات أن تقول سريرتها في مكاشفة تنبئ على أرحب مدى من الحرية» [٣].

إن أهمية الملاحظة تكمن في أن حنا مينه يذكر لأول مرة عبارة «تجريب» بمعناها الإيجابي، فرغم محاولة التمييز بين التجريب والابتكار كان التجريب ليس إبداعاً متوصلاً وابتكاراً مستمراً، فإنه على كل حال ينبه إلى أنه لم يعد يتعامل مع هذا المفهوم تعاملًا يحمل معنى الرقص، أليست روايته الجديدة هذه - النجوم تحاكم القمر - في بعض وجوها وكما يراها

لقد أصدر حنا مينه إلى حد الآن واحدا وعشرين نصاً روائياً، وهو يكاد يكون الروائي العربي الوحيد المنتظم في إصداراته، إذ يظهر للناس في كل عام رواية جديدة، ولا أجد يشك في أهمية التراكم الإبداعي في الجنس الواحد، ولدى الكاتب الواحد والمبدعين المعترف لهم بقدرتهم الإبداعية، من المقلين، قلائل ومع ذلك فلوقة التراكم أيضاً إشكالياته الإبداعية وعوائقه الفنية، فالتراكم - ضرورة - إضافة فنية نوعية، وهو تجاوز للتجربة الإبداعية الذاتية وتجاوز للساند من المفاهيم والرؤى المتصلة بالإبداع - على هذا النحو نستقبل تلك النصوص الجديدة التي كتبها حنا مينه ولم يسبق لنا أن نعرفنا إليها في كتابنا «حنا مينه: كاتب الكفاح والفرح» [١]، وهذه النصوص نحصرها في العناوين التالية مرتبة حسب تواريخ صدورها: حيامة زرقاء في السحب (١٩٨٨) - نهاية رجل شجاع (١٩٨٩) - الولاة (١٩٩٠) - فوق الجبل وتحت الثلج (١٩٩١) - الرحيل عند الغروب (١٩٩٢) - النجوم تحاكم القمر (١٩٩٣).

وعلى الباحث في أدب حنا مينه يلح سؤال عميق: إلى أي مدى استطاع حنا مينه وهو ذو تجربة إبداعية عميقة أن يتجاوز ذاته في هذه النصوص الجديدة ويتحرر فيها من النماذج السردية التي صاغها بنفسه ونحتها من خلال نصوص إبداعية، أصبحت الآن شهيرة؟

لا يمكن للباحث المختص أن تفوته ملاحظة وردت

بقلم : د. محمد الباردي

كلية الآداب - تونس



حنا مينه

إن دلالة الموقف تتمثل في أن حنا مينه وقد يلجّ أوج مراحل العطاء الأدبي أصبح الآن يدرك أهمية التجاوز، فالخطر الذي يمكن أن يهدد المبدع هو انغلاقه على ذاته فيصبح النموذج الذي غدا مكتسلا منذ الأعمال الأولى متحكما في عملية الإبداع، يجذها ويقلص طاقتها التخيلية ومن ثمة يكون التجريب عند بعضهم، تحريرا متواصلا لطاقة الخيال وتجاوزا مستمرا للسائد من نماذج أدبية وفنية مختلفة ورفضاً للنمط داخل تجربة المؤلف الواحد وخارجها.

بيد أن ممارسة حنا مينه للتجريب من خلال نصه الأخير «النجوم تحاكم القمر» .. تبدو لنا ممارسة محدودة، فهي لا تخرج عن قلب الأسلوب المباشر على الأسلوب غير المباشر أو على حد تعبير المؤلف نفسه «تقلص مساحة السرد» .. ليتسع مجالها للحوار، فمنذ القديم أخذت الرواية عن المسرح أسلوبه الحواري ولكن الرواية تظل دائما جنسا تشخيصيا في حين تظل المحاكاة قوام المسرح، لكن الحوار في هذا النص الجديد تجاوز حده إذ قلص دور السارد فضاقت تلك الفسحة التي كانت تسمح له بالوصف والتأمل والنظر والتعمق في سبر أغوار الشخصيات وتبرير تصرفاتهم، وإذا استثنينا الصفحات الأولى من النص حيث يقدم السارد البطل «عناد الزكر تاوي» في رحلته إلى بيت منعزل وهو كاتب روايات يحيل على المؤلف «حنا مينه» نفسه، إذ يذكر السارد في سياق الرواية تاريخ ميلاده وشخصيات رواياته .. ورواياته التي كتبها ويعرفها القارئ.. فإن الحوار يظل قوام التسيب السرد، عبره تقوم الأفعال وتنمو وتتطور. ولكن هيمية الحوار لا تشرع لهذا النص السرد خرق النموذج ولا

الكاتب - تحمل بعدا تجريبيا، وكذا الشأن بالنسبة إلى الروايات العشرين السابقة كما يتصورها مؤلفها - لقد استقبل حنا مينه من قبل، كل تلك الحركات الأدبية في الرواية، التي تنأى عن الواقعية الخلاقة [٤] أي الواقعية الاشتراكية بروافدها المختلفة ووفق النموذج الذي صاغه لها، بضرب من النقد القاسي الذي يتحول في كثير من الأحيان إلى رفض واضح، فكل الأشكال الأدبية التي تزيغ عن الواقعية كالوجودية والعبث وحتى الرواية الجديدة: تنصل حسب الكاتب بالمذرجعي في الوطن العربي ويعتبرها من نتائج هزيمة العرب في يوليو ١٩٦٧م، وهو إذ يرفض «الرواية الجديدة» باعتبارها رواية شكلانية فهو كذلك يمتعض من مناهج النقد الحديث كالبنيوية والمنهج الاجتماعي، فالنقد الأدبي هو حسب اعتقاده - إبداع يعقلان الأثر الأدبي ويقوده، وهو في هذا السياق يتهم المثقفين المغاربة لأنهم - حسب اعتقاده - يروجون هذه الاتجاهات الأدبية الجديدة [٥]، ونحن لا نريد أن نجادل الكاتب في أفكاره، فهو مبدع ومن حق المبدع أن يفكر بالطريقة التي يراها بيد أن دلالة الموقف الجديد تهمن لأنها تثير قضايا جديدة بالنسبة إلى الكاتب والباحث معا.

والنص الكامل لهذه الأقصوصة تحول في الرواية الى الفصل الأول تحت عنوان «الصوت الأول» وقد صندر برمته في مجلة (الآداب) [٧] كما صندر الفصل السادس من الرواية في مجلة المعرفة السورية وبهنا بصفة خاصة الفصل الأول من هذه الرواية أو القصة القصيرة في حد ذاتها لأن التوسيعات التي أجراها حنا مينة على هذه القصة القصيرة وحولتها الى رواية أبطلت بعدها التجريبي وأعادتها الى النموذج السردى الذي بناه حنا مينة من قبل.

في هذه القصة القصيرة تنسج الوظائف السردية حكاية موسيقى يوناني الأصل يدعى ديمتريو يعيش تمرقاً حاداً بين العقل والقلب وفي لحظة من حياته أدرك أنه أصبح واقعياً أكثر من اللازم فاستغرق في عملية استيطان عميق، واكتشف أنه يحب أم تلميذه الذي يعلمه للموسيقى، وبذلك يجد ديمتريو العقلاني نفسه في مواجهة توائمه ديمتريو العاشق فقد اكتشف العاشق ابتساماً المرأة الجميلة مرسومة على الورق ولكن التوأم يتهمه بعقله ومنطقه ويؤكد له أن علاقة عشق بين موسيقى فقير وامرأة غنية تسمح لنفسها بأن تخص ولدها بمعلم للموسيقى لا يمكن أن تتحقق ولكنه عبتاً يحاول أن يحمو الابتسامة على الورق. وهكذا قرر ديمتريو أن يعالج عقله حتى يعالج قلبه. وهكذا استخرج مخه من جمجمته وفحصه لعله يجد فيه مرضاً ظاهراً يداويه وبذلك يستطيع أن يلقى درسه في الموسيقى دون أن يضعف أمام المرأة الجميلة، لكنه اكتشف أن عقله سليم سلامة قلبه ولم يعثر فيه إلا على ابتسامة مرسومة على شفة. وهكذا أصبح حبه حقيقة لا يمكن إنكارها فأدرك ديمتريو أن المرأة لا يمكن له أن يفر من ذاتة وينكرها.

في هذه القصة يقطع حنا مينة مع تشخيص الافعال النموذجية ذات البعد الواقعي ليبنى أفعالا

**** في روايات حنا مينة تتقلص مساحات السرد ليتسع مجال الحوار.**

**** النقد الأدبي ابداع يُقلن الأثر الأدبي ويقتوده.**

تمنحه سمته التجريبية فالقارئ العربي وهو يقرب صفحات هذه الرواية الجديدة لحنا مينة، يجد نفسه - ضرورة - يفكر في نص مسرحي شبيه من حيث بنيتة الفنية ومبكمه العامة رغم مفارقتها من حيث الفكرة والموضوع وهو نص «الطعام لكل فم» لتوفيق الحكيم، ثم إن تقليص السرد في بعض الروايات الأخيرة وخاصة في «النجوم» يقترب النص السردى من المسرح لا شك ولذلك فهو يخرج من جنسه - وهو جنس الرواية - ليندخه جنساً مغايراً وهو المسرح ومثل هذه العملية الإبداعية لا تثير إشكالية خاصة بطبيعة الجنس على أساس أن الجنس الروائي - كما أسلفنا - جنس تشخيصي حين يقدر ما تعكس رغبة المؤلف في الخروج من حدود الجنس وإشكالياته للارتقاء في أحضان جنس بديل معروف.

إن المحاولة التجريبية الوحيدة في أعمال حنا مينة تتمثل في رواية (مأساة ديمتريو) [٦]، وللرواية في حد ذاتها قصة، فقد كان هذا العنوان في البداية عنواناً لقصة قصيرة حررها المؤلف سنة ١٩٧١ وصدرت ضمن المجموعة الأولى «الأبنوسة البيضاء»

وغير ذلك من وظائف المقاضاة وهي بذلك لم تعد مجرد شخصيات أدبية خرجت من مخيلة المؤلف، بل أصبحت نماذج اجتماعية متكاملة تدافع عن حياتها ووجودها وإن كنا لا ندرک في هذا النص الجديد مآل المؤلف في هذه المحاكمة التي اصطنعها فنانا على يقين أن هذه الشخصيات النموذجية لا تريد أن تحرر المؤلف بل تظل تلاحقه في كامل وعيه وفي مسيرته الإبداعية على أساس أنها شخصيات اكتسبت شرعيتها الفنية في مراحل محددة من تجربة الكاتب ولكنها تصر كذلك على أن تفتصّب شرعية لا تاريخية إذ ترفض أن تكون شخصية المرحلة بروافدها الإبداعية ودلالاتها الاجتماعية والزمنية. والفكرة ذاتها راوتها المؤلف منذ زمن بعيد يسبق صدور هذا النص السردي. ففي كتابه «هو حبس في التجربة الرواية» [8] يخصص فصلا وهو الفصل الحادي عشر من الكتاب عنوانه «محاوراتي... مع أبطالي» يستهله بشرح يبرر فيه اهتمامه ببعض شخصيات رواياته والأسباب التي دعت إلى العودة إليها بطريقة جديدة بعد انتهاء تجربة الخلق، فيقول: «العلاقة بين الروائي ويطله علاقة طريقة حيناً، مزعجة حيناً، غير عادية في كل حين بالنسبة لي، تتأزم هذه العلاقة حتى تشكل كابوساً على صديري، والغريب أن هواجس الرواية التي تنقلب أحياناً إلى كوابيس، لا تأتي في الليل وحده، بل تهاجمني في النهار أيضاً وتقرض عليّ نفسها وتقيم معي حواراً بالرغم عني، يتعبنني، ويضجرني ويخرجني عن طوري أحياناً... وإذا كان أبطال الروايات يصيحون أحياناً تماماً بالنسبة إلى القراء، فهم أكثر حياة بالنسبة إلى المبدعين الذين عليهم، مهما تهربوا أن يواجهوا مبدعهم وأن يؤدوا أمامهم حساباً عن الظروف التي أبدعهم فيها وأشكال هذا الإبداع ومبرراته وصحته وضرورته ومدى الانصاف فيه ومبلغ ما لحقهم من ظلم

سردية يتداخل فيها اللاواقع والرمز وتدنو من العجائبية بما هي إنخال عفيف لغموض في إطار الحياة الواقعية إذ تعرض القصة شخصية عادية تعيش في العالم الواقعي حيث توجد ثم توضع فجأة أمام ما لا يمكن شرحه، وهكذا يصبح الفعل السردية قطيعة من النظام المعترف به وبروزاً مفاجئاً لا يمكن قبوله في قلب الشرعية اليومية التي لا تتغير ولكن تحويل هذه القصة القصيرة التجريبية إلى رواية أحدث في النص الجديد مفارقة غريبة بين مقطع سردي مخالف ومقاطع سردية أخرى مؤلفة بين مقطع يقطع مع الواقعية التقليدية ومقاطع تؤكد وتترسخها.

كذا الشأن بالنسبة إلى رواية «النجوم تحاكم القمر»، فهي كذلك تحمل مفارقة لا تقل غرابة عن تلك التي أشرنا إليها في «مأساة ديمتريو» ففي حين يسعى الشكل ولو نسبياً إلى الخروج عن الأسلوب الذي عرف به حنا مينة في رواياته الأولى المعروفة عبر تغليب الأسلوب المباشر وتقليص دور الأسلوب غير المباشر، يسعى المضمون من خلال الأفعال والشخصيات تثبيت النماذج ومنحها شرعية لا تاريخية في مسيرة المؤلف، فالرواية في حقيقة الأمر هي حكاية شخصيات متخيلة كان المؤلف قد ابتكرها لتقييم محاكمة... وهي في أغلبها شخصيات الروايات الأولى: المصابيح الزرق، الشراع والعاصفة، الياطر، ثلاثية البحر والربيع والخريف، والمؤلف لا يكاد يذكر من شخصيات الروايات التي صدرت في السنوات الأخيرة إلا «مران الطوراني» بطل رواية «فوق الجبل وتحت الثلج»، لكن دلالة هذه «الرواية» بالنسبة إلى الباحث في أدب حنا مينة عميقة، فكان المؤلف يريد من كتابة هذا النص الجديد، أن يحتفي بنماذج الروائية فيقيم لها مجلساً خاصاً ويترك لها المجال الواسع للتعبير عن نواتها فمنها القاضي والمحامي ونائب الحق العام والشهود

*** الإبداع عند حنا مينة توليد مستمر لأشكال جديدة وتنوع على نغمة واحدة

صياغة روائية لقصة قصيرة كان قد نشرها حنا مينة سنة ١٩٧٥ وصدرت من جديد في مجموعته «الأنوسة البيضاء بعنوان» هذا ما بقي منه [١٠] ومن القريب أن نلاحظ أن الكاتب حافظ على القصة كما وردت في «الأنوسة البيضاء» هذا فيراها تقريبا فجل المقاطع السردية الرئيسية وردت في صيغتها القديمة وما فعله حنا مينة هو إضافة مقاطع سردية جديدة وتوسيع مقاطع قديمة، فمن المقاطع التي أضافها، ذاك المقطع السردى الذي يروي حكاية السيدة البرتغالية... مارسيل ميشيل... المصاية بالسرطان وابنتها «ليديا» التي أقامت علاقة مع البطل سرعان ما انتهت، والمقطع الذي يروي حكاية البطل في سورية بعدما أعاد ابنته المريضة من العاصمة البريطانية وقد يس من شفاها، أما المقاطع السردية الموسعة فهي تتعلق بحكاية حياة البطل مع ابنته في لندن - بعد خروجها من المستشفى وحكاية دفن الفلسطيني الذي مات مصابا بمرض مستعص ويعض المقاطع التأملية التي تصف أزمة البطل وغرته، وهكذا يتأكد موقفنا الذى كنا قد أبديناه عندما لاحظنا أن «حنا مينة يفتال قصصه القصيرة ولا يرى فيها إلا مشاريع روائية ممكنة تنتظر لحظتها الإبداعية للانجاس» [١١].

ومن قبل، كثيرا ما وظف الكاتب قصصه القصيرة في رواياته الشهيرة، فبالإضافة الى ملاحظتنا المتعلقة برواية «مأساة ديمتريو» أشرنا الى أن الكاتب أعاد صياغة موضوع قصته «غلبة التبغ» في رواية «الطلع ياتي من النافذة» ومثلت قصصنا «على الأكياس» و«رسالة من أمي» مادة سردية هامة في رواية «بقايا صور» [١٢] ويمكن للباحث أن يجد صدق

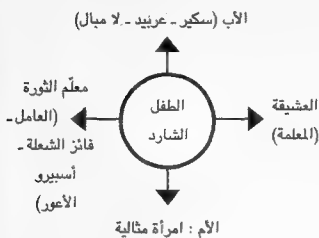
ومن تشوّه ومن أذى جراء كشف أسرارهم ونشر قصصهم وإعلان قضائهم التي كانوا يريدون، أن تبقى على الخفاء [٩] ما نستنتج هو أن حنا مينة يرفض ذاك الاعتقاد السائد لدى علماء الأدب الذي يؤكد أن صلة المبدع بشخصياته الفنية تنتهي بانتهاء عملية الإبداع لتبدأ علاقة جديدة، هي هذه المرة بين هذه الشخصيات الفنية ومتلقيها وهي علاقة متجددة ومرتهنة أساسا بعملية القراءة.

يبدو أن هذا الموقف بالنسبة الى حنا مينة يصبح قضية تتعلق بأولية الإبداع في حد ذاتها، أفلا يحد هذا الكابوس الذي أشار إليه أثناء الحديث عن علاقته بشخصياته الفنية من قدرته على التخيل وإنشاء شخصيات جديدة وأجواء فنية مغايرة للأجواء السائدة التي كان قد صاغها في أعماله الكبرى أو بعبارة أخرى ألم يقع حنا مينة في أعماله المتأخرة في خطر النمذجة والتميط باعتبارهما معاديين للتجاوز والتجريب وعندئذ يصبح نص «النجوم تحاكم القمر» بمثابة الموقف الفكري الذي يبرز جمالية النموذج والنمط؟

للإجابة عن هذا السؤال يمكن أن نقول منذ البداية إن حنا مينة في حقيقة الأمر يبرز جمالية النموذج. إن الإبداع بالنسبة إليه، ليس بالضرورة كسرا للنمط وقطيعة مع النموذج، فهو توليد مستمر لأشكال نابعة من أشكال قديمة صاغها المؤلف، بل هو تنوع متواصل على نغمة واحدة.

وإذا عدنا الى الأعمال الأخيرة التي أصدرها المؤلف نجدها مدونة صالحة للتنظير لجمالية النموذج لدى كاتب ثلاثية البحر، فمن الروايات المثيرة للانتباه رواية «جماعة زرقاء في السحب» فهي في حقيقة الأمر

«بقايا صور» و«المستنقع» و«القطاف» ونختزله في الشكل التالي:

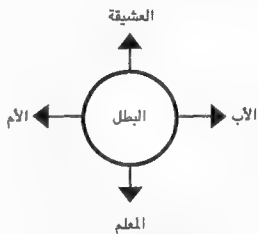


وليس من الغريب أن نلاحظ أن هذا المنوال لا يكاد يغيب في الروايات المتأخرة التي كتبها حنا مينة. لقد حافظ كاتب ثلاثية البحر في روايته «نهاية رجل شجاع» [١٣] على ملامح البطل الروائي كما رسمها في «الباطر» ثم في الثلاثية خاصة وقد تجسدت من قبل في رواية «الشراع والعاصفة» - فلمفيد الوحش - بطل رواية «نهاية رجل شجاع» من سمات «الطروسي» وزكريا المرستلي وصالح حزم الشبي الكثير، لقد نشأ

لكل قصة قصيرة كان المؤلف قد كتبها في الكثير من رواياته بشكل أو بآخر.

إن المسألة في رواية «حمامة زرقاء في السحب» لا تتمثل في مجرد استفاضة كاتبها من إحدى قصصه القصيرة بل في أن بنية الرواية في حد ذاتها قد صيغت سلفاً، فحظ الإبداع فيها لا يتجاوز ضرباً من توسيع هذه البنية بإطالة بعض المقاطع السردية وإضافة مقاطع أخرى، ولذلك يمكن أن نقول إنها بشكل من الأشكال صياغة لنموذج سابق. ولكن هيمنة النموذج يبدو في بعض الروايات الأخرى.

لقد لفتنا النظر إلى أن حنا مينة استطاع أن ينحت منوالاً أخضع له جل رواياته وقد لخصنا هذا المنوال في الشكل التالي:



إن البطل في روايات حنا مينة محكوم بتربعة أطراف رئيسية هي الأم والأب والعشيقة والمعلم أو المرشد. وقد تحدد هذا المنوال شيئاً فشيئاً من خلال تجربة روائية طويلة بدأت بالمصاييح الزرق ولكنها - في اعتقادنا - بدأ في صورته الأكمل والأبلغ في ثلاثية البحر (حكاية بحار - الدقل - المرفأ البعيد) وقد تتنوع صورة هذه الشخصيات الرئيسية من رواية إلى أخرى ولكنها لا تخرق هذا المنوال إلا نادراً. وهذا المنوال في حد ذاته نجده في سيرة المؤلف الذاتية كما صيغت في

** القصص القصيرة

عنده مشاريع روائية

تنتظر لحظة الإبداع.

** أربع شخصيات رئيسية

أضحت تقليدية في

أعمال حنا مينة.

حب الشخص الوصفى للمالك الواسع أعماله بـ جمالية النموذج أو النمط

في نفسه بذرة
 الرقص والتحدى
 عبرت عنها الرواية
 منذ صفحتها
 الأولى «في أحد
 أيام الصيف وكان
 عمري ١٢ عاماً،
 قطعت بسكين حادة
 كنت أحملها دائماً،
 ذنب حمار أحد
 الجيران في
 ضيعتي «الغراب»
 انتقاماً من صاحبه
 الذي شكاني الى
 والدي بسبب ما

كنت أقوم به، مع عصبية فاسدة من أولاد القرى
 الجاورة، من اعتداء على أملاك الناس وسرقتها
 وإتلافها أحياناً [١٤] وهذه البذرة نمتها غريزته
 الحيوانية التي لم تلق في البداية الرعاية الكاملة
 لتهدئها، فقد كان رأسه «الكبير المكسو بشعر خشن
 كشعر القنفذ لا يتدفق إليه» كلام وقد خلق «جسمه
 العملاق» للعراك ولم يخلق لنشر الأفكار [١٥] وهو
 بذلك يترك أنه في منزلة وسطى بين الإنسان والبهيمة،
 الإنسان هو الإنسان والبهيمة هي البهيمة وأنا بين
 الإنسان والبهيمة، أحسّس الأشياء أفرح لها، أحنن
 من أجلها، أطير سعادة، أختنق غماً لكنني، في كل
 ذلك، لا أستطيع التعبير ولا ترتيب مشاعري أو معرفة
 الحسن من السيء [١٦] ولكن المدينة الكبيرة
 بتناقضاتها الاجتماعية وبمظاهر فسادها المختلفة،
 ستحوّل هذا الرفي ذا النزعة الحيوانية الى بطل يدخل
 حلبة الصراع لكي ينجح فيها هنا في المدينة ستتعلم

كيف تتعامل مع الناس وكيف سينالونك بالأذى، إذا لم
 تقنع عن هذه الشقاوة. فكر في أمرك، في وضعك في
 تدبير عمل ما وإلا مت جوعاً، هنا لا توجد كروم عنب
 أو تين لتسقط عليها وتشبع معدتك [١٧] ولكنه قبل أن
 يتوج بطلاً ويصبح «طروسيًا» لابد من أن يمر بمجموعة
 من الاختبارات وأن ينجح في تجاوز عدد من العراقيل
 فكان الاختبار الأول متمثلاً في معركة مع العدو
 الفرنسي: «الفرنسي مجتَل، هو عدو إذن ومقاومة العدو
 واجب، لكن المعركة لم تطل، حسمها تدخل قوة من
 الجند ولم تسفر عن قتلى» [١٨]. ثم تأتي التجربة
 الثانية المتمثلة في اختبار السجن وهو اختبار أساسي
 لابد أن يمر منه بطل حنا مينة «يا مفيد، يا ابني،
 أخلاق السجن غير أخلاق المدينة، عد على أصابعك:
 واحد: لا تملك وأنت في السجن، ٢- لا تتولد، ٣- لا
 تدخن، ٤- لا تقرب من القمار، ٥- لا تستنقز السجناء
 ولا تتركهم يستفزونك، ٦- لا تعد أيام السجن ولا تفكر
 كثيراً بما هو خارجه، ٧- لا تتعاط النخلة أو الكنب أو
 التسخل في ما لا يعنيك، كن رجلاً، السجن يحب
 الرجال» [١٩].

وبعد السجن يخضع البطل لاختبار التتويج فقد
 وجد نفسه طرفاً في الصراع الدموي القائم بين رجلين
 من رجال «العجوز» المحتر للعلم في الميناء، فكان
 لابد من أن يدخل المعركة وأن يخرج منها منتصراً
 «وفي المعركة» حين أفتاح، يضرب الدم على عيني،
 أصبح كالأعمى، وكالأعمى أمأج، أضرب بما تظله
 يدي وقد وجدت، مصادفة، في كفي قضيب حديد،
 ضربت بشدة، بقسوة، ولم يفلح أي منهم أن يمسك بي،
 أو ينتزع القضيب من كفي، انقلبت الى وحش
 كاسر [٢٠].

وشأن البطل في جل روايات حنا مينة يجد «مفيد
 الوحش» نفسه في النهاية وحيداً فهو يرفض التنظيمات

والشتم وتأتى اليّ فتك الحبل، وتأخذني من يدي بعيدا عن البيت، فنجلس معا على صخرة أو على التراب تحت شجرة وتأخذ في ملاطفتي ونصحي» [٢٢].

وهما معا - الأب والأم - زمزان الخضور الأسرة في مسيرة البطل، لكن الأسرة دائما في رواية حنا مينة ذات البطل الاشكالي تمثل عبئا ثقيلا على البطل، فهي تثبط هزيمته وتضعف قدرته على الفعل - وبالنسبة الى «مفيد الوحش» كان منذ البداية مدركا لأهمية العائلة باعتباره عائقا لابد من التخلص منه وتجاوزه.

يقول: «الارتباط العائلي، كما هي حال الآخرين، كان مبتوتا في حياتي والبيت في قرية الخراب التي ولدت فيها لم يكن أكثر من وكر ألتجأ إليه للنوم في الليل أو طلبا للطعام حين أجوع أو حين أعجز عن تحصيل لقمتي بنفسي» [٢٤] بيد أن ما تفشل في تحقيقه العائلة يحققه «المعلم» أو «المرشد» فالمرشد شخصية رئيسية لابد أن تعترض مسيرة البطل في مرحلة من مراحل حياته. وقد يكون أكثر من شخصية واحدة إذ تتبدل الشخصية بحكم تأثير عاملين أساسيين هما تبدل المكان وتغير الزمان وفي كل الحالات يظل «المرشد» معينا للبطل، لأنه قبل كل شيء، حامل للمعرفة وقناة عبرها يمر الوعي الاجتماعي والسياسي وهو يفتح الطريق حتى ينفخرس البطل في المجتمع المدني بعمقه الاجتماعي والسياسي.

فقد كان «ابراهيم الشنكل» مؤزع المنشورات الداعية الى مقاومة المحتل، المرشد الأول الذي علمه درسا لم تستطع المدرسة أن تعلمه إياه «أنت لم تخلق للمدرسة، وقد عاشرت رفاق السوء، وتستطيع الآن، أن تغير سلوكك، وتبدأ بداية أخرى طيبة، أي في سنك أن تأكل خبزك بعرق جبينك وأن تساعد والدك، كلنا فقراء... ولكن لا ذنب لنا في فقرنا هناك الأغوات

والنقابات والأحزاب، فرغم انفتاحه على الآخرين تظل نزعتة الفردانية مهيمنة عنده على الفعل البطولي «إذا أضربتم أنا معكم، إذا تظاهرتم سرت معكم، إذا قامت معركة وقفت الى جانبكم، ما عدا ذلك دعوني وحدي، سأنتقم من المعلم البطحيش وحدي، وربما من العجوز إذا اضطرت الى ذلك، أما الاجتماعات والتنظيمات فأتاها خارجها» [٢١]، وهو كذلك يبرر نزعتة الفردانية ورفضه للعمل الاجتماعي المنظم تبريرا - أضحي معروضا في روايات حنا مينة إذ يبدو البطل عجولا لا يؤمن بالمسيرة التاريخية وبأن الصراع الاجتماعي محكوم بأسباب موضوعية وأن السم فيه يظل رهين تغير هذه الأسباب يبرر «مفيد الوحش» موقفه قائلا: «أنا لست ضدكم وهم ليسوا ضدي، لكني لا أطيق مشية النملة، لا أريد أن أكون نملة» [٢٢] ونتيجة لهذا الموقف، يجد البطل في النهاية نفسه يعيش عزلة تؤدي به الى الجنون أو الانتحار - تلك هي مسيرة البطل كما حددها حنا مينة في جل رواياته، بيد أن هذا البطل تتجاذبه أربع شخصيات رئيسية - أضحت تقليدية في أعمال حنا مينة الروائية وهي شخصيات الأب والأم والمرشد والعشيق. وفي «نهاية رجل شجاع» تتقابل شخصيتا الأب والأم، فيقدر ما يبدو الأب شديدا قاسيا في التعامل مع ابنه - البطل - تبدو الأم ضعيفة وحنونا «لم يكن أبي ينتظر رأي أمي ليفعل بي ما يريد أو ما يراه ضروريا لتأديبي، كان يربطني الى زيتونة أو شجرة توت ويتزع زناره الجلدي القشاط العسكري وينهال به علي حتى يتعب... وبعد أن يشفى غليله يدعني مربوطا ويذهب ليستريح... فإذا استراح واسترد أنفاسه قام إلي وعاد جلدي» حتى تنهار قواه هو العملاق فيدعني مربوطا ساعات طويلة أو ليلة كاملة... لكن أمي كانت تجازف وتحمل الضرب

وعلى هذا النحو كذلك جاءت بنية الشخصوص في الروايات الأخرى التي صدرت في التسعينيات، ففي رواية «الرحيل عند الغروب» [٢٠] يتخذ البطل - هاني أو فاطر - للجاوي شخصية بخار يعود إلى البحر ليبحر عبره في ذكرياته أو ومضاته. الاستراتيجية الثمانية، ولعل قارئ حنا مينة يدرك التشابه الغريب بين البنية السردية في هذه الرواية والبنية السردية في الثلاثية: حكاية بخار - الدقل والمرنأ البعيد، فالروايتان تبدآن بتأملات في البحر. يبدأ السارد رواية «الرحيل عند الغروب» بمقطع سردي مطلع «كان يعرف البحر كما يعرف كفه تماما، عاينه من شاطئ من البوسفور حتى جبل طارق، زار مرافئه مرقأ مرقأ، أقام فيها كلها تقريبا» [٢١] ويبدأ السارد رواية «حكاية بخار» بهذه الجملة السردية: «كان سعيد حزوم يستلقي على الرمل الحار مستسلما بكل جوارحه إلى دفئه الذي ينعش قواه: كان يفتح عينيه ويفمضهما ويشد جسمه على الرمل كما لو أنه يود أن يفوص فيه» [٢٢]، وتنتهي الروايتان بالرحيل المقعم بالأمل.

يقول السارد في خاتمة «الرحيل عند الغروب» مشيت نحو الشاطئ ببطء والشمس ورأت إلى غروب والذئبا من حوالي إلى صمت والفكر إلى شرود والبصر إلى امتداد، ففي الأعلى تظهر النجوم دائما، ونجمتي التي أهتدي بها إلى ظهور لا شك فيه» [٢٣] وتنتهي رواية «المرقأ البعيد» بهذه الجملة السردية «رشف سعيد قهوته وهو يفكر ثم انحدر باتجاه الميناء ولما صار على ظهر الباخرة وقف عند الصاجز وأرسل بصره باتجاه المدينة، فيما الباخرة تغادر، تبتعد وسؤال كبير عنيد يلح عليه: ترى... يقلعون الشجرة من جذورها هذه المرة؟» [٢٤].

في هذه الرواية - الرحيل عند الغروب - تخضع بنية شخصية البطل إلى بعض التحويرات الطفيفة،

والملاكون والدرك وكل سلطة الحكومة التي تترصدنا وتتقنبا، تستغلنا وتغنينا وتسجننا، أعرف لماذا؟ ولما هزرت رأسي بالنفي أجاب: «لأننا نوقظ الناس، نفهمهم حقوقهم، نحركهم للمطالبة بخروج فرنسا» [٢٥]، وبعد ابراهيم الشنكل التقى مفيد الوحش صديقه عبدوش الداشين الذي تولى بدوره تلقينه بعض دروس الحياة [٢٦] ثم جاءت تجربة السجن لتمكن البطل من التعرف على بعض المساجين السياسيين ولكن الأستاذ ماهر فتح له باب الوعي السياسي على مصراعيه وأخرجه من الحيوانية إلى الانسانية ليكون نافعاً لنفسه وللآخرين. قال المرشد الجديد «كن شريفا فهيما وستجد أنهم هم الذين يبحثون عنك لا تقسد حياتك، لا تهدر قواك. اذكر دائما أن الحياة كفاح وأن الإنسان مكافح وأنه يملك العقل الذي يهديه. وهذا ما يميز الإنسان عن الحيوان» [٢٧] ثم يصل البطل المرحلة الأخيرة في رحلة الوعي عنده وهي مرحلة الالتحام بالعمل النقابي. فكان يروم الزعيم النقابي في الميناء القناة التي تصله بالعمل المنظم وكعادة البطل عند حنا مينة، يرفض مفيد الوحش التماهي مع مرشده إذ يظل يعد تجربة البحث والوعي متمسكا بنهجه الخاص «إنك لست ضدنا ولكن ليس معنا، غايك إظهار شجاعتك، أن تكون رجل الميناء وأشجع شجعانها، كذلك تريد أن تبقى طليق اليدين مع أننا لا نقيده ولا نقيده أحدا غيرك، كل ما هنالك أننا نعمل كجماعة وأنت تفضل أن تعمل كفرد» [٢٨].

ويشأن البطل... كذلك في روايات حنا مينة - يمتلك مفيد الوحش عشيقته - لبيبة جسديا وعاطفيا - فعلا يلتقيها ثانية يتزوجها «شملتني فرحة وأنا أنظر إليها، فرحة الإنسان الذي أضاع شيئا عزيزا ثم فجأة وجده. لقد وجدتها، كانت ضائعة فوجدتها» [٢٩].

مواجهة هو لها كل أنزعها وكل سيقانها وفي الأفق التمتعت شرارة برق وسقط تيزك، فقال للجاي في نفسه: «إنها الصاعقة وأنا مانع الصواعق». ويذكر يضع نفسه أمام الاختبار الصعب فلمغامرة جانتان: «البطولة عند الانتصار والطيش عند الفشل» [٢٩]. ويعد اختبار التتويج، يمر البطل باختبار «التثبيت» وهو عادة ما يكون السجن الذي يمنح البطولة لونه السياسي.

وقد لا يجد القارئ مشقة في العثور على ما يشابه بنية الشخص هذه، في رواية «الولاعة» ففرح الأرمني (أو المزمومي) هذا الفتى المقبل على الحياة بدون خبرة، يجدد نفسه بين أبيه (بالتبني) وأمه والأستاذ صبحي الذي يعطيه دروساً مستمرة في الحياة وفروسيا، الولاة التي تحولت إلى عاصفة هزت البيت. وتنمو شخصية البطل عبر التجاذب المتواصل بين هذه الشخصيات الرئيسية.

من هذه الروايات كلها نستنتج رواية «فوق الجبل وتحت الثلج» فهي لا تخضع لهذه النمطية في بناء الشخص، ولكنها بدورها تحيل على نموذج روائي سابق كان قد كتبه حنا مينة وهو رواية «الربيع والخريف» فشخصية مران الطوراني - البطل السارد - الذي يجد نفسه في بلد من بلدان أوروبا الشرقية تملك الكثير من سمات كرم المجاهري - بطل رواية «الربيع والخريف» [٤٠]، رغم بعض ملامح السيرة الذاتية فيه وشخصية بريارة، في «فوق الجبل وتحت الثلج» لا تختلف كثيراً في بنائها النفسي عن شخصية بيروشكا في «الربيع والخريف» والروايتان تتفقان في رؤيتهما للعالم وبعدهما التسجيلي، لقد اكتشف بطل رواية «الربيع والخريف» في بودابست - باريس الصغيرة المجتمع الاشتراكي الأوربي اكتشاف الصديق من خلال المقهى الصغير (م - ك) الذي يفتح على شارع

فتغيب شخصية الأم وتكاد تغيب شخصية الأب إذ لا تكاد نغثر إلا على جملة سردية واجدة متعلقة به «تهريب الآثار كان يقوم به والذي، وقد مات الآن». وقد أقلت عنه حتى عندما كان والذي حيا ولعلك فإن والذي تاب أيضاً، وأقلع عن هذه الفعل قبل أن يموت بسنوات طويلة. والذي لم يكن قديسا ولم يكن ملاكا أو شيطانا» [٢٥].

ومع ذلك تظل شخصيتا المرشد والعشيق قائمتين - فالمرشد لا بد أن يكون سياسيا أو نقابيا وقد شاعت الأقدار (أو بالأحرى إرادة المؤلف) أن يلتقي فاطر للجاي مرشده فينقله «إلى الضفة الأخرى عكس التيار» [٣٦]. وكان اللقاء مفاجئا ولكنه يستجيب للخطبة النفسية التي عليها البطل «هذا المستبطن الليل، في عمل سرّي ونافع، أنزل عني متاعبي ببساطة مذهلة، كان لقائي به مصادفة سعيدة وغير سعيدة في آن» [٣٧].

وعن طريقه يجد فاطر للجاي نفسه في العمل السياسي يباشره سرا فيؤدي به إلى السجن. أما العشيق، فهي سلافة وهي في تكوينها لها من شخصية كاترين الحلوة - عشيقه صالح حزم - الشيء الكثير. يقول السارد «وجد الحياة الزوجية قيّدا، من حديد أو حرير، فلما توفيت زوجته رغب عن الزواج ثانية، وتلاقى في هذه النقطة مع سلافة، لذلك اصطفاها صديقة وعشيقه وزوجة وفق سرعته لا سرعة النواميس أو القوانين» [٢٨].

وإن يظل البطل محور العلاقة بين هذه الأطراف الرئيسية لا بد أن يمر باختبار يتوجّه بطلا، ففي ليلة برد عاصف يقرر أن يدخل البحر ليصارع الطبيعة ويعلن انتصاره عليها: «بقي الإنسان والبحر، بقيت الطبيعة المستغفرة والكائن البشري الذي لم يتعمد الاستقرار لكنه اقتطفه. بقي ذراعان وساق واحدة، في

ليتين ومن خلال المرأة المجرية، مفتاح المجتمع في هذا البلد، والمتحف الصبوتي في البيت، توصل إلى أن يستنتج أن المجتمع المجري «مجتمع مفتوح والتعصب المذهبي لا أثر له» [٤١]، وأن الروح المجرية مشبعة بحضور عريقة، تنعكس في تصرف الناس وفي باقة الزهر التي تحرص سيدة البيت على اتباعها [٤٢].

وكذلك اكتشف مران الطوراني في العاصمة اليغارية هذا العالم السفلي الذي يكشف واقعا مغايرا يعسر الوصول اليه، اكتشاف الصديق «فسادا قسادا ومن يستطيع القضاء على هذا الفساد كله؟» «بوراسا» على حق في كرهها لهؤلاء الذين يأتون للتجارة وللدراسة وتحت غطاءها يفعلون كل شيء [٤٣]. ومن خلال هذا البعد التسجيلي الذي يركز في الروايتين - بصفة خاصة، على سلوك المهاجرين العرب في بعض بلاد أوروبا الشرقية ودورهم في نشر مظاهر الفساد الاقتصادي والاخلاقي، تتخذ الروايتان موقفا نقديا دفاعيا، فهما تنقدان هذا السلوك وتدافعان عن التطبيقات الاشتراكية في أوروبا الشرقية.

مما تقدم نستخلص الاستنتاجات التالية:

إن رواية حنا مينة - عامة - ليست رواية تجريبية بالمعنى الاصطلاحي المعروف، فثمة دائما - في كل عمل جديد - ثوابت يبدو أن الكاتب متمسك بها. وقد حاولنا في هذا البحث أن نركز بصفة خاصة على بنية الشخصيات ولكننا يمكن أن نكتشف هذه الثوابت في مستويات عديدة كالزمان والمكان وآلية السرد وتقنياته والبنية السردية في حيد ذاتها. وهذه الثوابت تعكس اختياراتا فنيا قارا وهو أن حنا مينة، يكتب في إطار الواقعية عموما ويختار التشخيص الوصفي للعالم الواقعي ولذلك فعملية الإبداع عنده هي تنوع مستمر

على نمط واحد فنحن نلاحظ لا شك في روايات التسعينيات بعض القطع مع بعض السمات التي تميز الشخصية الروائية. ف لأول مرة يلتجئ حنا مينة إلى وظيفة الانتحار ليضع حدا نهائيا لبطل رواية «نهاية رجل شجاع» فمقيد الوحش يصاب على اثر خروجه من السجن بمرض عضال فيلتجئ إلى فتح دكان يبيع فيه البضائع المهربة لكنه يجد نفسه في مواجهة «المعلم البطحيش» الذي يوظف رقيب الجمارك ليتخلص منه فعندئذ لا يجد مقيد الوحش إلا حلا وحيدا وهو أن يقتل الرقيب وأن ينتحر.

إن هذه الخاتمة تستجيب لمفهوم البطل الروائي كما حذده سابقا جورج لوكاش في كتابه النظري الشهير «نظرية الرواية» فهو يرى أن مآل البطل الاشكالي، في رحلة البحث عن القيم الأصلية في مجتمع متدهور، هو الجنون أو الانتحار، وقد انتحر مقيد الوحش بعد رحلة بحث طويلة عن قيم أصيلة في مجتمع يعج بالفساد لكن هذه الخاتمة ذاتها تثير إشكالا فنيا يتعلق بصيغة السرد، فالسارد يستعمل في كامل الرواية ضمير المتكلم، إذ يتولى البطل الروائي سرد قصة حياته ولكنه في الصفحة الأخيرة يجد المؤلف نفسه مضطرا إلى البحث عن سارد جديد بعد ما وضع حدا لحياة بطله السارد فيلتجئ عندئذ إلى إحدى شخصيات الرواية ليوكل إليها مهمة إنهاء سرد قصة حياة مقيد الوحش «أنا لبيبة الشقرق، سيأروني لكم ما حدث بعد ذلك، سأقول كلمات قليلة، بسيطة، مثل بساطة مقيد وقلة كلامه» [٤٤].

وقد لاحظنا كذلك في بعض هذه الروايات ميلا إلى ضرب من البوهيمية في سلوك البطل لم نعهدها في الأعمال الأولى. فبطل رواية «الرحيل عند الغروب» رغم صفات البطل البحار التقليدية عند حنا مينة، يبدو

- (٢) دار الآداب ١٩٩٣.
- (٣) النجوم تحاكم القمر ص ٥٥.
- (٤) العيارة لحنا مينة.
- (٥) مجلة الوان عدد ٥٥ - ١٩٨٣ - الجزائر، ص ٢٩.
- (٦) دار الآداب - بيروت ١٩٨٥.
- (٧) مجلة الآداب، عدد ١٠ - ١٢ - ١٩٨٤.
- (٨) صدرت طبعته الأولى عن دار الآداب سنة ١٩٨٢.
- (٩) هواش في التجربة الروائية، ص ١١١.
- (١٠) الأبنوسة البيضاء، دار الآداب ١٩٨١، ص ٢٢٧.
- (١١) انظر كتابنا - حنا مينة كاتب الكفاح والفرح دار الآداب ١٩٩٣، ص ١٥١.
- (١٢) نفس المرجع ص ١٤٩ - ١٥٧.
- (١٣) دار الآداب، ١٩٨٩.
- (١٤) ٢٤، ٢٣، ٢٢، ٢١، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٧، ١٦، ١٥، ١٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩) الرواية ص ٧، ص ٤٥، ص ٥٥، ص ٤٦، ص ٧٠، ص ٧٧، ص ٢٣٥، ص ٣٤٩، ص ٣٤٩، ص ١٦ - ١٩، ص ١٦، ص ٤٥، ص ٦٢، ص ٨٩، ص ٣٤٧، ص ٢٩٩).
- (٣٠) دار الآداب، ١٩٩٢.
- (٣١) الرحيل عند الغروب، ص ٥٥.
- (٣٢) حكاية بحار دار الآداب، ١٩٨١، ص ٧.
- (٣٣) الرحيل عند الغروب ص ٢٩٧.
- (٣٤) المرفأ البعيد، دار الآداب ١٩٨٦، ص ٤٠٨.
- (٣٥) الرحيل عند الغروب.
- (٣٦) ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩) انظر الرواية، ص ٢١٥، ص ٤٢، ص ٨٦، ص ٩١).
- (٤٠) دار الآداب، ١٩٨٤.
- (٤١) الربيع والخريف، ص ٣٥.
- (٤٢) الربيع والخريف، ص ١٠٩.
- (٤٣) فوق الجبل وتحت الثلج، ص ١٥٣.
- (٤٤) الرواية ص ٤٠٦.
- (٤٥) الرحيل عند الغروب، ص ٥٣، ص ٥٧.
- (٤٦) راجع - الرواية ص ٢٨٠.

لنا رجلاً غنياً «يشرب ويتفلسف» غير عابىء بالموت والجنون [٤٥] مقبلاً على الحياة بدون هدف واضح ويعيش رافضاً كل شكل من أشكال السلطة والقانون معترفاً بأنماطه وخطاياه ولكنه لم يكن أبداً من المبالين [٤٦]. بيد أن هذه البوهمية تتسم أحياناً بضرب من الغرابة ولعل أبلغ مثال نذكره رواية «فوق الجبل وتحت الثلج» فالبطل مران الطوراني، يعيش كامل الرواية موقفاً غريباً، إذ يجد نفسه صحبة عشيقته «بربارة» فوق الجبل وتحت الثلج تائها وسط عاصفة ثلجية لكنه ظل يشرب ويمارس الحب في وضعيات غريبة ويتفلسف في الحب والحياة والموت غير عابىء بالذئاب والثلج العاصف ومن هذه الوضعيات الشاذة، انبثقت الرواية كلها في ذاكرة السارد الذي روى قصة مجيئه الى بلغاريا والتقاءه بالوفد السوري، وكذلك قصة تعرفه على بربارة نفسها، وهكذا قطع حنا مينة كذلك مع التشخيص الواقعي في كثير من مقاطع الرواية نحو ضرب جديد من التشخيص ألا وهو التشخيص الرمزي.

ومع ذلك فإن الثابت يغلب المتحول رغم إدراكنا أن حنا مينة - في رواية التسعينيات - بدأ يدرك ضرورة أن يتجاوز ذاته وأن يبحث الإبداع عنده من مسالك جديدة حتى لا يقع في التكرار. وهذا يعني أخيراً أن أعمال حنا مينة عامة تجسد تجسيدا بليغا جمالية النموذج أو النمط إذ لا تزال مثل هذه الأعمال تستقبل استقبالا واسعا قراءة ونقداً رغم بروز رواية التشخيص الرمزي والتشخيص النصي في الأدب العربي الحديث.

الهوامش:

- (١) دار الآداب - بيروت ١٩٩٣.



حسين عرب

الشاعرُ الفجُّ [*]

وترى كيف الذي شاد الدُّنى
شادها، أو كيف ذا فُلَّت عتاده
وترى الشَّادي على قيثاره
مُوقد الإحساس من شعر الإشاده
تُسَمِّعُ الأوتارُ من وقته
خفقان السَّيف أو همساً لفاده

هكذا الشَّاعرُ في إبداعه
يُنطقُ الإحساس يستجلي اغتماده
فإذا النُّطقُ شُجُونٌ سُبُكْتُ
وتراً يشدُّو وسيفاً وجالده
وحلّوماً عظمتُ مُسْبَدَعَة
وحبيباً يشتتهي منه وداده

بهرته الغيدُ يوماً فرنا
قاصرات الطُّرف يُغرين جياته
فدنا يُنشدُ من شعر الهوى
ورخى الأُرسان يُغري بالقياده

حيّ هذا الفدُّ واستوقد زناده
حيّ فيه الشُّغفُ مزهُو الريادة
حيّه نهجاً بديعاً مُسمِعاً
طاف بالأفاق يحكيها مُرادَه
وغدا يسبُرُ أعماق النُّهي
جاهداً يجلو فما أغيثُ جهاده
كُلُّ أفق راده نُورُه

كلُّ بحر خاضه زاد اتقاده
فسنا كال فجر في إصباحه
من دياجير المدى شبَّ وقاده
فستى الشعرُ الذي أبدعه
جوهاً يهيبه للدهر قلاده
شعْ منه النُّورُ وحيّاً ملهماً
وخيالاً شاد للشُّغفِ عماده
فترى الشاعر سيفاً مُرهفاً
وتراه الصَّبُّ يستجدي سَعاده
وترى الحكمة من إشعاعه
وسناها لاح يجلو منا أراده

إنما الشُّعْرُ الذي شاعره
أبدع المعنى وأوفاه احتشاده
عريباً قَدْ نظماً خافقاً
بجناح لا ترى الدُّنيا امتداده
وترى الناس لدى إطلاعه
ناقداً يدرى ومن يزري انتقاده
كُلُّهم قاض .. فهذا عادلُ
يُنصفُ الشُّعْرَ، وفي ذاك مراده
والورى يعتدُّ بالشُّعْرَ الذي
يشغلُ الدُّنيا ويستوحي زشاده
ولسَّانُ الناس في ترنيده
يصطفي منه ويتلو مستجاده
وإذا الشعرُ تخطى سفره
لصُدُورِ أشريتْ حُبِّ الإجماده
كان شعراً يرئمُ الكونُ به
بين تقدير الرضا والإستزاده

فإذا هنُ أسيراتُ هواه
.. وفي الأسرِ يُقيِّدن فؤاده
فاستمع من شعره ذاك الصدى
كلُّما فرُّ من القلب أعاده
جذوة من خفقة مُضمرمة
تنوالى من هوى رام الزيادة
فنزكت أفتانهُ مُزمرمة
حكمة الحسّ .. قصيدا وعباده
فترى الشاعر مهديّ الهوى
وترى الغيد تعشّقن الشُّهاده

يا قصيداً يقفُ الشاعرُ يدا
في فتتهزُّ قلوب بالإشاده
هل يسود الشُّعْرُ إن لم تحكه
ألسنُ الدهر براهين سياده؟
فلجّاب الدهرُ من غيرته
وله في رده صوتُ العماده
لا يفرّئك ما خطُ الخوا
كلُّهُ يغنى وإن أغلى مباده

[*] هذه القصيدة ألقاها الدكتور بهاء عزي في
الحفل الذي أقامه (مبتدى على أبو العلا) بمكة
المكرمة تكريماً للشاعر الكبير حسين عزي
والقصيدة تحية إكبار وتقدير لكل الشعراء
المتميزين في العالم العربي.

الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير في خدمة الله



وكان رحمه الله
من العلماء
الأفاضل
المشهود لهم

بالحذاقة وسداد الرأي وهو من الأخيار الذين
خدموا دينهم ووطنهم ومليكهم.

شارك الفقيه في الندوات العلمية التي عقدت
في الرياض وباريس والفايتاكن ومجلس الكنائس
في جنيف والمجلس الأوروبي في ستراسبورغ حول
الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان بين فريق من
علماء الملكة وبين آخرين من كبار رجال الفكر
والقانون في أوروبا.

وللشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير - عليه
رحمة الله - مجموعة أحاديث إذاعية وتليفزيونية
وأبحاث متخصصة ووسائل ومخاضرات في
الشريعة الإسلامية وأحكام المعاملات على مذهب
أهل السنة والجماع للمنهج العلمي للدراسات
المقارنة لمشروع التقنين.
تخمد الله الفقيد بأوسع رحمته ومغفرته
وأسكنه فسيح جناته.

«وإنا لله وإنا إليه راجعون»

انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس
العاشر من شهر ذي القعدة ١٤٢٢هـ معالي
الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير رئيس مجلس
الشورى السعودي عن عمر يناهز ستة وسبعين
عاماً.

ولد الشيخ ابن جبير في (الجمعة) العام
١٣٤٨هـ، وتلقى تعليمه على يد بعض المشايخ،
وحصل على الثانوية العامة من دار التوحيد
بالبائيف العام ١٣٦٨هـ، ثم تخرج في كلية
الشريعة جامعة أم القرى بمكة المكرمة العام
١٣٧٢هـ.

وكان رحمه الله قد تقلد عدة مناصب فكان
ملازماً قضائياً ثم قاضياً في المحكمة المستعجلة
بمكة المكرمة ثم محققاً شرعياً بديوان المظالم ثم
عضو محكمة التمييز ثم رئيساً للهيئة القضائية
العليا بوزارة العدل ثم رئيساً للهيئة الدائمة
بمجلس القضاء الأعلى ثم رئيساً لديوان المظالم
وعضواً في مجلس الوزراء ثم وزيراً العدل ورئيساً
لمجلس القضاء الأعلى بالنيابة ورئيساً لديوان
المظالم بالنيابة ثم رئيساً لمجلس الشورى.

في البلاد والعمارة في التقاليد
والأعراف في ثقافة وجوه
الناس، السائح يستمتع
اللامعة ويهدم اللوحة



اليابان لأول مرة الشرق وبلاد الشمس المشرقة (٢)

مجلة
السائح

العدد (١٣٠)



اليابان لؤلؤة الشرق وبلاد الشمس المشرقة

زيارة المركز الإسلامي في طوكيو:

تهدت مع طائفة من الزملاء لزيارة المركز الإسلامي في طوكيو ويقع في محافظة سيتاجابا وطوكيو مكونة من ٢٢ محافظة بناء على دعوة من رئيسه الدكتور صالح السامرائي الذي زارنا في الفندق وشارك معنا في الندوة يبحث عن الإسلام في اليابان - ولحسن الحظ كان الجو غائماً مما يفري بالخروج والتجول وقد حضر سعادت إلى المعهد انتهاء برنامج الندوة الصباحي ركبنا سيارة المعهد التي انطلقت بنا مختربة شوارع طوكيو وميادينها وكان سعادته يشرح لنا بعض المعالم حتى وصلنا إلى المنطقة التي يقع فيها المركز وهي منطقة لا تتميز بالسعة لكثرة المباني وصادف مرورنا خروج التلاميذ من مدارسهم فرأيناهم بملابس نظيفة وأجسام تظهر عليها الصحة والكفاية من الغذاء ووجدنا في الاستقبال في المركز مجموعة من الأخوة العرب واليابانيين وقد شرح لنا الدكتور صالح ما يقوم به المركز من عمل ونشاط وقد كتب اسم المركز على مدخله في لافتة كبيرة وهو يتكون من خمسة أنوار تجولنا في مختلف نواحيه - وقد حدثنا رئيس المركز الإسلامي في اليابان عن

المنهل

تاريخ الإسلام في اليابان وانتشاره الذي استغرق زماناً وامتد مكاناً وتأخر وصول الإسلام إلى اليابان إلى أواخر القرن التاسع عشر ويعبر اليابانيون عن أسفهم واستغرابهم من هذا التأخير في الوقت الذي وصل فيه الإسلام إلى الصين والفلبين في وقت مبكر .
لقد عاش الدكتور صالح أربعين سنة في هذه الديار وكان قبلها أستاذاً في جامعة الملك سعود في الرياض وقد تحدث عن بداية دخول الإسلام إلى اليابان على الباخرة «آل طغرل» وعلى ظهرها أكثر من ستمائة ضابط وجندي عثماني (ترك وعرب وألبان ويوسنيون . . . الخ) يقودهم الأميرال عثمان باشا، وذلك عام ١٨٩٠م. ويعد أن أدت البعثة مهمتها في اليابان وقابل رئيسها الإمبراطور، عادت أدرجها، إلا أنها وهي لا تزال على الشواطئ اليابانية ليس بعيداً عن أوساكا هب عليها إعصار شديد، أدى إلى تحطمها واستشهد أكثر من خمسمئة وخمسين شخصاً وفيهم أخو السلطان ومعهم عثمان باشا .

هزت الحادثة الطرفين ونقل الناجون على باحرتين يابانيتين إلى اسطنبول ودفن الشهداء عند الموقع وعمل متحف بجانبهم ويحتفل اليابانيون والأتراك إلى يومنا

بقلم : **عبدالله بن حمد الحقييل**

الأمين العام الأسبق لدائرة الملك عبدالعزيز - السعودية



المعمار التراثي في اليابان قيمة ثقافية متحركة عبر الاجيال

هذا كل خمس سنوات بهذا الحادث في نفس الموقع.

بعد سنة من الحادث تبرع صحفي ياباني شباب (أوشاتارو ونودا) وجمع تبرعات من اليابان لعوائل الشهداء وذهب الى اسطنبول عام ١٨٩٩م، وسلم

التبرعات للسلطات

١٩٠٠م ولفت نظره مسجد فيها فدخله وأسلم هناك، وعاد داعية وشارك في إحدى ترجمات معاني القرآن الكريم لليابانية. وفي هذه المرحلة سكن تجار من الهند في كل من طوكيو ويوكوهاما وكوبي، وبذا يعتبرون أول جالية اسلامية تقيم في اليابان.

تردد على اليابان مبعوث للسلطان عبد الحميد يدعى «محمد علي» وذكرت الوثائق أنه كان يخطط لإقامة مسجد في يوكوهاما. كما زار اليابان الضابط برتو باشا مبعوث السلطان عبد الحميد كمرآب الحرب اليابانية الروسية ١٩٠٤ - ١٩٠٥م وأقام سنتين وقابل الإمبراطور وألف كتاباً من جزئين باللغة التركية.

العثمانية وقابل السلطان عبد الحميد، وأثناء إقامته في اسطنبول لقي أول مسلم انجليزي وهو «عبد الله غلام» وهو من مدينة ليفربول، وبعد التحدث معه، قبل دين الإسلام وتسمى «عبد الحليم» كما تظهر الوثيقة العثمانية المرفقة. ويمكن اعتبار «عبد الحليم نودا» أول مسلم ياباني، تبعه بعد ذلك يامادا الذي وصل اسطنبول عام ١٨٩٣م يحمل التبرعات وطلب منه السلطان عبد الحميد تدريس اللغة اليابانية للضباط العثمانيين، واتخذ اسم خليل أو عبد الخليل، فبذا يمكن اعتباره ثاني مسلم ياباني.

أما الشخص الثالث فهو أحمد أريجا وكان مسيحياً يعمل في التجارة، زار مدينة بومبي عام



المراكز التجارية الضخمة من السمت البارزة في اليابان

مكان لحضور المؤتمر، وذكر السيد على أحمد الجرجاوي وهو محام شرعي أزهري أنه ذهب لحضور المؤتمر وألف كتاباً أسماه «الرحلة اليابانية» يقول انه وداعية صيني يسمى سليمان الصيني وروسي يدعى مخلص محمود وهندي اسمه حسين عبد المنعم كونوا جمعية في طوكيو للدعوة الإسلامية وأسلم على أيديهم اثنا عشر ألف يابانياً، وقد استهجن هذا الكلام بعد سنتين أو ثلاث رحالة وداعية مسلم من روسيا زار اليابان، استهجن هذا الإدعاء، واستهجن كذلك ادعاء الجرجاوي الداعية والمفكر الهندي محمد بركة الله الذي أقام في اليابان خمس سنوات ما بين ١٩٠٩ - ١٩١٤م.

كما جاء الداعية عبد الرشيد ابراهيم الى اليابان عام ١٩٠٩م وأقام ستة شهور، قابل فيها رجالاات اليابان من الوزراء إلى الفلاحين، واسلم على يديه نخبة

ويعد الحرب اليابانية الروسية سرية اليابان أنباء عالمية عن اهتمامها بالإسلام والعالم الإسلامي مما حفز المسلمين في كل مكان للاهتمام بنشر الإسلام في اليابان. فقد ذكر العقاد أن ضباطاً مصريين بهرتهم انتصارات اليابان وتطوعوا في الجيش الياباني وتزوجوا يابانيات وخلفوا ومنهم من عاد الى مصر ومنهم من بقي. كما زار الداعية الهندي سرفراز حسين اليابان عام ١٩٠٥م وأوائل ١٩٠٦م. وألقى محاضرات عن الإسلام.

وأقيم أول مسجد في أوساكا للأسرى المسلمين الروس بعد الحرب التي ذكرناها وذلك عام ١٩٠٥م. ولقد نشرت الأخبار في العالم الإسلامي أن مؤتمراً يعقد في طوكيو عام ١٩٠٦م يقارن اليابانيون فيه بين مختلف الأديان لاختيار الدين الصحيح، هكذا وصلت الأخبار المبالغ فيها، فتحمس المسلمون في كل

درسوا في جامعات اليابان ولهم سابقة بالعمل الإسلامي فيها. أسس هذا الفريق أول مركز إسلامي متكامل في اليابان بالتعاون مع آخرين يابانيين ومقيمين من أمثال عمر ميتا مترجم معاني القرآن الكريم لليابانية وعبد الكريم سايتو ومصطفى كوروا وتميم دار محيط وعبد المنير وأطانبا وعمر دراز خان وعلي حسن السمني ومطلوب علي وعينان صفا.

ولقد أوضح الدكتور صالح السامرائي مدير المركز خلال الحديث معه عن العمل الإسلامي أنه جاء تشكيل المركز في فترة هامة مرت بها اليابان وهي أزمة البترول لعام ١٩٧٣م وما بعدها فبدأ اليابانيون يهتمون بالإسلام، حيث إن أكثر الدول المصدرة للبترول إن لم تكن جميعها هي دول إسلامية، فبدأ يفد إلى المركز الإسلامي الأحاد والعشرات بل المئات من اليابانيين ودخلوا في الإسلام أفواجا، وقام المركز بإصدار أعداد كبيرة من الكتب والكتيبات عن الإسلام باللغة اليابانية وأصدر مجلة السلام باللغة اليابانية وغطي البلاد من أقصى الشمال إلى الجنوب بالنشاط الدعوي ووصل الإسلام لأول جزيرة هوكايدو في أقصى الشمال وفتح الفروع في مدن عدة وأرسل الطلبة إلى المملكة العربية السعودية ومصر للدراسات الإسلامية وأسس أول مجلس للتنسيق بين الجمعيات الإسلامية وعندها حينذاك اثنتي عشرة جمعية تضم التجمعات الإسلامية اليابانية في عدة مدن والجالية الإندونيسية وجمعية الطلبة المسلمين وذلك في عام ١٩٧٦م.

ولقد سألته عن عدد المسلمين في اليابان فتعجب: كنا نعد المسلمين اليابانيين قبل هذه الفترة ما بين ألف إلى ثلاثة آلاف، وبدأنا فيها نعد المسلمين بعشرات الآلاف، وانتشر الوعي الإسلامي لدى الشعب الياباني فبعد أن كان الدين الإسلامي يدعى (كاي كيو) أصبح

من المفكرين والصحفيين والضباط الشباب كما زار الصين وكوريا والهند والحجاز وألف كتاباً من ألف صفحة باللغة العثمانية أشرف كاتب هذه السطور على ترجمته ومراجعته.

وعبد الرشيد... رحالة وداعية وسياسي وأديب وعالم وقال عن كتابه المرحوم عبد الوهاب عزام إنه أهم من كتاب ابن بطوطة.

كما زار اليابان محمد بركة الله من بهوبال في الهند وهو أول من علم الأوردية في جامعة اللغات الأجنبية في طوكيو وأصدر لثلاث سنوات مجلة «الآخوة الإسلامية» ما بين ١٩١٠ - ١٩١٢م، وأسلم على يديه عدد من اليابانيين.

ولقد ازداد اهتمام اليابان بالعالم الإسلامي لأغراض متعددة، توسعية، اقتصادية، ثقافية، كما تمت ترجمات لمعاني القرآن الكريم وشكلت الجمعيات وألفت الكتب الإسلامية والاستشرافية.

وبدأ المهاجرون من المسلمين التناثر يفدون إلى اليابان فراراً من الحكم الشيوعي في روسيا واستقر أكثرهم في طوكيو وناغويا وكوبي. كما أدى ثاني مسلم ياباني فريضة الحج وهو المرحوم نور أبي تاناكا الذي أسلم في الصين. كما أسلم في الصين المرحوم عمر ميتا مترجم معاني القرآن الكريم، وزار عمر ياما أوكا مصر وذهب إلى الأزهر عام ١٩٢٤م.

وفي عام ١٩٧٣م أرسل الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله الدكتور السامرائي للدعوة الإسلامية في اليابان ومعه ستة آخرين (خالد كيبا (ياباني) وأسعد قربان علي ابن مؤسس مسجد طوكيو المرحوم عبد الحي قربان علي وعبد الباسط السباعي (مصري) وعلي الزعبي (سوري) وعبد الرحمن صديقي (باكستاني) وموسى محمد عمر (سوداني) وهم من



وصدقة جارية، والله يجزي الجميع عن الإسلام خير (الجزء).

ثم سألته عن أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم فقال:

(إن أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم يقوم بها مسلم هو المرحوم عمر مينا نشرت في هذه الفترة وخصص لها الملك فيصل رحمه الله مبلغاً محترماً أودع بسفارة المملكة العربية السعودية يصرف منه على طبع الترجمة كلما نفدت نسخها).

وفي عام ١٩٨٠م تبرع الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله بأرض من أجل إقامة مقر شامخ للمركز الإسلامي، وقام الأميران الكريمان نايف بن عبد العزيز وأحمد بن عبد العزيز بتشديد البناء وبذلك أصبح المركز الإسلامي معلماً إسلامياً يقصده الأساتذة والطلبة والصحافيون والتلفزيون وعمامة الناس، منهم من يعلن إسلامه ومنهم من يستعلم عن الإسلام، ولا يزال هذا المقر يؤدي دوره بتطور وتحسن مستمر. وانتهت زيارتنا لهذا المركز الإسلامي ونحمد الله فيها هو الإسلام في اليابان أفضل حالا حيث تتابعت الجهود الخيرة الواعية التي وجدت رعاية واهتماماً بما يتفق مع مصالح المسلمين وأمالهم وترسيخ التعاون بينهم وارتفعت اليوم منارات شاهقة وصروح باسقة للإسلام في طوكيو وخارجها.

ورأينا مساجد تعمر وأفرد يدخلون في دين الله وها هي المساجد والجوامع والمعهد العربي الإسلامي كل ذلك يساعد بدفع موكب الدعوة وعجلة التعريف بالإسلام وحضارتها التي رأيناها مزدهرة ومنتشرة بين مختلف الطبقات وأن مستقبل الدعوة سيكون مشرقاً في هذه البلاد.

يدعى (اسرام) لعدم وجود حرف اللام باللغة اليابانية ويستبدلونها بالراء وسألته عن أول ندوة عن الشريعة الإسلامية فقال: عملت في عام ١٩٧٧م أول ندوة عن الشريعة الإسلامية أقامها المركز بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي وجامعة شو أو CHUO وكان محررها الأستاذ خالد كيبا وحضرها عم الامبراطور الحالي وأعضاء المحكمة العليا وثلاثمائة من أئمة القانون في اليابان وحضرها المرحوم محمد علي الحركان واستمرت ثلاثة أيام، وكان من نتيجة هذه الندوة عمل دراسات مستمرة حتى يومنا هذا عن الشريعة الإسلامية في اليابان. كما عقدت ندوات ثقافية حضرها الآلاف في طوكيو والبلد الأخرى برعاية كبريات الصحف اليابانية التي تصدر الملايين لكل صحيفة بالتعاون بين المركز الإسلامي وجامعة (الملك سعود).

وسألت الدكتور صالح عن توفير الكتاب الإسلامي باللغة اليابانية. فقال: (إن المركز الإسلامي منذ تأسيسه قبل أكثر من عشرين سنة حرص على توفير الكتاب الإسلامي باللغة اليابانية، ويكاد المركز الإسلامي يكون هو المؤسسة الوحيدة في اليابان التي تزود بالكتاب الإسلامي، جميع الهيئات والجمعيات الإسلامية في اليابان والمؤسسات والأفراد داخل اليابان وخارجه.

ولقد أصدر المركز حتى الآن أكثر من أربعين كتاباً وكتبياً باللغة اليابانية أعيد طبع معظمها مرات عديدة. ولدى المركز الآن كتب بعضها معد للترجمة والبعض الآخر نفدت نسخه ويحتاج إعادة طباعة.

(إننا نرجو من اخواننا المسلمين في كل مكان المساهمة في دعم هذا العمل الخيري وهو علم ينتفع به

في أول القائمة، على المسرح وقد أذن الشيخ نعمة الله وصلى الدكتور صالح السامرائي بالمسلمين ركعتي نفل، وقرأ آيات من «القرآن الكريم» ووقف الشيخ نعمة الله ورددت معه جموع المواطنين اليابانيين الذين حضروا الاحتفال «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وكانت بأيدي الجميع ورقة مكتوب عليها باليابانية لفظ الأذان وشرحه ولفظ الشهادة وشرحها والصلاة وكل حركاتها وألفاظها ومعانيها باليابانية إنها أحد وسائل التعريف والدعوة.

ويقولون إن المنظم الرئيسي هو رئيس لفرقة بوذية كبرى قال: ذهبت الى اندونيسيا وكانت من قبل هندوكية وبوذية والآن أهلها مسلمون، ولأول مرة أعرف أن عدد المسلمين في العالم يزيد على عدد النصارى وعدد البوذيين. وهذا يظهر أيضاً احترام الشعب الياباني للإسلام. هذه حقائق يذكرها الأخوة وفقهم الله في نشر الدعوة.

لمحة عن التاريخ الثقافي لليابان :

من صفات الشعب الياباني حب العمل والابتكار. قبل أن أسافر الى اليابان حرصت على زيارة السفارة اليابانية في الرياض والتقيت بالملحق الثقافي السيد/ عبد الله ماتهام وهو رجل على جانب من اللطف والخلق الكريم وقد زودني بمجموعة من النشرات الثقافية والجوية والتاريخية قرأت أكثر من كتاب وتكونت في خيالي عدة صور ونظرة شاملة لتاريخ الثقافة لليابان. يدرك المرء أن هذه البلاد أخرجت خلال تاريخها الطويل ثقافة وطنية جيدة تعهدها من داخل أنفسهم ومن القارة الآسيوية ومن الغرب وفقاً لأذواقهم وأدمجوها كعناصر جوهرية للثقافة مع تنوع متزايد في التطور الثقافي والالتقاء مع

ثم اصططمنا الأخوة لزيارة جامع طوكيو ووصلنا بعد صلاة الظهر وأدينا الصلاة في هذا الجامع الرحب الفسيح وهو واسع وذو باحات متسعة وفرش نظيف وقد رحب بنا المشرف على الجامع ثم استأذن لوجود طائفة من الزوار ممن جاوا للتعرف على الإسلام ومن جاء يعلن إسلامه وفي جانب آخر كان إجراء عقد زواج ثم غادرنا الجامع وزرنا مشروع مقر المدرسة الإسلامية حيث يجمعون التبرعات لبنائها نسأل الله أن يكون في عونهم لأهمية وجود مدرسة تعلم أبناء المسلمين ويشع نورها بتعاليم الإسلام فالتعليم الإسلامي أساس المحافظة على هوية أبناء الأمة الإسلامية وهي محاضن لتربية الأجيال الصاعدة من أبنائها ونظراً للغلاء الرهيب في اليابان فقد اشترى المسلمون هذه القطعة الصغيرة من الأرض بكثير من ثلاثة ملايين دولار.

ثم اخترقنا شوارع العاصمة وكان الجو ممطراً والزحام شديداً حيث عدنا للفندق في انتظار أن يحين موعد الذهاب للمعهد فهذا اليوم هو آخر أيام الندوة الثقافية.

مشاعر متعاطفة مع الإسلام :

لقد سمعنا الكثير من الروايات عن الإسلام والمسلمين في هذه البلاد ومن ذلك أنه في كل عام يقوم ممثلو الأديان المختلفة بالاجتماع سنوياً في جامعة Showa Joshi Daigaku يحضره المواطنون في المحافظة يتقدمهم المحافظ، وإن المنظمين للاجتماع يضعون المسلمين في أغلب السنين في أول البرنامج، رغم أنهم أقل الأديان أتباعاً. وفي هذا العام وضعهم



العالم الخارجي ويحتاج المرء الى وقت ودراسة لفهم الثقافة اليابانية والمركز الذي تحتله في التدفق المستمر لتاريخ الثقافة العالمي. لقد كنت حريصاً في رحلاتي على التعرف على خصائص تلك البلاد وما تمتاز به من مظاهر العمران وما تختص به من ضروب المعارف والآداب وبدائع الفنون.

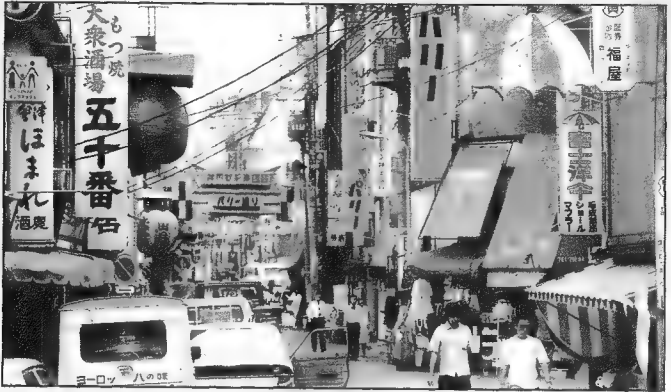
إن الإحساس بالجمال الذي يتسم به اليابانيون دليل وعي على الذوق الرفيع وحب الطبيعة مع البساطة الانيقة ويتجلى ذلك فيما يشاهده المرء ويراه في المعارض والمحلات التجارية والمراكز الثقافية - ولقد حدثني أحد الاساتذة قائلًا عندما خرجت اليابان من عزلتها فإنها كانت في مجال التكنولوجيا وراء الغرب بمسافة بعيدة وكان الاتصال بالغرب وكان لابد من تبني سياسة تطوير تتضمن جهوداً لإدخال التكنولوجيا وكان إدخال التكنولوجيا يستلزم تنظيمياً اجتماعياً ووعياً قادراً على استيعابها ولذا فنحن نفخر بأعلى معدل في العالم لعدد الباحثين بالمدارس والجامعات - وأن السمة التي ميزت الثقافة اليابانية هي القدرة على التكيف والتعدد كما أوجد التزاوج الذي تم بين الأجناس المختلفة التي استوطنت اليابان المزيد من القوة والمنجزات العلمية.

في كتب الجغرافيا كنا نقرأ أن اليابان تشتهر بأنها بلاد الشمس المشرقة والبراكين والزلازل - وهذا صحيح ولكنها اليوم أكثر من ذلك فهي تشتهر بأشياء تقنية كثيرة وخلال جولتي في الأسواق سألت عن اللؤلؤ فاليابان تستخرج اللؤلؤ من البحر وعندهم لؤلؤ طبيعي وآخر صناعي وسعره مرتفع فهو غالي الثمن فمستوى المعيشة هنا مرتفع وفي شارع «جنزا» شاهدنا المعارض والمحلات الانيقة التوهجة تمتلئ

بالبضائع والمعرضات بشكل أنيق وجذاب ورأيت ثقتهم وإخلاصهم في العمل كما أن وجوههم دائماً مبسمة وهذا عنوان الألب كما أنهم يتحدثون بصوت غير مرتفع، وبالجمله فهم شعب قد تعلم وتقدم ونشأ على حب العمل والابتكار وتطوير أدائهم في عملهم والاستفادة من وقت الفراغ وتحويله الى نوع نافع من الأعمال فالعلاقة مع العمل علاقة حب وولاء وليس منفعة فقط وقد أفاد مرافقونا من الشباب السعودي الذي يتلقى العلم في الجامعات اليابانية أن الكثير من الشباب يحاول استثمار وقت فراغه في محاولة التعرف على أسرار صناعات جديدة يمكن استثمارها بشكل مختلف وتعلم من أخرى الى جانب العمل الذي يجيدونه لاعتقادهم أنهم يمكن أن يكونوا أكثر انتاجية من خلاله كما يحرص البعض على الأبحاث العلمية المتخصصة التي يمكن أن تساعدهم على أداء العمل بشكل أفضل لأنها تشكل عائداً مالياً لهم من خلال بيع الاختراع لشركاتهم وبخلاصة القول إن الشباب يمتلك قدرة عجيبة على التمسك بالعمل والصبر على المشاق وتطوير العمل الذي يقوم به وولاؤه مطلق للمؤسسة التي يعمل بها.

من أشهر مناطق السياحة :

في صباح يوم مشرق جميل بدأنا جولتنا بصحبة بعض الأخوة المرافقين لنا من شبابنا السعودي الذي يدرس في اليابان لزيارة برج طوكيو الشهير وهو برج مرتفع يشبه برج إيفل في باريس ولكنه أعلى وأجمل وقد أفاد المرشد الى أنه قد استخدم في بنائه حوالي ٥ طن من الصلب وفيه معارض ومتاحف ويقال إنه



الحركة التجارية متصاعدة

درجة حرارة تلك المياه مرتفعة وبالإضافة إلى جبل «فوجي» الذي يعتبر أهم معلم سياحي ومن المناطق التي تشتهر بجمالها الطبيعي وبغابات أشجار الصنوبر الشريط الساحلي الواقع شمال مدينة (كيوتو) وهناك مجموعة جزر (ماتسوشيما) وتوجد بحيرات رائعة الجمال تكتنفها الغابات من كل جانب وتقع على ارتفاع ١٢٦٩ متراً عن سطح البحر حيث يتدفق منها شلال (كيجون) وتعتبر هذه المنطقة من أكثر المناطق جذباً للسياح ولا سيما في فصل الصيف - وهناك يشاهد المرء الريف الجميل والبيوت المصنوعة من الخشب ذات الطابع المميز والمزخرف وأكثر البيوت من الخشب لكثرة الزلازل والبراكين التي تحدث في اليابان وتؤدي إلى هدم البيوت وإحراق المزارع والأشجار والمباني وتعتبر اليابان أغنى دولة بالغابات في العالم إذ تغطي حوالي ٦٨٪ من مساحتها العامة

أعلى برج في العالم ولا غرو فالـيابان دولة صناعية قادرة على تقليد كل شيء وتترجمه إلى ما هو حسن ورائع وبعد جولة في البرج خرجنا منه وكان ممثلنا بالزوار ثم أخذنا نتجول في شوارع طوكيو ذات الحيوية والحركة ليلاً ونهاراً وبعد جولة في ربوع العاصمة خرجت إلى بعض مناطق السياحة حيث تكثر في اليابان البنايات الحارة ذات المياه المعدنية التي تتدفق مياهها نحو سطح الأرض ويقصدها السياح للترويح عن النفس والمرضى للتداوى ومن أشهر تلك البنايات (ينبوع إيكوا) القائم في القرية التي سمي باسمها وتقع على سفح تل قرب العاصمة طوكيو وقد أقيم فيها عدة فنادق مدت إليها مياه ذلك الينبوع بآبائيب من الخيزران وزرعت على جميع حماماتها المزودة بأحواض يستقي منها الزلاء بعد ملئها بالماء الساخن ويعد إضافة شيء من الماء البارد إليه لأن



وكوبي وهناك مدن أخرى تشتهر بصناعة الأدوية والمنسوجات المختلفة مثل مدينة «أوساكا - وكوبي» وإلى جانب ذلك ورغم قلة مساحة الأرض فهم يعملون على توسيع رقعة الأرض الزراعية عن طريق زيادة المدرجات الجبلية وتحويلها إلى أرض زراعية ورغم ظروفها المختلفة فقد ظلت في طليعة الدول التي يحقق ميزانها التجاري الربح الدائم.

اليابان تنظم سباق واحة الصحراء للفيل على كأس سمو ولي العهد:

خلال وجودنا في طوكيو كان اللقاء بالأستاذ/ راشد الزيندي مدير عام نادي الفروسية بالرياض الذي حضر للمشاركة في سباق واحة الصحراء على كأس سمو ولي العهد وقد حرصنا على الحضور والمشاركة بهذه المناسبة ولأحظت عشق اليابانيين واهتمامهم بهذه الرياضة حيث أقيم سباق واحة الصحراء على كأس صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد على ميدان سباق الخيل في طوكيو باليابان للعام الثالث على التوالي لمسافة ١٦٠٠ متر لخيل أربع سنوات فأكثر وشارك في هذا السباق خمسة عشر جواداً.

وحضر السباق ما ينوف عن ١٢.٠٠٠ (مائة وعشرون ألف) شخص كما نقل السباق حياً على الهواء من قبل التلفزيون الياباني ويقدر عدد المشاهدين بما لا يقل عن عشرين مليون مشاهد وأشادت وسائل الإعلام اليابانية من تلفزيون ورايو وصحافة وانترنت بهذا السباق وبالكأس المقدم من سموه الكريم الذي يحظى بتقدير واهتمام عشاق هذه الرياضة ونوه مدير عام نادي الفروسية بالرياض الأستاذ/ راشد بن عبد

وشتفيدون من أخشابها في سد حاجة الصناعات المختلفة كما شاهدهت علي سفوح الجبال الأعشاب والأزهار الرائحة ويقول المرافقون بأنها أسهمت في تنمية ذوق الشعب الياباني وجعله في طليعة الشعوب عناية بزراعة الأزهار وتنسيقها ولقد سالت عن عدم وجود الحيوانات البرية رغم الطبيعة الجبلية والغابات فقل لي أن البراكين التي ثارت ولا يزال بعضها ثائراً ققت على الحيوانات البرية بحمها المحرقة وبرمادها المدمر- وما يلاحظ توفر الكهرباء وذلك لغناها بالأنهار ذات الغزارة الدائمة والإنحدار الشديد وفي شوارع المدن المختلفة يلاحظ المرء مكاتب الشركات الصناعية الضخمة التي لفتت أنظار العالم إليها مثل شركات (ميتسوبيشي) و(تويوتا) و(سوزوكي) و(ميتسوي) و(سوميتومو) وغيرها بالإضافة إلى مئات المصانع الصغيرة المقامة في البيوت والقرى ولقد أقيمت حول المصانع بيوت للسكن ومطاعم ونواد وحدائق ومدارس وعيادات أطباء ومصحات وأهم صناعات اليابان تتركز في أربع مدن كبرى موجودة في وسط جزيرة «هونشو» وهي طوكيو، ويوكوهاما، وناغويا، ويوكوسوكا كما شاهدنا ناقلات النفط العملاقة في أرصفة بناء السفن وفي عدد من المناطق قامت صناعة القاطرات والسكك الحديدية التي يبلغ طولها أكثر من ٤٠ ألف متر حيث تؤمن النقل الرخيص للأشخاص والبضائع والألنوم والنحاس كما تتركز صناعة الأجهزة الكهربائية والإلكترونية ولا سيما «المذياع والتلفاز والحاسوب وأجهزة الهاتف والفيسالات والبرادات وغيرها» في مدن طوكيو، ويوكوهاما، وكيوتو، وكوبي كما تشتهر بصناعة الطائرات وقطع غيارها في مدينتي طوكيو

ينور في مخيلات شباب الجيل الصاعد الذين يصغون
التكهن بنخر شطحاتهم.

ويتبارى طلاب المعاهد الفنية الشهيرة كمعهد
بويوغي للرسوم المتحركة وغيره بعرض ابداعاتهم عن
الشخصيات الخرافية التي قد يتم تبني بعضها من قبل
أحد المنتجين الزوار. وفي تلك الحال، فإن ما يبدأ على
شكل محارب فضائي مصنوع من لي بضعة أسلاك
معنوية ملونة قد يصبح بضاعة تجلب الملايين من
الدولارات واسماً يعرفه الأطفال في الملايين من المنازل
حول العالم.

اليابانيون يتعلمون اللغة العربية:

اللغة العربية لغة القرآن الكريم والخضارة
الإسلامية ويحرص المسلمون في أنحاء العالم على
تعلمها ودراساتها والنطق بها وخلال زيارة المعهد
العربي الإسلامي في طوكيو ومشاهدة الطلبة اليابانيين
وحرصهم على تعلم العربية يدرك المرء جهود المملكة
العربية السعودية في نشر وتعليم اللغة العربية في
العالم بصفة عامة، وعن جهود جامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية بصفة خاصة في نشر اللغة العربية
ومدى اهتمام اليابانيين باللغة العربية كما أن هناك
جهوداً ومؤلفات لبعض المستعربين اليابانيين. كما أن
هناك تعاوناً بين جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية ممثلة في المعهد العربي الإسلامي بطوكيو
وبين الجامعات والجمعيات اليابانية المعنية بالدراسات
الإسلامية والعربية والشرق أوسطية. ولا شك أن
إرسال الأساتذة السعوديين إلى مراكز الدراسات
العربية والإسلامية وأقسامها في الجامعات اليابانية
للتدريس وعقد اللقاءات العلمية والقيام بالأبحاث

المحسن الزيندي إلى أن رعاية سمو الأمير عبد الله بن
عبد العزيز آل سعود لرياضة الفروسية العربية الأصيلة
ليس في المملكة العربية السعودية موطنها ومنشؤها
فحسب وإنما في أماكن شتى للدلالة على علاقة هذه
الرياضة العربية أينما كانت ولتكون رمز صلة وتعاون
بين مختلف الشعوب ومنها الشعب الياباني الصديق
الذي أصبح بمختلف فئاته يعيشها إلى حد كبير.
وكانت مراسم السباق قد بدأت عند الساعة الثانية
عشرة ظهراً برفع العلمين السعودي والياباني وعزف
النشيدين الوطنيين بحضور كبار الشخصيات من
دبلوماسيين ورسميين وإعلاميين ورئيس جمعية
الصداقة العربية اليابانية ورئيس جمعية الصداقة
السعودية اليابانية ورئيس نادي الفروسية في اليابان
والقائمين على إدارة النادي.

مهرجان طوكيو :

يقام في طوكيو عدد كبير من التجمعات الفنية
الشبابية كل عام ولكن أكبرها هو «ديزايين فيستا» وهو
مهرجان تصميم يجري مرتين في السنة على أرض
معروض «طوكيو بيغ سايت» الضخم. نظام المهرجان
قائم على تأجير مساحاته المقسمة إلى «دكاكين»
صغيرة لمن يشاء وضع أعماله سواء للبيع أو العرض
فقط، وإضافة إلى كونه فرصة لتلاقي الفنانين الشباب،
فإن له أهمية خاصة حيث يزوره ذوو الشأن في معظم
شركات التصميم اليابانية بأنواعها المختلفة من منتجي
الإعلانات وأقلام الرسوم المتحركة إلى دور تصميم
أزياء وغيرها. وذلك بحثاً عن مؤاهب جديدة لاجتذابها
يعروض وظيفية إحياءاً، أو مجرد الإطلاع على آخر ما



خاصة وقد أخذت اللغة العربية اليوم تتقدم بخطى واثقة لتستعيد مكانتها في بعض المحافل الدولية.

بروفيسور ياباني يتوقع انتشار الاسلام في اليابان في زمن قياسي:

خلال جولاتي في اليابان سجلت بعض اللحظات العابرة لبعض جوانب الحياة ومظاهرها التي شاهدها أثناء المرور السريع والحديث العابر وهي لمحات موجزة عن تلك الرحلة وما تركته من أثر في النفس مما مررت به في تلك البلاد.

- في مدن اليابان قراها أعدت دور خاصة لتناول الشاي الأخضر فيها بالإضافة الى وجبات طعام مختلفة والشاي الأخضر هو المشروب المفضل ويتم تناوله بارداً وساخناً وتقدم بعض الحلوى زاهية الألوان لتعويض الطعم المر للشاي.

- في تنسيق الزهور في اليابان ناحية هامة وهناك

المشتركة سيكون له أثر كبير الى جانب تنشيط قسم الترجمة بالمعهد بحيث يقوم بالترجمة التبادلية بين العربية واليابانية فينقل الى اللغة العربية أهم الإصدارات اليابانية ويترجم الى اليابانية الكثير من الكتب العربية المهمة.

وتطوير مركز المعلومات بالمعهد حتى يكون له دور حيوي فاعل مع إصدار دورية علمية باللغتين العربية واليابانية لتكون معبرة عن نشاطات المعهد ولتنقل صورة واضحة عن التقدم العلمي في المملكة العربية السعودية لليابانيين ولتنقل للعرب مستجدات العلم في اليابان. كل ذلك سوف يسهم في خدمة التعاون بين البلدين ونشر اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة وتراث المسلمين الثقافي ومن هذا المنطلق ينبغي مضاعفة الجهود والاهتمام بنشرها في أرجاء العالم وبحث السبل والطرائق التي من شأنها ذلك

شرائح. تلك نماذج باختصار من قصة الغلاء في طوكيو وقد روى أحد المرافقين لنا أن هناك نوعين من البقر يبلغ ثمن الكيلوغرام من لحمه ٤٠٠ دولار وأما السكن فهو يقص الظهر والجيب.

- المعهد العربي الإسلامي في طوكيو مفخرة سعودية حيث يقع في منطقة راقية في العاصمة يعتبر بحق قلعة علمية خصة من قلاع العرب الإسلامية ومن حيث الموقع والمساحة وروعة التصميم وجودة التنفيذ فقد استطاعت الجامعة التغلب على المصاعب والتحديات لتأسيس هذا المعهد في ظروف اليابان الصعبة حيث الغلاء الملتهم إنه إنجاز بكل المقاييس.

- يحافظ اليابانيون على ثقافتهم وتقاليدهم بشكل كبير وعندهم حرص لافت للنظر على الاحتفاظ بالموثوث والاهتمام به.

- لوحظ إقبال الشباب على الالتحاق بالمعهد العربي الإسلامي وقد وفق المعهد في جذب أعداد من الشباب وأبدى كثير منهم عناية واهتماماً بالدين الإسلامي واللغة العربية ويطلب الكثير منهم محاضرات عن الإسلام وحضارته وهذه هي المحصلة الطبيعية والمرجوة بإذن الله تعالى. مما جعل المعهد يكثف نشاطه ويمد جسوره مع الشرائح اليابانية المتنوعة الأكاديمية والاجتماعية.

- «الجو» لعبة من ألعاب الذكاء وصلت لليابان من الصين ويميل الناس الى اعتبارها لعبة تراثية قديمة.

- مدينة «أوساكا» هي أكبر مدينة في غرب اليابان وقد ساهم موقعها في تحولها الى مركز اليابان التجاري وتزخر بالمركبة والنشاط والصناعة وبها شركات متعددة تملك كلها تقنيات على المستوى العالمي.

أساليب عديدة لتنسيق الزهور تكمن وراء كل منها فلسفة مختلفة ولها أساليب غاية في البساطة والإتقان وهناك ما يزيد عن ٣٠٠٠ مدرسة للاهتمام بهذا الجانب.

- تبدأ السنة الدراسية في اليابان في شهر أبريل وتمتد اجازة الصيف لعدة أسابيع وتنتهي السنة الدراسية في شهر مارس وتبدأ الدراسة من الساعة الثامنة والنصف صباحاً حتى الرابعة والنصف مساءً خلال أيام الأسبوع ويذهب الطلبة بعد ذلك لممارسة الرياضة وغيرها من الأنشطة خارج نطاق المنهج المدرسي وتتناوب مجموعات الطلبة في كل فصل لتنظيف الفصول والمرات والحمامات وفناء المدرسة وغيرها من الأماكن.

ويدرس الطلبة اللغة الإنجليزية في السنة الأولى من الدراسة الإعدادية وبالطبع اللغة اليابانية هي جزء شديد الأهمية في دراستهم وكتابة اللغة اليابانية تحتاج لوقت طويل وتتطلب تدريباً متواصلاً.

- عناصر الطعام الطازجة تعد أمراً شديداً الأهمية في الطعام الياباني التقليدي ورغم أن الأرز هو الغذاء الأساسي فإن السمك أيضاً مصدر هام للغذاء وأحد الأطباق المفضلة.

- اليابان واحدة من أكبر الدول المستوردة للمنتوجات الزراعية في العالم حيث لا يزرع من أرض اليابان سوى ١٣٪ فقط.

- الحياة في اليابان غالية ومرتفعة وقيمة المتر من الأرض في طوكيو وخاصة في منطقة «جنزا» تصل الى مليون دولار للمتر الواحد وقد علق أحد الزملاء قائلاً: لقد بدا لي وأنا أقضم تفاحة في اليابان أنني أجتز قطعة من سبيكة ذهب وحينما بدأ في أكل قطعة شمام فقد تخيل أنه يقص ورقة من فئة المائة دولار الى



عن الإسلام - وهناك المعهد العربي الإسلامي والمراكز الإسلامية تساهم بدفع عجلة الدعوة والتعريف بالإسلام وحضارته .

- يعتمد جزء كبير من القوة الإقتصادية لليابان على التصنيع . . . والسيارات هذه واحدة من أشهر المنتجات ففي عام ١٩٩٨م أنتجت اليابان أكثر من ١١ مليون سيارة ونصف السيارات المنتجة يتم تصديرها .
- جميع أنواع المواصلات موجودة في اليابان من الدراجة حتى أسرع قطار على وجه الأرض بشكل منظم والسكك الحديدية هي وسيلة للنقل عالية الكفاءة .

- ترتبط جزر اليابان الأربع الرئيسية ببعضها البعض بحراً وجواً وبرااً ومن خلال جسور وأنفاق .
- من خلال استعراض بعض الكتب يلاحظ أن هناك نهضة أدبية حديثة شديدة النشاط فالأدب الياباني المعاصر لقي اهتماماً دولياً وحصل مجموعة من أدبائه على جائزة نوبل للأدب .
- قرأت أن هناك عدداً لا حصر له من المهرجانات التي تعقد على مر العام مثل مهرجان الثلوج له جاذبية خاصة حيث يذهب إليه آلاف الزوار .

- بالرغم من أن اليابان بلد صغير من حيث مساحة الأرض، فإنها تضم ثامن أعلى عدد للسكان في العالم إذ يبلغ ١٢٧ مليون نسمة مما يجعلها من أعلى دول العالم كثافة بالسكان .

- طوكيو هي العاصمة منذ عام ١٩٦٨م ولعلها كما رأيت أكبر عواصم العالم من حيث المساحة والكثافة السكانية وهي نقطة جذب دولية للأنشطة التجارية وتتميز بتراتها الثقافية المتعدد .

- إن أول خطوات المسلمين في اليابان بدايتها عام

- يقال إن الناس هناك في اليابان يسبغون أسرع من أي فرد في العالم وقد سالت عن السبب فقلت لي أنهم يعتبرون الوقت من ذهب كما أن هذه الرغبة الدائمة في سرعة الحركة هي جزء من ثقافة هذه البلاد التي تكونت عبر القرون .

- «التوم مبيكراً والاكل سريعاً» شعار يحترمه الجميع يشرحونه لنا قائلين إذا نمت مبكراً اقتصدت في تكاليف الإضاءة والتدفئة وإذا أكلت بسرعة وفرت وقتاً كبيراً للعمل . وهنا قلت لهم إن الوقت من ذهب .
- سواحل اليابان كثيرة التعرج زاخرة بالرواسي والخلجان والجزر وأينما كنت فإن البحر قريب منك .

- على الرغم من صغر مساحة اليابان، فإن حوالي ٢٢٥ بركاناً تتوزع في مختلف مناطقها منها ١٦٥ بركاناً بين هاديه وخامد وما تبقى وقدره ٦٠ بركاناً كلها ثائرة وأهم براكين اليابان على الإطلاق بركان (فوجي) الذي يقع في القسم الشرقي من أواسط جزيرة (هونشو) على بعد ٩٠ كيلاً إلى الجنوب الغربي من العاصمة طوكيو .

- يوجد في اليابان عدة أنهار من أشهرها نهر «تيسو» كما تضم أرض اليابان عدداً من البحيرات التي ترقد وادعة بين أحضان الجبال المكسوة بالغابات مما يضفي عليها جمالا ومشهداً أخاذاً كما تكثر ينابيع المياه الحارة والمعدنية التي تتدفق مياهها نحو سطح الأرض ويقصدها الكثيرون للتداوي وللترويح عن النفس .

- الإسلام الآن في اليابان هو أفضل حالا، مساجد تعمّر وأفراد يدخلون في دين الله تعالى لا يدخلونه أفواجاً لكن مجموعة منهم ولو قليلة بدأت تسمع وتقرأ

أن تكون أقل من القليل ولهذا لا يغمض لي جفن حتى كنت قد أعددت حقائب للسفر وفتشت الغرفة بحثاً عن الأوراق والأبحاث والكتب وغيرها وهذه عادة ثابتة فالزوايا والدواليب والأركان طامسا فيها الشيء الكثير في عدد من رحلاتي القديمة وقد حاولت اصطياذ لحظات نوم أغمض فيها عيني وعندما حاولت ذلك قرع مسئول الرحلة باب الغرفة طالباً استلام الحقيبة .. والاستعداد للإفطار والذهاب الى المطار وخرجنا من الفندق «نيو أوتاني» وهو يعج بالحركة ليلا ونهاراً - فهو من أضخم الفنادق - استعداداً للذهاب الى المطار والسفر بطبيعته يولد في النفس حالة من الشجن وعدم الاستقرار وخرجنا مبكرين قبل أن يستيقظ الناس وتعج الشوارع بحركة السيارات وفي الطريق من الفندق الى المطار كان إلقاء النظرة الأخيرة وكان زحام الطريق عادياً في مثل هذا الوقت وبخنا الى المطار وتوجهنا الى ركن الخطوط اليابانية وكان المطار يعج بالمسافرين حيث إن المبنى تنسوه فيه النظرات ولكن العمل فيه يتم بسرعة ونظام رغم ضخامة المبنى الذي يحتوي على مجموعة من الأسواق ذات أدوار متعددة ومترامية الأطراف وقبل الموعد المحدد كنا في الطريق الى الطائرة ووداع مودعيننا من السفارة السعودية والمعهد العربي الإسلامي في طوكيو والطلبة السعوديين في اليابان.

وهكذا بعد تمضية أيام حافلة بالمتعة والفائدة وروية كل شيء يستحق أن يراه الزائر، ودعت تلك البلاد والنفس مفعمة بشتى الانطباعات والذكريات الجميلة مردداً قول الشاعر العربي:

نزلنا ها هنا ثم ارتحلنا

فنبينا نزل وارتحل

١٨٩٠م حينما رست سفينة تركية على الشواطئ اليابانية وفي عام ١٨٩٦م أسلم أول رجل ياباني وفي عام ١٩٠٩م وصل مكة المكرمة أول حاج ياباني وفي عام ١٩٢١م استقرت أول جالية إسلامية في اليابان وتم بناء أول مسجد ياباني في عام ١٩٣٥م.

- اليابان تستعد لإحداث نقلة نوعية في علاقتها مع دول العالم الإسلامي.

- بروفيسور ياباني يتوقع من خلال دراساته واستقراماته انتشار الإسلام باليابان في زمن قياسي. فقد أوضح الدكتور صالح السامرائي مدير المركز الإسلامي في طوكيو أن بروفيسوراً يابانياً بونياً وضع كتاباً ذكر فيه أن الإسلام إذا استقر قليلاً في اليابان، فسيضم الإسلام اليابان كلها في زمن قياسي مثل ما حدث في اندونيسيا وماليزيا وذكر أن كل مسلم هو داعية وألف البروفيسور ساندا (رئيس معهد القانون المقارن في اليابان وعميد كلية القانون في جامعة شو أو من كبريات الجامعات في اليابان) كتاباً يؤكد فيه تفوق الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية ولزوم الدين الإسلامي للشعب الياباني ومسئولية المسلمين في العالم أن يقدموا الاسلام للشعب الياباني والعالم أجمع.

مغادرة اليابان :

كان هذا اليوم الخميس الموافق ١٤٢٢/٢/٢٠ هـ هو يوم مغادرة اليابان ومن عاداتي في ليلة السفر إعداد الحقيبة ولا أحب ترك ذلك للصباح أو اللحظة الأخيرة كما يفعل البعض وذلك تقاضياً للتسيان أو ضياع شيء في بلاد بعيدة قد لا يعود لها المرء وأحرص دائماً على عدم كثرة المشتريات وأحرص على



الإمام

محمد متولي

الشعراوي

اهتز العالم الاسلامي اهتزازا كبيرا لرحيل الإمام المفسر الشيخ محمد المتولى الشعراوي الى جوار ربه الكريم، فقد كان الرجل بالغ الأثر في توجيه النفوس المؤمنة الى أشعة نور الله في كتابه المبين حيث رزق أسلوبا فريدا، يقرب القاصي، ويجمال الكثير في أسير العبارات، وأشدّها تأثيرا، وقد رزق حظوة لدى العامة والخاصة معا، لأن كلا الفريقين يأخذ من حديثه ما يمتع ويروق، كل وفق تفكيره وهو أمر لم يتح في تفسير آخر، وذلك توفيق الله.

لقد كان الشعراوي من أبطال التنوير الحقيقي في بلاد الإسلام، إذ جعل القرآن الكريم مصدرا لتنويره استجابة لقول الله عز وجل {قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام، ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم} (المائدة/ ١٥، ١٦)، على حين ادعى التنوير قوم ينشرون الكتب المضلّة على أنها أداة التنوير، فكتاب الإسلام وأصول الحكم لا يعتبر من التنوير إلا إذا قصد باللفظ ضد معناه، وقد رجع مؤلفه عن لباب ما جاء به كما أوضحت ذلك أكثر من مرة مؤيدا بالدليل، فكيف يعاد نشره على أوسع نطاق، وكأنه حق لا مرية فيه، لقد ارتاع لذلك فضيلة الإمام الراحل جاد الحق على جاد الحق، واقترح عليّ أن أقوم بتفنيد لفكرة الكتاب من جديد ليعلم الجيل الحديث من أمره ما قد يغيب عنه، وقد قمت بما أشار، وأصدرت مجلة الأزهر ملحقا خاصا بهذا التفنيد.

« أول اتصال » :

لم تكن لي صلة قريبة أو بعيدة بشخصية الشيخ، لظروف لم تهبيء هذا الاتصال، ثم انتلق اسم الرجل فجأة، وأخذت دور النشر تتهاك على تسجيل أحاديثه في كتب خاصة دون أن ترجع اليه في تحقيق ما تنشر، فراعني أن تتسب أحوال محرّفه للرجل الكبير، وقد رزق الله آثاره من الذیوع ما جعلها تنتشر في كل منزل، فسارعت بكتابة مقال نشرته بجريدة الجمهورية الصادرة في أول أغسطس ١٩٨٦م قلت فيه:

«إن ما ينشر من هذا التفسير الرائع على الناس في كتب صغيرة تتابع بها المطابع، وتتلقفها الأيدي وثاقبة مطمئنة لم يصدر أكثره عن أمر الشيخ ورقابته الدقيقه، بل تجرّ ذوو الكسب التجاري على سرعة الطبع، فنشروا ما يمكنهم تحصيله كما يتهبّاء لعقولهم، فقد قرأت نصين يكادان يكونان مختلفين لتفسير آية كريمة نقلهما ناسخان عن الشيخ الكبير فكتب كل منهما ما خالف الواقع وفق ما فهم، وليست المسألة من السهولة بحيث يجوز عندها السكوت، فإن هذه النصوص المنسوبة للشيخ دون أن تلتزم الدقة



بقلم: أ.د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

«حديث النكسة» :

بعض الذين يسوؤهم أن يجهر عالم بالحق، أخذوا يحصون على الشيخ عبارة تحدث بها عن النكسة الأليمة في حزيران ١٩٦٧م حديثاً يحمل جانباً من المبالغة، والتمسوها مناسبة للليل من فضله! وأنا أعرف شعور الشيخ عن الكارثة، منذ وقعت قبل أن يشتهر فضله بين الناس، قرأت أن أكتب مقالاً أشير فيه إلى ما قاله الشيخ من قبل، لتعليم الناس أنه يصدر عن فكر مؤمن لا يتزحزح، فنشرت مقالاً بمجلة الأزهر، قلت فيه:

«لقد كان الشيخ الشعراوي سنة ١٩٦٧ مديراً لمكتب الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر، وقد وكل إليه اعداد كلمة الافتتاح لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية المنعقد في سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م لتلقى على لسان الإمام الأكبر، وكان الحفل مشهوداً حضره السيد نائب رئيس الجمهورية حسين الشافعي نائباً عن الرئيس جمال عبد الناصر، وامتلأت القاعة بكبار المسؤولين وأعضاء المؤتمر من شتى بلاد الإسلام ولم يستطع الإمام الأكبر أن يلقي الكلمة لمريض نزل به، فوكل إلى الشيخ الشعراوي أن يلقي خطبة الافتتاح من ورقة مكتوبة نيابة عنه، وهنا قال الشعراوي على لسان الشيخ ما لم يجرأ أحد أن يقوله في عهد عبد الناصر حيث صدع بقوله نقلاً عن مجلة الأزهر (شعبان ١٩٦٨م) إذ ظهر عبد من المجلة خاص بالمؤتمر كانت كلمة الافتتاح في مقدمته، وفيها يقول:

«أيها الإخوة العلماء، إن نكبة النكسة التي واجهت أمة العرب، وشعوب الإسلام لم تكن محنة سياسية بقدر ما كانت محنة دين، فمن الجائز على سياسة البشر أن تخطيء تخطيها، أو تخور مواجهتها، ولكن ليس من الجائز أن يجعل الله للكافرين على المؤمنين

المطابقة قد أصبحت بعض ميراثه العلمي وستكون وثيقة معتمدة أمام الأجيال القادمة، فربما زاد فيها المغرضون على عمد ففسبوا للشيخ ما لم يقل، وظهر المشوّب باطلاً في كتاب يحمل اسمه، بل إنى قرأت كتاباً يجمع خطباً منبرية قيل إنها من تأليف الشيخ، والعجيب كل العجب أن يعترف الناشر في مقدمة الكتاب أنه وضع لكل خطبة مقدمة من تأليفه هو، وخاتمة تحمل حديثاً نبوياً ليتم للخطبة وضعها المؤلف! وهذا عبث أقل ما يقال فيه إنه يغفل الفارق العلمي بين الدرس في المسجد، والخطبة في المنبر، فدرس المسجد ذو منهج عقلى يحمل الإقناع الفكري، وخطبة المنبر يوم الجمعة ذات طابع وجداني يجنح إلى الاستمالة والتأثير النفسي ولا شك أن الرجل الكبير قد فوجيء بهذا العبث، وأغضى على ألم لم يشأ أن يعلنه تكرماً وتسامحاً ولكن الأمر جد».

هذا بعض ما قلته في مقال طويل بجريدة الجمهورية، وقد كان له صده القوي لدى الشيخ، إذ قرأه مرات عدة كما نقل لي بعض مريديه، وقد أخبرني هذا الفاضل أن الشيخ كلفه بأن يشكرني على لسانه، وأن اقتراحى سيكون موضع التنفيذ.

وقعلاً يادر الشيخ بإصدار مجلدات خاصة بالتفسير بلغت الآن أكثر من عشر مجلدات كبار، قام بمراجعتها شخصياً، وأحال على الدكتور أحمد عمر هاشم مراجعة الأحاديث النبوية وتحريكها في هوامش الصفحات، وكان جميلاً منه أن يتفضل باهدائي كل ما صدر من التفسير عن طريق ولده الفاضل الأستاذ محمد سامي الشعراوي، وقد قرأت ما أستطعت قراءته من هذه المجلدات الفاخرة حقاً، فوجدت الأمر قد رجع إلى نصابه، فيطل الزيف، وجاء الحق كاسحاً الباطل.

سبيلا، فحين صدم المسلمون بما كان، عجبوا أن يتخلى عنهم ربهم، ويسلمهم ألهم، ولو كانوا أنصفوا لعرفوا موقعهم من دين الله، ولأدركوا أن ليس الإيمان بالتمنى، ولا شك وحضراتكم معي، أننا لو انتصرنا ونحن على ما كان في مجتمعنا من خلل وانحراف لازدنا جرأة على الله، ولجعلنا النصر شهادة على صدق التحلل، وسلامة الانحراف وصواب الانقلابات من حضرة الله، ولهذا كانت الهزيمة غير من الله علينا، لأن فينا وجدان الدين، وإن لم يكن لنا سلوك المتقين، فحاسبننا ربنا لنرجع إليه، وابتلائنا لنقيل عليه، وذلك قانون الأحياء يحتم مرارة الجرعة لصلوة الشفاء، فعلى معشر العلماء أن نبين للناس أن الله لا يتغير من أجلنا، ولكن يجب أن نتغير نحن من أجل الله، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

هذا القول الجريء قد هز المسؤولين هذا، وقد خضر من يسأل الشيخ الأكبر عن هذه الصرخة الناقدة، فقال الشيخ مأمون، إن الشيخ الشعراوي قد كتب كلمة الافتتاح وعرضها عليّ، فوافقته على كل ما جاء بها وأنا مسئول عنها قبله، وهنا اتجهت الأنظار إلى مراقبة الشيخ الجريء، وأحس بالخطر، فبادر بالنهَاب إلى بعثة خارجية طال أمدها، ومعنى ذلك أن مرارة النكسة قد تغلفت في نفسه منذ حانت، فلم يكن حديثه عنها فيما بعد مخالفاً لما قرر على رءوس الأشهاد.

(تفسير مريب) :

أصدر المستشرق الفرنسي جان بيرك ترجمته للقرآن الكريم مصالفة بالأخطاء المقصودة وغير المقصودة، وكتب لها مقدمة طويلة جمعت الغرائب في سوء الفهم، واختلاق القول، وضلال النقل وسفه التهجم ومن غرائب هذا التفسير: ومقدمته ما تص عليه من تأثير الملقات السبع المعروفة في الأدب الجاهلي في النص القرآني بدعوى أن ذكر الملقات قد ورد في

سورة النساء من القرآن!! وهي دعوى مضحكة حقاً، لأن قول الله عز وجل [وإن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم، فلا تميلوا كل الميل فتضلوا كالعطلة، وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً] (النساء/١٢٩)، هذا القول لا علاقة له إطلاقاً بالملقات السبع! فإذا كان هذا منطق جاك بيرك فكيف يجرؤ على تفسير كتاب لا يعرف بدائنه فضلاً عن غوامضه، ومن عجائبه أنه قال عن الجاثية في قول الله [وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها] «أن الجاثية هي المرأة الجالسة على عقيها» إلى مئات من هذه الأباطيل، وقد احتفلت بعض المجلات المصرية بمقدمة التفسير المريبة ونقلتها جميعها في عدد واحد، وعدتها ضرباً من التجديد المستنير!! الذي يبعث إلى تعانق الشرق مع الغرب! وعرضت المقدمة والترجمة على مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر فكفنى المجمع الموقر بكتاية رد شاف على أخطاء المقدمة، فقمت بما استطعت القيام به، وقرأ المجمع الرد وأقره، وفي صباح يوم تال، قابلني الأمين العام للمجمع الأستاذ محمد سامي الشعراوي نجل الشيخ، وقال لي إن والده يريد أن يحدثني تليفونيا، وقام معي إلى الهاتف وطلب الشيخ الكبير، ففوجئت بقوله: إنه قرأ رأيي جميعه على المقدمة المضللة، وأنه يكل إلى الله أجرى فقد صاحبنى التوفيق في كل ما كتبت، وزاد الشيخ بأنه دعا لي عقب الصلاة بعد قراءة البحث! لقد كان الشيخ مريضاً، ولكنه اتعب نفسه بقراءة البحث، ورأى أن يشجع كاتبه بكلمة تشد أزره! وهذا ما كان لاني دائماً أشك في جودة ما اكتب وأسأل الله أن يسبل الستر على أخطائي، فحين علمت حسن موقع البحث لدى الإمام الكبير فرحت فرحاً شديداً، إذ أزال بعض مخاوفي، ومن عطفه السابغ أنه تفضل فأهداني مصحفاً كريماً، وعباءة صوفية تميّزاً عن أعجابه! وكأنه لم يكتف بمحادثة التليفون.

وحين حدثت نوى الصلابة الحميمة بالشيخ غيا

اللائكة فقال أنبئوني بسماء هؤلاء إن كنتم صابقين (البقرة / ٣١)، فمع أن الإمام محمد عبده قرر مذهب السلف في قيام حوار حقيقي بين الله وملائكة فإنه قرر مع ذلك مذهب الخلف فنذكر أن المراد بالآية هو التمثيل البياني ليقرب الله عز وجل من أفهام الخلق ما تفيدهم معرفته من أحوال النشأة الآتية، وما لها من المكانة الخصوصية إذ أخبر الله ملائكته بأنه جاعل في الأرض خليفة فقهوا من ذلك أن الله يودع في فطرة هذا النوع ما يكون به ذا إرادة مطلقة إلى آخر ما أفاض فيه في بيان هذا التمثيل، أما الإمام الشعراوي فلم يرتح إلى التأويل العقلي لأنه يتعامل مع النص القرآني تعامل من يبعد التمثيل إبعاداً تاماً، إذ أن قدرة الله لا يعجزها شيء! وتطرق الحديث إلى آيات مشابهة، ولم أكد أفرغ من هذا السبعم العلمي مع صديقي حتى وجدت محرر مجلة التصوف الإسلامي يلاحقني طالباً مقالاً عن الشيخ الشعراوي بمناسبة رحيله، فقلت في نفسي لماذا لا أجمع خلاصة ما قلت في إيضاح المذهبين المختلفين للمفسرين العظميين ليكون منها محور الحديث المطلوب، وفعلت كتيب المقال تحت عنوان (بين الإمام محمد عبده والإمام محمد المتولي الشعراوي) وصدرته بقول حافظ إبراهيم في رثاء الإمام:

بكى عالم الإسلام عالم عصره
سراج الدياجي هادم الشبهات

لأن يوم الإمام كان في تأثيره الشديد بمحيط العالم الإسلامي شبيهاً بيوم الشيخ محمد المتولي الشعراوي، حيث ارتج الشرق الإسلامي رجة راجفة لفقد عالمه الكبيرين، وقد غير عن ذلك حافظ إبراهيم في أبيات جديدة تصلح أن يقال اليوم بعد رحيل الشعراوي: وما زال لعلماء المسلمين من المكانة بين الناس ما يجعلهم في الحياة مصابيح وضأة، وفي الممات مهوى الأقدسة، ومتعشق الأرواح.

صنع، قال قائلهم: لست وخذك، فإن من عبادته أن يفرح بالجميل المستطاب من القول، وإن يبارك بكلمات التشجيع، ثم بالهدايا اللائقة وكم تم ذلك لنفر من ذوي البحث الجاد! وهذا ما أسجله اليوم بالعجب والاعجاب معاً.

بين إمامين كبيرين :

في اليوم الثاني لرحيل الشيخ محمد المتولي الشعراوي أقام مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ندوة علمية كبرى تتحدث عن مآثر الشيخ علمياً وخلقياً، وتكلم كل عضو بما فتح الله عليه به في هذا المجال، ثم انتهت الندوة فخرجت مع بعض الزملاء متجهين إلى الجامع الأزهر، فقال الزميل الكبير مشيراً إلى الرواق العباسي، هنا كان الإمام محمد عبده في مطلع هذا القرن يلقي درس التفسير، وعن قريب بالمسجد الحسيني كان الشيخ محمد متولي الشعراوي في أواخر هذا القرن يلقي درس التفسير، والذين لم يتمتعوا بدروس الإمام من أهل هذا الجيل عوضهم الله بدروس الشيخ الشعراوي، فما ترى أنت في هذه المقارنة، قلت الحق معك، ولكن الفرق واضح جداً بين منهجي الرجلين الكبيرين، فإذا كان كلاهما قد اعتمد على النص المباشر للكتاب المبين دون خوض فيما قاله السابقون من المفسرين إلا فيما ندر، وإذا كان كلاهما قد بعد عن الشطط الجامع في اعتساف الآراء، واختلاق الاحتمالات، والتكاثر بالمصطلحات العلمية مباحة يعلم النحو والبلاغة والأصول فإن لكل منهما بعد ذلك اتجاهه الخاص، فالإمام محمد عبده كان يبيع لنفسه حرية عقلية في التأويل إذا لم تقم الحقيقة لديه مقاماً واضحاً لا يتطوع، أما الإمام الشعراوي فلم يلجأ إلى التأويل اعتياداً على منهج خاص به، وهو أن ما لا يعقل في منطق الناس قد يكون صحيحاً مقبولاً أمام قدرة الله، وأضرب المثل باتجاه الرجلين في تفسير قول الله عز وجل (وعلم أنم الاسماء كلها ثم عرضهم على

الفرق بين التبذير والإسراف

اللائق به، ولكن مع زيادة على اللازم [٧]، فعلى هذا، فالتبذير: تجاوز موضع الحق، وجهل بمواقع الحقوق، وأما الإسراف: فهو تجاوز في الكمية، وجهل في مقادير الحقوق، فالأول جهل بالمواقع، والثاني جهل بالمقادير [٨]، والله تعالى ذكر اللفظتين في القرآن الكريم: فذكر لفظ الإسراف في ٢٣ موضعاً [٩] بينما ذكر لفظ التبذير في ثلاثة مواضع فقط [١٠] وكلها في آية واحدة وهي قوله عز وجل **وَأَنذِرْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ أَمْوَالَكَ فِي الْبَذْرِ إِنَّ الْبَذْرَ كَانَ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** [١١].

ومع أن هذه الآية جاءت للحث على إيتاء ذوي القربى حقوقهم، ومثلهم المساكين وأبناء السبيل، إلا إنها حثت في الوقت نفسه على عدم التبذير، وبيئت من المبذورين، وبيئت أنهم إخوان للشياطين، كما بيئت صفة الشيطان، وأنه لربه كفور، فعرفنا أن التبذير: وضع الشيء في غير محله من الأساس، أما الإسراف: فإنه وضع الشيء في محله، ولكن مع زيادة على اللزوم، كما يقول المثل المصري: زودها حبتين، وكما يقول المثل السوداني: بالغت، والمطلوب التوسط في الإنفاق، كما قال الله جل جلاله **وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** [١٢]. فالإسراف كما قال الله تعالى (وكلا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) [١٣].

وهنا قد يتوهم متوهم: فيرى أن لا فرق بين التبذير والإسراف هنا؛ لأن الأكل زاد على الشبع، والإنفاق زاد في الإنفاق، فلم سمي من زاد في الشبع مسرفاً، والذي زاد في الإنفاق مجزراً، فما الفرق بينهما والكل زيادة؟ نقول: لما كان التبذير وضع الشيء في غير محله، فهذا المجرز كان عليه أن يعرف المكان الذي يحتاج إلى الإنفاق فينفق، فإذا أنفق الإنسان أمواله في المنكرات، كشراء خمر أو شراء آلات لهو أو أعطائها للذجالين، فهو تبذير، لأنه يضع الأموال في غير محله، فترك أصحاب الحقوق، وجعل أمواله في الحرام، أما النظر في الآية الأخيرة (ولا تسرفوا) فإلى الزيادة في تناول الطعام عما يحتاج إليه

عندما يقرأ الإنسان القرآن الكريم، ويجد لفظتين متقاربتين المعنى: تطلق هذه تارة وتطلق هذه أخرى، يظن أن ذلك مجرد تغيير في العبارة، أو كما يسمى عند البلاغيين: تبدل في التعبير، وليس وراء ذلك كبير مقصد، ولا وراءه شيء من الحكمة، والحقيقة غير ذلك: فكل كلمة في القرآن الكريم في موضعها، وكل تبدل فلمعنى وحكمة، تظهر للقارئ الكريم بمجرد التأمل والتدبر **[أفلا يتدبرون القرآن]** [١٤] فالتأمل في آيات القرآن الكريم، يكشف للقارئ الكريم معاني عميقة، خذ مثلاً قوله عز وجل **وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** [١٥] مع قوله جل جلاله **وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** [١٦] فلماذا تركت اللام في الآية الأولى (إن ذلك من عزم الأمور) بينما أثبتت في الآية الثانية؟ (إن ذلك من عزم الأمور).

الجواب: أن الداعية في الآية الأولى: لقي أذى من الناس فصبر على الأذى، ولم يرد عليهم بشيء، فهذا من عزم الأمور، لكن الداعية في الآية الثانية: لقي الأذى من قومه فصبر، وزاد على الداعية الأولى، إذ دعا لهم بالمغفرة، فكان مثله كمثلي النبي (صلى الله عليه وسلم) عندما أذاه قومه فقال «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» [١٧] لذلك زاده الله عز وجل اللام: زيادة تأكيد وتقوية أنه من عزم الأمور، فكانت منزلته عظيمة، أعظم من منزلة الداعية الأولى، وفي كل خير، فلولاً اللام هذه لما فهمنا هذا المعنى الزائد.

والفرق الذي نريد أن نتحدث عنه هنا: هو الفرق بين كلمتين شديديتي الشبه: إنه الفرق بين الإسراف والتبذير، ولقد بلغ من شدة الشبه بينهما، أن الإنسان يقول: ما الفرق بين قوله جل جلاله **(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)** [١٨] وبين قوله سبحانه وتعالى **(وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا)** [١٩]، فما الفرق بين الكلمتين؟

الفرق بينهما: أن التبذير: صرف الشيء في غير محله اللائق به، والإسراف: صرف الشيء في المحل



بقلم : د. ياسين بن ناصر الخطيب

- جامعة أم القرى - مكة المكرمة -

الألوية، فجعله الله عز وجل من المسرفين، وكان أنباء
الأنبياء عليهم السلام يدعون بهذا الدعاء: [ربنا اغفر لنا
ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على
القوم الكافرين][٢٠].
وهكذا تبين الفرق جلياً بين التبذير والإسراف.

الهوامش:

- (١) النساء/ ٨٢
- (٢) لقمان/ ١٧
- (٣) الشورى/ ٤٣
- (٤) رواه البخاري ومسلم.
- (٥) الأعراف/ ٣١
- (٦) الإسراء/ ٢٦ - ٢٧
- (٧) شرح مجلة الأحكام العدلية المحامي علي حيدر
٥٨٧/٩ مادة رقم (٩٤٦).
- (٨) تحفة المحتاج إلى حل الفاظ المنهاج لابن حجر
١٦٨/٥
- (٩) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٢٤٩ -
٣٥٠
- (١٠) المعجم لألفاظ القرآن الكريم ١١٦
- (١١) الإسراء/ ٢٦ - ٢٧
- (١٢) الفرقان/ ٦٧
- (١٣) الأعراف/ ٣١
- (١٤) رواه الامام احمد في مسنده ١٠٧/٣
- (١٥) المدخل لدراسة الشريعة للدكتور عبد الكريم
زيدان ص ٣٦
- (١٦) الإسراء/ ٢٣
- (١٧) الزمر/ ٥٣
- (١٨) الترويع وأوقات الفراغ في المجتمع المعاصر،
كمال درويش ص ٩، أوقات الفراغ والترويع د/ عطيات
محمد خطاب ص ١٩
- (١٩) يونس/ ٨٣
- (٢٠) آل عمران/ ١٤٧

الإنسان: أي أن هذا الإنسان وضع الطعام الزائد في
غير محله اللائق به، فكان مسرفاً، فما كان حسب الحاجة
فهو في محله، والزائد إسراف.

وانظر إلى دقة التعبير في حديث النبي [صلى الله
عليه وسلم]، فقد روى جعدة - مولى أبي إسرائيل - قال
رأيت رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ورجل يقص عليه
رؤيا، وذكر سمته وعظمه - فقال له رسول الله [صلى الله
عليه وسلم] «لو كان هذا في غير هذا كان خيراً لك»
(رواه الإمام أحمد في مسنده)[١٤]، يعني لو كان هذا
الطعام الزائد في غير بطئك، لكان خيراً لك، فالتعبير
النبوي الشريف: بين أن هذا أكل حسب الحاجة، ثم زاد
عن اللازم مما تسبب عنه البطنة، فهذا وضع الشيء
الزائد في غير محله فهو إسراف، فالزيادة في الشبع إذا
إسراف.

وانظر إلى تعبير قرآني آخر، يجلي لك الموقف، كان
من عادة الجاهلية أن القبيلة إذا قتل لهم رجل، قتلوا أباً
القاتل أو أخاه، أو قتلوا أكثر من واحد، فنهاهم الله جل
جلاله عن ذلك[١٥]، فقال جل جلاله [ومن قُتل مظلوماً
فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يُسرف في القتل إنه كان
منصوراً][١٦]، فجعل قتل غير القاتل إسرافاً، لأن
الواجب أن يقتل القاتل، فيكون قصاصاً فهو عدل، لكن
أن يقتل مع القاتل غيره، أو يقتل أكثر من القاتل فهو
تجاوز في المقدار، فهو إذا إسراف، ثم إن من المعلوم أن
الله سبحانه وتعالى ما خلقنا إلا للعبادة، لكن قد يقع
الإنسان في المعصية فيتوب، فيتوب الله عليه، أما إذا
شغل الإنسان نفسه بالمعصية، وضيع حياته بالغفلة، فقد
تجاوز الحد، فهو مسرف؛ ولذلك قال الله جل جلاله [قل يا
عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور
الرحيم][١٧].

فالذين أسرفوا: جعلوا حياتهم لهواً ولعباً وغفلة، نعم
قد يحتاج الإنسان إلى قليل من اللهو ليستعيد
نشاطه[١٨]، لكن لا يمكن أن يجعل حياته كلها لهواً
ولعباً، وقال الله عز وجل [وإن فرعون لعال في الأرض
وإنه لمن المسرفين][١٩] حيث تجاوز الحد عندما ادعى

سلطان سحر القحطاني

دعم تلك الهياكل العملية التي تقوم عليها الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية.

وقد تفضل بإهدائي روايته الأخيرة الموسومة بـ (خطوات على جبال اليمن) التي صدرت عام ١٤٢١هـ التي حاول أن يمزج من خلالها أدب الرحلات التي جاب خلالها جنوب الجزيرة العربية من الصديدة إلى بلاد المهرة. بالسرد الروائي الذي لا يتترك أدق التفاصيل حيث تبدأ الرواية بداية مأساوية بفعل قذيفة ألقيت على السيارة التي كان يسافر عليها (بطل الرواية) من شمال اليمن مما استدعى إخضاله المستشفى والمكوث به ثلاثة أشهر حيث خرج فاقدًا للذاكرة. إلا أنه استطاع أن يتأقلم مع وضعه الجديد باسم (محمد شرف الدين) وبهذا الاسم عاش كمواطن يمني يتنقل من ولاية إلى أخرى لطلب البضائع، وبين الحل والترحال كان لا يهمل أدق التفاصيل عن الحياة في المجتمع اليمني الذي أحبه وعاش فيه وسائر إيجابياته ونأى بنفسه عن سلبياته. إلى أن وصل إلى تلك اللحظة الرومانسية الإنسانية التي يلتقي فيها الحب والعطف بالعادات والتقاليد المتوارثة منذ مئات السنين.

إن التفاصيل الدقيقة جدا التي أوردها الدكتور سلطان القحطاني تذكرني بتلك التفاصيل التي يحرص كبار الأدباء القريبين أمثال همنجواي، واليزابيث ليندي، وكونان دويل. بإيرادها وتتبعها بكل عناية حيث لا يترك الكاتب شاردة ولا واردة ليعطي صورة تمثل الواقع وهذا عمل لا يستطيعه الكثير من كتاب الرواية في الغالب لأن بعضهم إذا تتبع تلك التفاصيل انحرف إلى مناح بعيدة عن جو الرواية وابتعد بالقارئ عن صلب الموضوع وأخذ إلى دروب متشعبة. والأداة التعبيرية (اللغة) التي استعملها الدكتور سلطان في هذه الرواية لغة صافية راقية لولا بعض

من مواليد مدينة العيون بالإحساء عام ١٩٤٩م وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي ثم التحق بمعهد المعلمين حيث حصل على دبلوم في تدريس اللغة العربية لما دون الثانوية عام ١٩٧٢ ثم حصل على دبلوم عال في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها من جامعة الملك سعود عام ١٩٨٥م، أما الدكتوراه فقد حصل عليها من جامعة جلاسكو في اسكتلندا عام ١٩٩٤م تخصص (رواية حديثة) وهو حاليا يدرس اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب بجامعة الملك سعود منذ عام ١٩٨٢م وقد صدر له من المؤلفات:

- ١- روائع الشعر العربي القديم ١٩٧٨م.
- ٢- زائر النساء (رواية) ١٩٨٠م.
- ٣- طائر بلا جناح (رواية) ١٩٨١م.
- ٤- الرواية في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها ١٩٩٨م.
- ٥- خطوات على جبال اليمن (رواية) وهي الرواية موضوع هذه الدراسة.

وله تحت الطبع: «نشأة النقد الحديث في المملكة العربية السعودية - اتجاهات الرواية العربية - المسلمات الاجتماعية في الرواية العربية (جنورها ومصادرها)»... إضافة إلى ذلك فإن له العديد من البحوث والمراجعات والمقالات المنشورة في عدد من المجلات والدوريات مثل: (مجلة الفصيل - مجلة العقيق - مجلة رؤى) وغيرها من المجلات [١].

وإن الإطلاع على رواية (خطوات على جبال اليمن) كفيلا بأن يعطي تصورا عن مدى إمكانية هذا الأديب في أن يشرى الساحة الأدبية بما له من مساهمات ومشاركات أدبية وثقافية وأنشطة تنم عن ما لديه من إمكانيات، بل رغبة في النهوض بالأدب في المملكة العربية مشاركا إخوانه الأدباء والمفكرين في



بقلم : عبد الله بن أحمد الشبابة

الخبر - المملكة العربية السعودية

ذلك القانون الابني الذي يجب أن تخضع له الرواية يستطيع أيضا أن يشهر سلاح الترتيب والانتظار في نهاية كل فصل ليبعث في نفس القارئ شغفا لمعرفة الآتي. وهذا ما استطاع القحطاني أن يستعمله لشده انتباه القارئ للمتابعة دون توقف للوصول الى النتائج التي لم تكن في حسبانته.

إن اللغة السهلة وهده الانتقال - غير المفاجيء - من مكان الى آخر يجعل القارئ يعيش تلك المرحلة بكل تفاصيلها في هدوء المتابع الذي يرغب في الحصول على النتيجة دون أن يضطر الى قفز الحواجز اللغوية والبيانية. وقد نجح المؤلف في أن يأخذ بيد القارئ ليشاركه كل المواقف المتعبة والمتعة بكل تفاصيلها مع لمسات رومانسية تحرك الوجدان وتصل الى اعماق الشعور بمعاناة الانسان في ساعات فقد الاحبة اما بالموت أو بالفراق. وهو يرى تهايات احبائه تتوالى ليخففوا من مسرح حياته واحداً تلو الآخر حتى حدث له حادث سقوط فأصيب في رأسه ونقل الى المستشفى وبعد قليل من المعالجة عادت إليه الذاكرة. . . وبعد طول معاناه مع هذا التفسير الذي طرأ على حياته المستعارة عاد الى امله. . . الى قريته. . . التي ولد فيها والى احضان امه وابيه واخوته. كل ذلك في تسلسل روائي مبهج. . . ولذلك قال عنها اخذ النقاد: يمكن وصف هذه الرواية بأحداثها المتتالية بأنها مسلسل متكامل الاحداث يكشف لنا كما هائلا من الموروثات الشعبية التي يعتز بها المواطن اليمني في الاسرة وفي الشوارع والمقاهي الشعبية وفي التجارة والعبادة والسفر والزراعة والصناعات الشعبية وطقوس الزواج والعلاقات الاجتماعية بما فيها تقاليد اعداد الطعام وطريقة تناوله وما يتعلق به بحيث ضمت هذه الرواية حشدا كبيرا جدا من تفاصيل ثقافة المجتمع اليمني في فترة الاربعينيات والخمسينيات وما بعدها والتي لا يعرف عنها المواطن العربي الا النذر اليسير.

كلمات من اللهجة اليمنية ذات الاصول العربية حيث لا تختلف عن اصولها الا في النطق. وقد جاء استعماله لتلك الكلمات في اضيق الحدود.

والرواية في الاساس هي مجموعة قصص قصيرة تعالج عدة قضايا ترتبط مع بعضها موضوعيا وان اختلفت الأزمنة والامكنة. والروائي هو الذي يستطيع أن يصهر تلك القصص في بوتقة واحدة ويربط بينها بأسلوب يراوح بين السرد الروائي وأشباه الوقائع بصور ومشاهدات قد تكون من ابداع الروائي الا انها تنقل القارئ الى تلك الاجواء المشحونة بالحركة فيعيش في داخلها ويتحرك مع ابطالها زمانيا ومكانيا. . . وهذا ما استطاع كاتبنا ادراكه والوصول اليه حيث انه قدم لنا خريطة ذات تفاصيل كثيرة التضاريس عن جزء مهم من الوطن العربي قد لا يعرف عنه الكثيرون شيئا الا ما تردده وسائل الاعلام. . . وحيث ان العناصر الفنية المكنة كما يقول النيت: (من المحتمل ان تكون على قدر من الكثرة يعادل القلة في مناحيها) والقارئ لرواية خطوات على جبال اليمن يلاحظ ان العناصر الفنية في هذه الرواية قد ضربت بقسط وافر من التنوع من السرد الى التصويري ومن الواقع الى الخيال حيث ينقل القارئ الى تلك الاجواء والربوع والمجتمعات التي لم يرها ولم يسمع عنها الا النذر اليسير عن طريق الرحالة أو المهاجرين من أبناء اليمن الى جميع انحاء العالم طلبا للرزق الحلال.

لقد استمعت - اقصد - قرأت فصول تلك الرواية وكأنني استمع الى حكاية من حكايات شهرزاد في الف ليلة وليلة وهي كما يقول عنها فورستر رائية عظيمة لا لانها كانت تجيد الوصف ولا لانها كانت ناضجة في احكامها على الحياة والناس ولا لانها امتلكت القدرة على خلق الشخصيات الحية النابضة. . . بل اساسا لانها كانت تضع يدها على القانون الاساسي (لغتها). . . والذي يستطيع أن يضع يده على



بقلم : د. أحمد عطية السعودي - الأردن

قلت: فمن أين كانت تستورد السيوف والخيل والرماح لقتل هؤلاء الأبرياء واغتصاب بلادهم مدة ثلاثين ومائة عام[٦]؟

قال: ما كانت تقتلهم بالسيوف، بل بالبنادق الماحقة والمدافع الهادرة والقنابل الحارقة والدبابات الزاحقة والطائرات القاذفة!

قلت: على رسلك، ما أحسب البندقية إلا رمحاً يُحشى بالبندق ويستورد «بليل» من «تاجر البندقية»! وما أظن الطائرات إلا قذائف المتجنق المتطيرة في جو السماء! أما المدافع والقنابل والدبابات فهي معروفة الصفات من عهد هانيبال إلى عهد رومل المحتال[٧]!

قال: تُجيب وأنت بين يدي خير بالأسلحة!

قلت: عفوك، إنما أتوقع، وإني لأعلم أنك مبرز في صناعة قنابل (المولوتوف) و(اللز) والمجانيق والأسلحة النقطية والألعاب النارية!

قال: لقد تطورت الأسلحة، وركب الناس الأجنحة، فأنهلت السيوف والأسرحة، وغدا الفارس الشجاع من يتقن استعمال الاختراع، وينقذ أمته من الهزيمة والضياح وصارت القنبلة النووية الواحدة تقتل آلاف الأبرياء كما حدث في هيروشيما ونجازاكي[٨]!

قلت: من الذي ألقى القنبلتين على هاتين المدينتين، أمن الجن هو أم من الإنس؟

قال: بل هم من دعاة حقوق الإنسان، وحرية اللسان، ومحاربة الأديان، وزرع الألغام، وقتل الأطفال في فيتنام، وإبادة الهنود الحمر والأيتام السمر! قلت: لم أعرفهم بعد، أهم من سكان الأرض ولهم عقول وشعور وقلوب في الصدور؟

قال: إنهم سدنة الدولار ومن يزرع الشر بأسلحة الدمار، وبهالك الحرث والثمار، ويقذف بالليزر فيثير الرعب والخطر، وينشر الفساد الأكبر!

ولو سألتني عن مدنها الساحرة الجميلة: قسنطينة ووهران وبسكرة وتلمسان ومستغانم والأغواط، وأحيائها الراقية: اسطوالي وزارلة ومرادية والأبيار، وأكلاتها الشعبية الشهية: كسوكسو وشكشوكة، لو سألتني لمتعك بالحديث عنها حتى تهتم بزيارتها! فضحك المتنحن ملء شديقه، وتمثل بقول المتنبي:

**من أطاق التماس شيء غلبا
واغتصاباً لم يلتحمه سؤالا**

ثم قال: يا هذا، لو كنت المظفر الرسولي[٩] لسألتك عما تقول، ولكني أنا المستعرض البطولي! قال الصلاح الصفدي: فأتيت المظفر الرسولي، وقصصت عليه ما وقع لي في ديوان الإنشاء، فحذب علي وسرّني عن نفسي[١٠]، ثم زودني بمعلومات ثرة غزيرة، وفوائد جمة جليلة، فاستكثرت من علمه وسألته: من الذي سفك دماء المليون شهيد، ولم يرحم الأطفال والنساء والشيوخ؟ قال: هم الفرنسيون سرطان الاستعمار الذين يدعون المساواة والحرية ويتبنون الفرانكفونية[١١]!

**دم الثوار تعرفه فرنسا
وتعلم أنه نور وحق!**

وقد تصدى لهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه بقلوب جريئة وسواعد رامية وعزيمة متجددة تقدح النار واللظى كما قال مقدي زكريا:

**نطق الرصاص فما يباح كلام
وجرى القصاص فما يتاح ملام
السيف أصدق لهجة من أحرف
كثبت فكان بيانها الإبهام**

الزق والرق والمزمار عبتنا
والخصم عبتته علم وآلات
وشرعة الله في القرآن نجرها
وشرعة الخصم تلمود وتوراة
وعدة الخصم صاروخ وطائرة
ونحن عبتنا الكبرى قرارات!

قلت : لنعد الى كلمة ليزر، هل هي متنوعة من
الصرف أم مصروفة في كل ظرف؟
قال : بل هي مصروفة في أغراض السلم والحرب،
وتصحيح النظر، وثقب الأجسام والجدر!
قلت : لم نخاف المستعمر وعندنا ما يدحر الكفر
ويسحق الليزر؟

قال : وما ذاك المخزون الذري يا صفدي؟
قلت : الأربعون النووية [١٢]!
قال: حقاً إنها أربعون هداية نبوية، وأربعون حماية
نووية!

قلت : قد عاد العالم اليوم إلى رشده بعد الحربين
العالميتين المدمرتين، وخُصصت جوائز للسلام والولائم،
وتبرع نوبل [١٢] بماله تكفيراً عن جرائم ديناميته،
وأنت تدعو الى المواجهة والمقاومة؟!

قال : أنا أدعو الى العنف والإرهاب وطرد الذئاب!
بل أدعو الى إقامة أندية للضحك والاستلقاء،
وصالونات للاسترخاء، وصالات للمسابح والمسارح،
والمطاعم والولائم، وتكبير شاشات عرض الأفلام،
وكسر السيوف والأقلام، فالعالم ينعم بالإيمان والأمان،
والناس في الغرب قد تركوا السمر في النادي النووي،
وركلوا بأرجلهم حلف الناتو، وحاولوا المفاعلات النووية
الى مصانع بخور هندية، وصيروا أقمار التجسس
الصناعية ألعاباً لأولاد القارة الأفريقية!!

قلت : سأكتب إذن الى صاحبي أبي يوسف
المنجنيقي [١٤] ليتلخى عن صناعة الأسلحة والمجانيق،
ويتبنى المقولة المشهورة:

قلت : سبحان الله، وما الليزر أيها الملك المظفر؟
قال : الليزر يا صفدي، أشعة موجهة ذات قوة
مدمرة، وقدرة عالية، توجه الكذائب بدقة متناهية، تعمي
البصر، وتلحق بالخصم الخسر!
قلت : ما فهمت شيئاً من شرحك وبياناتك!
قال : أعرف أنك لا تفهم هذه المصطلحات إلا
بالشواهد والأبيات، فاسمع قول الشاعر في وصف
الليزر:

فيها تراعى موكب
الإتجاز بالخيرات يزخر
قد راح يعرضها لنا
صوراً من الموجات ليزر [٩]

قلت : كيف السبيل الى رد هذه الأشعة على
أعقابها، وتحرير الأرض من غصائبها، ونحن في ضعف
وهوان، وقد خلا الميدان من خالد وسعد، وموسى
وطارق، وصلاح الدين وقطر؟

قال : بالإعداد، ومواصلة الجهاد، والحرص على
الاستشهاد، ألم تقرأ قول الله تعالى: (وأعدوا لهم ما
استطعتم من قوة) [١٠].

قلت : لا بد إذن للحق من قوة، ولا بد للامة من هبة،
ولا يكون ذلك إلا كما قال الجواهري:

بالدفع استشهدي إن كنت ناطقة
أو رمت أن سمعي من يشتكي الصما
لا تطلبي من يد الجبار مرحة
ضعي على هامة جبارة قلما!

قال : حقاً إذا أكلت الأمة مما تزرع، ولبست مما
تصنع، واستمسكت بإيمانها، فلن تذل ولن تخضع،
وذلك بغد الله تعالى: (وكان حقاً علينا نصر
المؤمنين) [١١]. وما هانت الأمة إلا عندما ركنت الى
الدعة، وتعلقت بالزمزم، وشغفت بالشجب والاستنكار:

سنة من (١٨٣٠ - ١٩٦٢م) خاض خلالها الشعب الجزائري أشدّ المعارك وضحو بمليون شهيد حتى نالوا الاستقلال.

(٧) ليل : مدينة بفرنسا - تاجر البنديقية: مسرحية لشكسبير تصور جشع اليهود وطمعهم.
المذبح: معروف قديما، آلة تدفع بها قذائف نارية وترعى على الحصون.

القنبلة: قديما هي طائفة من الخيل تون الخمسين (ج) قنابل.

الدبابة: قديما صندوق خشبي يشبه البرج ويحمل على عجلات ويحتوي بداخله الجند.

هانيبال: قائد قرطاجي قديم (ت ١٢٠ ق م) رومل: قائد ألماني من مشاهير قادة الحرب العالمية ٢ أطلق عليه ثعلب الصحراء (ت ١٩٤٤م).

(٨) هيروشوما ونجازاكي: مدينتان في اليابان ألقت عليهما الولايات المتحدة الأمريكية قنبلتين ذريتين قتلتا نحو (٢٠٠.٠٠٠) إنسان أثناء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م.

(٩) البيتان للشاعر السعودي عمر الكندي (انظر مجلة المنهل ع ٥٥٤ ص ١٣٩).

(١٠) الأنفال آية/ ٦٠.

(١١) الروم آية/ ٤٧.

(١٢) الأبرعون النبوية: مجموعة من الأحاديث النبوية الجامعة لأصول الإسلام وأحكامه، اختارها الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ) صاحب رياض الصالحين، وشرح صحيح مسلم.

(١٣) نوبل: ألفريد نوبل كيميائي ومخترع سويدي صنع الديناميت، ت (١٨٩٦م).

(١٤) المنجنينيقي: أبو يوسف يعقوب بن صابر، شاعر متفوق في صناعة المنجنيق، مفرم بالسلاح وصنّاعته، له عدة المسالك وديوان شعر، ت ببغداد (٦٢٦هـ - ١٢٢٩م).

وفي الهيجاء ما جريت نفسي ولكن في الهزيمة كالغزال

فقد حل السلم وانتفى الغدر، وتطوّر الشّعور، وأنجب قصيدة النثر، فهل بعد هذا النصر نصر؟! قال : لا تفعل، حتى تطلعه أولا على ما كتبت في الليزر!

قلت : وما الذي كتبت في الليزر أيها الملك المظفر؟! قال : رسالة مشهورة للأمة المنصورة جعلت عنوان إكليلها: «خطف البصر بأشعة الليزر».

الهوامش:

(١) الصلاح الصفدي: هو صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، عالم وأديب وشاعر ومؤرخ ورسام وخطاط، ولد في صغد وتعلم في دمشق والقاهرة حتى أصبح أستاذا لأساتذته، له كتاب «الوافي بالوفيات» وكان لكثرة ما كتب يقول: «كتبت بيدي ما يقارب خمسمائة مجلدة، ولعل الذي كتبته في ديوان الإنشاء ضئف ذلك» ت ٧٦٤هـ.

(٢) وكالة ناسا: وكالة أمريكية متخصصة في أبحاث الفضاء.

(٣) المظفر الرسولي: هو يوسف بن عمر الرسولي: ثاني ملوك الدولة الرسولية في اليمن كان حسن السياسة في رعيته، بارعا في العلوم والصناعة له كتاب «المخترع في فنون من الصنع» ذكر فيه إبداعه في صناعة المجانيق والقنابل (المولوتوف والمزن) ت ٦٩٤هـ.

(٤) حذب عليه: انحنى وعطف. سرى عنه: أزال ما به من هم.

(٥) الفرنكفونية: دعوة الى سيادة الثقافة واللغة الفرنسية من خلال رابطة المستعمرات القيمة الناطقة بالفرنسية.

(٦) دام حكم الاستعمار الفرنسي للجزائر مدة ١٣٢

وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى للأديب الشاعر / عبد الله بن خميس



الاستاذ الاديب الشاعر عبد الله بن خميس، كتاباته واشعاره منشورة في العديد من وسائل الاعلام المتاحة، ومنجلة المنهل كانت واحدة مما احتضن كتاباته، وهو كان، ولا يزال، وفياً لها حقياً بها.

وكانت المنهل، ولا تزال حفية به سعيدة بادائه وعطائه العلمي والفكري والادبي.

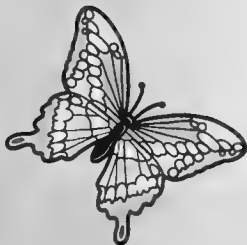
لهذا، فإن المنهل - وقد سعدت كل السعادة بتشرفه بهذا الوسام الرفيع - ترفع لسيادته كل معاني التقدير، متمنية له دوام الصحة والعافية، ولاديبنا وأستاذنا الكبير عبد الله بن خميس نسوق التهنئة موصولة دائماً.

الاستاذ الاديب الشاعر عبد الله بن خميس، واحد من أعلام الكلمة وروادها، واحد من قراساتها المبرزين في العديد من مجالاتها، كتب المقال والدراسة، والبحث في العديد من قضايا الأدب والنقد والثقافة، وفي التاريخ والبلدان، وفي اللغة ومفرداتها، وله كتاباته المتميزة في قضايا العادات والتقاليد والاعراف، والمثل الشعبي السائر، وله اهتماماته الواضحة في (الأدب الشعبي) في جميع معطياته ومجالاته.

وهو شاعر يملك الكلمة معنى وصياغة واستخداماً، شعره ينبض بعاطفته وحسّه ووجدانه.

الكلمة عنده (شعراً وبشراً) مسئولية وأمانة، يسخرها لما ينبغي أن تسخر فيه، ويجريها في ميدانها الذي ينبغي أن تعمل فيه، من أجل بناء أمته وقومها، الكلمة عند الاستاذ الاديب الشاعر عبد الله بن خميس، تسمية للوجدان، وارتقاء بالحس، وسمو بالمشاعر، وحسبنا أن تكون هذه (المسئولية والأمانة) واحدة من سمات جيل الرواد، وهو جيل - رغم قساوة ظروفه التي عاشها - إلا أنه استطاع أن يبني مجداً من العلم والثقافة والأدب والفكر، وهذه في مجموعها - لا شك - موجبات آجيال وأجيال.

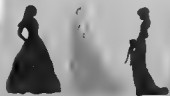
وخيالك يأتي كنسيم
الأسرة المسلمة
والتحديات
المعاصرة
التنشئة
الاجتماعية ..
والثقة بالنفس



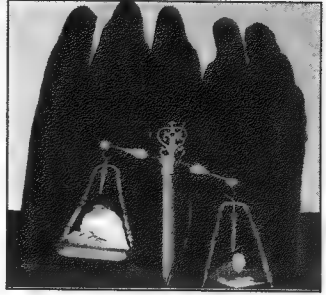
دراسة شعرية
ذات أدب وتصور
نظري حول المرأة
ومجتمعها

رأى

لها



الحديث عن تعدد الزوجات في الإسلام
بات حديث المؤتمرات والمنتديات والصحافة
في أيامنا هذه، إذ تعالت بعض الأصوات
مطالبة بإلغائه، مما يدعونا إلى البحث عن
الأسباب التي أدت إلى مطالبة البعض إلغاء
تشريع سماوي يعد من ثوابت الإسلام.



تعدد

الزوجات

بين

التشريع

والتعطيل

وقبل أن نتعرف على الأسباب علينا أن نتوقف
عند قواعد وأسس وأحكام نظام تعدد الزوجات في
الإسلام.

لمحة تاريخية :

قد يغفل البعض أن تعدد الزوجات لم يحدثه
الإسلام، بل نظمته وقننه، وحدده بأربع، إذ كان العدد
مطلقاً غير محدد في الشرائع والأديان السابقة
للإسلام.

فقد كان هذا النظام سائداً عند قدماء اليونان
فكانوا يبيحونه بغير حساب، كما كان سائداً عند
الفرس والرومان، كما كان التعدد فاشياً في أوروبا
عند الجولد في زمن سيزار، ومعروفاً عند الجرمانيين
في زمن ناسيت، كما كان موجوداً عند الهنود
والبابليين والآشوريين والمصريين والصينيين، ولم يكن
عند أكثرهم محدداً، بل لقد سمحت شريعة ليكي
الصينية بتعدد الزوجات إلى مائة امرأة، وكان عند
أحد أباطرة الصين نحواً من ثلاثين ألف امرأة.



بقلم : سهيلة زينة العايدية حماد

رئيسة لجنة الأدبيات برابطة الأئمة الإسلامي العالمية - الرياض

التعدد في الإسلام :

وجاء الإسلام في وسط هذه الإباحة المطلقة للتعدد، وهو أول شريعة صرحت تصريحاً قاطعاً بأن المرأة لها من الحقوق بقدر ما عليها من واجبات، إذ قال جل شأنه [ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة] فقيّد التعدد بعدد محدود مشتركاً فيه العدل، يضح هذا قوله تعالى: [وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن تقولوا * وأتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنئئاً مريئاً] (النساء/ ٣، ٤).

وسبب نزول هذه الآية أن بعض الأولياء كانوا يتزوجون يتامى في ولايتهم كابن العم يتزوج ابنة عمه، ولا يعطيها مهرها فنهوا عن ذلك، وقال سبحانه تعالى: [وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع] ٠٠ الى آخر الآية، والمعنى: اعدلوا مع يتامى النساء اللاتي في ولايتكم إذا أردتم الزواج منهن، فإن خفتم ألا تعدلوا فالنساء أمامكم، فانكحوا ما طاب لكم مثنى وثلاث ورباع شريطة أن تعدلوا، والعدل المقصود في هذه الآية هو العدل في الأمور المادية مثل النفقة والبيات والرعاية.

والديانة اليهودية كانت تبيح التعدد ويون حد، فقد كان مباحاً لليهودي أن يتخذ من النساء ما طاب له بلا قيد أو شرط، وأنبياء التوراة جميعاً بلا استثناء كانت لهم زوجات كثيرات، ولكن ظهر في العصور الوسطى الحاخام الفقيه المفسر «جرشوم بن يهود» الذي أفتى بوجوب تحريم تعدد الزوجات بين اليهود [١].

أما الديانة المسيحية فلم يرد في كتبها نص صريح بتحريم تعدد الزوجات، وإنما ورد في كلام بولس الاكتفاء بزوجة واحدة للأسقف وحده، وهذا دليل على جوازه لغيره، وقد ثبت تاريخياً أن بين المسيحيين الأقدمين من كانوا يتزوجون أكثر من واحدة، وفي آباء الكنيسة الأقدمين من كان لهم كثير من الزوجات، وقد بقي تعدد الزوجات مباحاً، وباعتراف الكنيسة حتى القرن السابع عشر، وقد ذكر هذا وستر مارك في كتابه «ثقافة تاريخ الزواج» كما ذكر فيه أيضاً (أن ديار مارسدن ملك إيرلندة كان له زوجتان وسريتان، كما تعددت زوجات الميروفنجيين أكثر من مرة في القرون الوسطى، وكان لشرلمان زوجتان وكثير من السرايري، كما يظهر من قوانينه أن تعدد الزوجات لم يكن مجهولاً بين رجال الدين أنفسهم) [٢].

أما العدل المحكوم عليه باستحالة تحقيقه الوارد في قوله تعالى: {وإن تستطيعوا أن تعدلوا} هو العدل في الميل القلبي الذي لا يملكه الإنسان مهما حرص على أن يحمل نفسه عليه، وبناء على هذا الفهم الذي يتمشى مع واقع الأمور قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك». وهناك من يفسر قوله تعالى {وإن تستطيعوا أن تعدلوا} باستحالة تحقيق شرط العدل، وفي هذه الحالة يكون التعدد محرماً، ويرد الدكتور «محمد بلتاجي» في كتابه «دراسات في أحكام الأسرة» عليهم بقوله «إن الله سبحانه وتعالى لو أراد أن يحرم تعدد الزوجات تحريماً مطلقاً لما أباحه على هذا النحو المشروط ثم أعلن بعد ذلك استحالة تحقيق هذا الشرط، لأن هذا يشبه أن يكون عبثاً يجب تنزيه القرآن الكريم عنه وما هو إلا فصاحة وبلاغة وإعجازاً وأحكاماً، فالعدل المشروط هذا العدل المادي المستطاع» [٣].

فالعدل في الأمور المادية شرط أساسي في التعدد مع وجود ضوابط وضعها الفقهاء، وهذه الضوابط تتعلق بضرورات شخصية، وضرورات اجتماعية.

أولاً: الضرورات الاجتماعية للتعدد: منها:

١- زيادة عدد الإناث على عدد الذكور في الأحوال العادية، كما هو الشأن في كثير من البلدان

كشمال أوروبا حيث تصل نسبة الذكور إلى الإناث ١ : ٣.

٢- أحوال الحروب التي يفنى فيها الملايين من الشباب، كما في الحربين العالميتين الأولى والثانية، فهنا يكون التعدد واجباً اجتماعياً وأخلاقياً ودينياً قبل أي شيء آخر لحماية الأعراس وصيانتها، ولحفظ الأنساب، وهنا نجد الفيلسوف الانجليزي «هربرت سبنسر» الذي يرفض تعدد الزوجات يرى بضرورته للأمة التي يفنى رجالها في الحروب يقول في كتابه «أصول علم الاجتماع» (إذا طرأت على الأمة حال اجتاحت رجالها بالحروب، ولم يكن لكل رجل من الباقين إلا زوجة واحدة، وبقيت نساء عديدات بلا أزواج ينتج عن ذلك نقص في عدد المواليد لا محالة، ولا يكون عددهم مساوياً لعدد الوفيات، فإذا ما تقائلت أمتان مع فرض أنهما متساويتان في جميع الوسائل المعيشية، وكانت احدهما لا تستفيد من جميع نساؤها بالاستيلاء، فإنها لا تستطيع أن تقاوم خصيمتها التي يستولد رجالها جميع نساؤها، وتكون النتيجة أن الأمة الموحدة للزوجات تفنى أمام الأمة المعددة للزوجات) [٤].

ومن هذا المنطلق نجد هجوم أعدائنا على تعدد الزوجات لأنهم يريدون التقليل من أعدادنا بكل الوسائل.



ثانياً: الضرورات الشخصية وهي:

١ - عقم الزوجة:

وقد يقول قائل الآن اصبح بإمكان الزوجة العاقر الإنجاب عن طريق الأنباب، هذا صحيح ولكن هناك حالات يفشل فيها الحمل بالأنابيب، وأنا أعرف صديقة حاولت الإنجاب عن طريق الأنباب، وفشلت كل المحاولات، إضافة إلى ارتفاع تكاليفها .

فالمرأة العاقر أكرم لها أن تظل في بيت زوجها تتمتع بكل الحقوق الزوجية من أن تطلق، وقد لا

يوجد من يعيها، وإن وجد المعيل فهل ستعيش حياة كريمة هانئة، وإن كان المعيل أباً له زوج غير أمها أو كان أخاً له زوج أنانية شريرة حاقدة لا تخاف الله، أو قد يكون الأخ ذاته أنانياً قاسياً جاحداً يتصل من الإنفاق عليها .

٢ - مرض الزوجة:

فقد تمرض بمرض مزمن أو معد أو منقر بحيث لا يستطيع معه الزوج أن يعاشرها معاشرة الأزواج،

٤ - لتحسين الزوج:

فهناك من الرجال من لا تحسنه زوجة واحدة، فيستحب له الزيادة عن الواحدة. هذه أسس تعدد الزوجات في الإسلام وضوابطه، كما رأينا فيها صيانة لكرامة المرأة، وحرصاً شديداً على عرضها.

والسؤال هنا: هل الرجال المعدون التزموا بهذه

الأسس؟

للأسف الشديد الجواب في الغالب يكون بالنفي إلا في حالات نادرة، فالشائع أن الكثير منهم أساء إلى نظام تعدد الزوجات، فهم يعددون دون أن يلتزموا بالعدل، كما أنهم يعددون بدون مبررات شرعية، إذ تفاجأ الزوجة المكافحة الصبورة التي وقفت إلى جانب زوجها في مشوار حياته، وأسهمت معه في بناء مستقبله، وجاهدت وضحت وتنازلت عن كثير من حقوقها في سبيل تحقيق مستقبل أفضل له، ويبلغ مكانة مرموقة في المجتمع، وما أن يفتح الله عليه أبواب الرزق، ويصبح شخصية مرموقة في المجتمع يكافئ هذه الزوجة بأن يتزوج عليها امرأة ثانية، لأنها من وجهة نظره لم تعد مناسبة له، ويتزوج من فتاة قد تكون في مثل سن ابنته!! ونجده يميل كل الميل إلى الزوجة الجديدة، وينصرف عن زوجه الأولى، فهنا المرأة افتقدت

فإن صبر على مرضها وكان وفيّاً فله جزاء الصابرين، وهو أعظم جزاء، يقول الله تعالى: **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**، وإن لم يستطع الصبر فمن المروءة والأخلاق الكريمة أن يحتفظ بها، ويقوم على رعايتها وعلاجها ويتزوج بأخرى خير من أن يطلقها.

ومما لا يخفى على الجميع أن المرض يحتاج إلى خدمة ورعاية ونفقة، فإن طلقها وهي مريضة فليس هذا من الإنسانية بشيء، لأنه إن يتوفر لها من سيقوم على خدمتها والنفقة على علاجها خاصة إن فقدت المعيل خاصة في زمن كهذا الزمن الذي طغت عليه المصلحة المادية والأنانية المطلقة، والمريض لن يجد من يراعه إلا من الوالدين اللذين لا يريدان منه مصلحة ولا منفعة، فإن فقدت هذه الزوجة المريضة الوالدين كيف ستكون حالها إن طلقت؟ حتى لو كان لديها أولاد فللأسف الشديد هناك كثير من الأبناء قد تخلوا عن آبائهم وأمهاتهم ورومهم في دور المسنين.

٣ - كثرة تنقل الزوج وترحاله:

فقد يكون الرجل بحكم عمله كثير التنقل والترحال، ولا يستطيع اصطحاب زوجته في كل الأسفار، فهنا الأفضل والأصون له أن يتزوج بأخرى من أن يسلك طريقاً غير شرعية، وينجب أبناء غير شرعيين.



إلا بموافقتها، فلجأ الرجل الى «الزواج العرفي».

أما في الخليج العربي فقد استحدثت «زواج المسيار» تخلصاً من ظلم وقهر الرجل المعدد.

أحوال المجتمعات التي تحرم التعدد:

وعند تأملنا لأحوال المجتمعات التي تحرم تعدد الزوجات نجدُها في حالة من الفوضى الجنسية، والمرأة أولاً وأخيراً هي الضحية، وهي المظلومة؛ إذ تشير التقديرات إلى أن ما بين ٤٠-٦٠ مليون امرأة في العالم سنوياً تحاول إجراء عملية إجهاض لجنين غير مرغوب فيه، وغير المتزوجات يمثلن أعلى نسبة للإجهاض، ففي بريطانيا كان المجموع الكلي للإجهاض ازداد من (٦٣٤ ألف) عام ١٩٧٢م إلى (١٢١٨ ألف) عام ١٩٩٢م لكافة الأعمار من قبل غير المتزوجات، أي أن العدد تضاعف خلال عشرين عاماً [٥] - وبالرغم من حالات الإجهاض فهناك ارتفاع مذهل في عدد الولادات غير الشرعية.

والأولاد غير الشرعيين يكونون منبوذين من المجتمع، ولا يلقون الرعاية الكافية فينشأون ناقمين على المجتمع والناس، ويعيشون حياة كلها بؤس وتشرذم وشقاء، وهذا يدفعهم الى العنف والجريمة.

أما أمهاتهم فيلظهن المجتمع، وقد يتحولن الى مومسات ضائعات. فالمرأة هنا هي الضحية.

هذا ولقد تعالت الصيحات في بريطانيا مع مطلع القرن العشرين تطالب بإباحة تعدد الزوجات،

الإحساس بالأمان، وأعطاهما شعوراً بأن دينها قد ظلمها عندما أعطاه حق الزواج بأكثر من واحدة، فأساء الى تعدد الزوجات في الإسلام بإساءته استخدام هذا الحق.

وهناك رجال يجمعون بين أربع زوجات ويحرصون أن يكن موظفات لتتحمل كل واحدة منهن مسؤولية الإنفاق على نفسها، فهناك من يتهرب من الإنفاق بدعوى الزهد والتقشف أحياناً، ويتحريم الطيبات التي أحلها الإسلام باسم الإسلام أحياناً أخرى، والإسلام من ذلك بريء، ولا يكتفي بهذا فقد يهمل الزوجة الواحدة عدة أشهر.

رد فعل النساء على ظلم الرجال الممعددين:

وكان رد فعل النساء على ظلم الرجال الممعددين أن طالب بعضهن بإصدار قوانين تلغي تعدد الزوجات، واستجابت - للأسف الشديد - بعض الحكومات الإسلامية لهذا الطلب كما حدث في تونس، فلقد نص القانون التونسي الجديد على منع تعدد الزوجات منعاً مطلقاً من غير قيد أو شرط، فمن يتزوج بأكثر من واحدة يستوجب عقاباً بالسجن مدة عام، وبغرامة قدرها ٢٤٠٠ فرنك، أو بإحدى العقوبتين.

وفي بلاد أخرى كمصر قيد التعدد بشرط موافقة الزوجة الأولى، فلا يتم عقد الزواج من أخرى



والمرأة تكون الضحية أيضاً عند تقييد الزواج
بثانية أو بأخرى بموافقة الزوجة الأولى، ونتيجة لهذا
التقييد يلجأ الزوج الى الزواج العرفي، تلافياً لآلية
مشاكل بينه وبين زوجه الأولى، وحرصاً على وضعه
أمام أولاده منها .

حكم الزواج العرفي :

والزواج العرفي زواج غير شرعي للأسباب

التالية:

- ١ - إنه يفتقر الى الإشهار والإعلان .
- ٢ - إنه يحرم الزوجة والأولاد من حقوقهم

فقد نشرت جريدة «للاجوس ويكلي ريكورد» في
عددتها الصادر بتاريخ ٢٠ ابريل عام ١٩٠١م نقلا
عن جريدة «لندن تروث» بقلم احدى السيدات
الانجليزيات ما يلي:

(أي ظن يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين
لهم أولاد غير شرعيين أصبحوا كلا وعاراً على
المجتمع، فلو كان تعدد الزوجات مباحاً لما حاق
بأولئك الأولاد وأمهاتهم ما هم فيه من العذاب
والهون، ويسلم عرضهن وعرض أولادهن، إن تعدد
الزوجات يجعل كل امرأة ربة بيت وأم أولاد
شرعيين) [٦] .

المنهمل



التعدد، وأنه على الرجل أن يعدد بلا سبب، وذلك إحياءاً للسنّة، وأصبح بعض خطباء المساجد، وبعض المحاضرين في المساجد، وفي الجلسات العلمية يحثون الرجال على التعدد، ويتهمون الزوجة التي لا تخطب لزوجها أنها غير مؤمنة، فاقبل الرجال على التعدد، وأصبحت النساء قلقات على الدوام منتظرات بين لحظة وأخرى أن يفاجئن أزواجهن بزوجة ثانية، وثالثة، ورابعة، إضافة إلى أن هؤلاء الرجال حرصوا على الزواج من موظفات، وتهربوا من الإيفاء بمطالبهن بتحريم ما أباحه الله من الطيبات، فرأت المرأة أنها مسؤولة عن نفقة نفسها وبيتها وهي في ذمة هذا الزوج، وفي الوقت ذاته هي خاضعة لقوامته، وعادة يكون هؤلاء الأزواج مسيئون لمفهوم القوامة، فيعطونها مفهوم السلطة والاستبداد والاستعلاء، فرأت بعض نساء الخليج في زواج المسيار رداً لكرامتهن، فما دمن غير مسؤولات من أزواجهن المعبدين بالنفقة، فليكن أزواجهن زواجاً مسياراً، ولا قوامة لأزواجهن عليهن.

والذين يقولون إن الأصل في الزواج التعدد هم على خطأ كبير، إذ لو كان كذلك لخلق الله لأبينا آدم عليه السلام أكثر من حواء.

ولو كان التعدد هو الأصل في الزواج، لما اكتفى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو في سني الشباب بزوجه أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله

الشرعية، فالزوجة «عرفياً» لا يحق لها ميراث زوجها هي وأولادها ما لم يكن هناك اعتراف من الزوج بها كزوجة، وأولاده منها، وهذا الاعتراف نادراً ما يحدث.

٣ - يفترق إلى الديمومة والاستمرار، فهو كالزواج الموقوت الذي لا تتوفر فيه عوامل الاستقرار والديمومة والاستمرار، واستمراريته هنا مرهونة بعدم علم الزوجة الأولى، فإذا علمت به، مرقت ورقة الزواج، وقذف بالزوجة «عرفياً» في الشارع، وقد تكون حاملاً، ولا يحق لها نسبة الولد الذي في بطنها لأبيه لأن الأب سينكره، فأصبح وضعها كوضع المرأة التي حملت سفاحاً.

فالمرأة إن ظنت أنها قد أنصفت نفسها بهذا التقيد، فهي على خطأ كبير لأنها ظلمت نفسها به ظملاً ما بعده ظلم، وهنا تتجلى لنا الحكمة الإلهية في عدم تقييد الزواج بالثانية برضا الزوجة الأولى، لأنه لا توجد زوجة على أرض البسيطة توافق على أن يتزوج زوجها بغيرها إلا ما ندر.

زواج المسيار :

وزواج المسيار الذي ظهر في دول الخليج العربي في الآونة الأخيرة ما هو إلا نتيجة من نتائج إساءة تطبيق حق التعدد، إذ ظهرت في الخليج العربي في الآونة الأخيرة دعوة أن الأصل في الزواج

حكم زواج المسيار :

وزواج المسيار إن أباحه بعض العلماء، فإنا أرى أنه غير جائز شرعاً لأنه يفتقر إلى أسس الزواج وهي:

١ - القوامة، لأن القوامة لا تتحقق إلا بشرطين هما تحمل مسؤولية الأسرة والنفقة، وهذان مفتقدان في زواج المسيار.

٢ - المودة والسكن والرحمة، وهي ثمار الزواج الروحية.

٣ - ثمار الزواج المادية، البنين والحفدة، وإن كان هناك أبناء فمن المسؤول عنهم؟

٤ - الإعلان عنه بالشكل المتعارف عليه، فهو ملعن عنه لدى أهل الزوجة القريبين فقط.

وهذا لا يكفي، ولا يعطي للمرأة حقها كزوجة شرعية أمام الناس والمجتمع.

كما يترتب على هذا الزواج أمور أخرى خاصة باليراث، إذ كيف يرث زوج المسيار زوجته، وهو أساساً لم يكن مسؤولاً عن نفقتها؟[٧].

وكما رأينا في هذا الزواج غيباً وظلماً وقهراً للمرأة، بل وامتهاناً لها. وما أراه إلا مخادعة ألبست لباس الشرعية بمسمى «زواج».

وهكذا نجد حال المجتمعات عندما تلغي شريعة تعدد الزوجات، وتستبدلها بشرائع أخرى وضعية، ففي كل الأحوال نجد أن تعدد الزوجات، كما شرعه

عنها، والتي تكبره بخمسة عشر سنة، والرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يعدد إلا بعد أمره بالجهر بالدعوة، وكان في سن الثالثة والخمسين، فكان تعدده للزوجات للتشريع، ولأسباب تتعلق بنشر الإسلام، ونبد الأحقاد واحتقان الدماء عن طريق المصاهرة، ولأسباب إنسانية، فلقد عدّد النبي محمد عليه الصلاة والسلام للتشريع كزواجه من السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها بعد طلاقها من زيد بن حارثة الذي كان ابن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالتبني - قبل الرسالة - فإله جل شأنه قد زوج رسوله منها ليشرع الزواج من زوجة الابن بالتبني، إذ كانت زوجة المتبني تعامل معاملة زوج الابن، كما كان في تعدد الرسول عليه الصلاة والسلام للزوجات حكمة توضيح أحكام الزواج، والمعاشرة الزوجية، ولعل الأحاديث النبوية التي روتها أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن تؤكد هذا، كما كان زواجه ليس للشهوة كما يزعم بعض المستشرقين فقد تزوج من المسنة (سودة بنت زمعة) رضي الله عنها براً بها، ومن أرامل لتكريمنه، والسيدة عائشة رضي الله عنها هي البكر الوحيدة التي تزوجها عليه الصلاة والسلام، وقد تزوجها إكراماً لأبيها الصديق أبي بكر رضي الله عنه، بينما أغلب المعددين يبحثون عن الصغيرات والأبكار والموظفات. ثم هل المعدون يعدلون بين زوجاتهم كعدل النبي (صلى الله عليه وسلم)؟



ظروفها الاجتماعية قد تضطرها القبول بالزواج من رجل متزوج.

وأقول : وهنا تتجلى لنا الحكمة الإلهية في تشريع التعدد فعلام الاعتراض إذن ؟؟

الهوامش :

(١) د. حسن ظا : الفكر الديني اليهودي، ص

١٩٢ - ١٩٣.

(٢) د. عبد الناصر توفيق العطار: تعدد الزوجات

من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية ، طبعة

بدون رقم، سنة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م، مؤسسة

الرسالة، بيروت، دار الشروق - جدة.

(٣) د. محمد البلتاجي: أحكام الأسرة في الإسلام،

طبعة بدون رقم، سنة ١٩٧٤م، مكتبة الشباب،

مصر.

(٤) د. مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه

والقانون.

(٥) د. شذى سلمان الزركلي: المرأة المسلمة في

مواجهة التحديات المعاصرة، ص ٨٩.

(٦) د. مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه والقانون

، ط٢، دار المكتب الإسلامي - دمشق.

(٧) سهيلة زين العابدين حماد: مسيرة المرأة

السعودية الى أين، نشر على حلقات في مجلة

المنهل.

الله هو الأفضل والأصون للمرأة وللمجتمعات لأنه

كفل لها جميع حقوقها، والله أعلم بأحوال خلقه، وبما

يصلح لهم، وعندما شرع تعدد الزوجات شرعه

لحماية الأعراض وصون كرامة النساء، وقد رأيت

بأنفسكم ما يحدث للمرأة عندما يحرم تعدد

الزوجات.

ما الحل إذن ؟

المطلوب من الرجل والمرأة تقوى الله، فالرجل

الذي يعدد عليه بتقوى الله، وأن لا يستخدم التعدد

لظلم المرأة وقهرها، وأن لا يلجأ الى التعدد إلا

للضرورة القصوى، وأن يكون عادلا بين زوجته أو

زوجاته.

والمطلوب من المرأة تقوى الله في تربية أولادها،

وأن تزرع في قلوبهم تقوى الله ومراقبته في كل قول

وعمل، لأن هؤلاء الرجال نتاج تربيته، كما عليها

تقوى الله فلا تجعل زوجها المعدد يميل كل الميل

إليها، ويظلم زوجه الأخرى، فإن كانت تحب زوجها

حقاً عليها أن تحثه على العدل بينها وبين زوجه

الأخرى، لأنه إن ظلمها سيبعث يوم القيامة وشقه

الأيمن أعوج، وسيحاسب على ظلمه، ومن يحب

إنساناً يريد له الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

ثم إن الأمر بيد المرأة أولاً وأخيراً، وعليها ألا

تقبل الزواج من رجل متزوج، قد يقول قائل: إن

الأسرة المسلمة التحديات المعاصرة

وضرورة توفير بعض المتطلبات التي كانت سابقا من الكماليات فقد أصبح اليوم لا تهاون ولا تنازل عن التجهيزات الفاخرة والحفل الذي ينهك الزوج فيقبل على حياة زوجية جديدة بهوم ومسئوليات جسام.

وبذلك اقتصر الاهتمام كله في الزواج بهذه الأمور دون وعي لما يحققه الزواج من الفوائد وهي: الولد لإبقاء النوع الإنساني، كسر الشهوة والتحصن من الشيطان، تدبير المنزل... فالمرأة الصالحة تدبر أمور منزلها وتفرغ قلب الزوج للعمل والعلم، وترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والاستمتاع بما يحقق الراحة والطمأنينة، مجاهدة النفس ورياضتها والقيام بحقوق الأهل مما يزيد من الأعمال عظيمة الفضل ثقيلة الميزان.

ونظرا لكثرة المسؤوليات التي تقابل الزوجين كان لابد من خروج المرأة للعمل وهنا تظهر العديد من المشكلات فخروج المرأة من بيتها ترتب عليه التخلي عن بعض الأدوار التي تقوم بها ومحاولة التخفيف من مسؤولياتها وهذا يؤثر أكبر الأثر على تنشئة الأولاد وعلى علاقة الزوجة مع زوجها، فالمرأة العاملة دائما وقتها لا يتسع إلا للقيام بالمهام الرئيسة والعاجلة فقط في منزلها ولأفراد أسرتها وهذا ما يجعل خروجها على حساب منزلها وأسرتها، كما أن خروج المرأة للعمل وتقاضى راتب عن هذا العمل قد خلق بعض المشكلات

لقد اهتم الإسلام اهتماما شديدا بالأسرة لأنها اللبنة الأولى لبناء المجتمع، وعلى صلاح هذه اللبنة يبنى صلاح المجتمع بأسره. وقد كانت الأسرة العربية تمثل نموذجا ومثلا أعلى بما تتبناه من قيم وما تقوم عليه من أسس وضعها الإسلام وهي: المودة والرحمة بين الزوجين والتي لا تصلح الحياة الزوجية بدونها، والعدالة وهي حق لكل الزوجين وللزوجة بشكل خاص، والتكافل الاجتماعي.

إلا أنه لم يعد نمط حياة الأسرة المسلمة كما كان في الماضي فقد طرأت بعض التغيرات في الأسرة العربية بداية من تكوينها، فالزواج الذي هو الطريقة الأساسية لتكوين أسرة جديدة قد اختلت موازينه فقد ابتعد بعض الشباب عن المعايير الإسلامية في اختيار الزوج أو الزوجة، فالشاب يختار الآن الزوجة في ضوء معايير الجمال والمصلحة التي قد يحققها من وظيفة لهذه الزوجة أو لأحد أفراد أسرتها ونسى الشاب قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «اظفر بذات الدين تربت يداك» وكذلك الفتاة فقد أصبح كل ما يفرحها المال أو المركز الاجتماعي دونما أي تقدير للنواحي الدينية ونسى ولي أمرها قوله (صلى الله عليه وسلم)، «إذا جاعكم من ترضون دينه فروجوه» أضف الى ذلك ما انتاب مجتمعنا الاسلامي من تقاليد مرتبطة بالزواج



عليها البيت العربي، وليس معنى هذا عدم التعاون من الرجل على الإطلاق ولكن في حدود مقننة ومنظمة، لا كما هو الحال في البيوت الغربية التي تحاول بعض الأسر العربية تقليدها. والتي ما إن ظهرت في مجتمعنا العربي حتى زاد التنافر بين الزوجين وتعكرت الأجواء الأسرية وامتلات بالخلافات.

هذا بالإضافة الى انشغال الزوجين أحيانا بمشكلات العمل وهمومه ونقل هذه الهموم الى المنازل مما أثر على سير الحياة الأسرية بداخل هذه المنازل. ولنا أن نتخيل أن كلا منهما يأتي بمشكلات تختلف في طبيعتها ومداهما وفق طبيعة العمل، فهذا تشاجر مع زميل له، أو تأخر عن العمل فعوقب، أو هو مطالب بإنجاز بعض المهام المهنية التي تستغرق أوقاتا خارج نطاق العمل... الخ.

وهذا كله يؤدي الى عدم استقرار نفسي وصفاء ذهني داخل المنزل. وهذا ما يجعل التوتر يسود بعض الأسر ليس لسبب إلا أعباء العمل وهمومه.

وأخيراً لنا أن نتخيل الأسرة بهذا الحال لم تقم من البداية على أسس إسلامية صحيحة مما جعل البنيان يوشك على السقوط من قبل اكتماله وما هو حال كثير من أسرنا «أسر آيلة للسقوط»، مع مواجهة كل الضغوط النفسية والمادية والاجتماعية والأخلاقية والانشغال الدائم بمشكلاتها فهي تعيش في معزل عن الحياة الاجتماعية، وبذلك أصبحت العلاقات الاجتماعية تحكمها المصلحة وقل الترابط بين الأقارب وأصبحت الأسرة متغلقة على أفرادها وهموم ومشكلات هؤلاء الأفراد والسعي لتحقيق مصلحة كل فرد منهم، وقل التعاون بين الأفراد وضعفت الروابط الاجتماعية مما أظهر المجتمع العربي مجتمعاً متفككاً كنتاج لجموع أسر متفككة.

بين الأزواج في الإنفاق، فيرى بعض الأزواج أن على الزوجة المشاركة في الإنفاق على الأسرة. وترى الزوجات أن القوامة والإنفاق للرجل وهذا ما جعل التفكك والخراب يدب في كيان بعض الأسر لهذه الأسباب، هذا بالإضافة الى عدم التفرد من قبل المرأة لرعاية أبنائها بما يتناسب وروح العصر الذي نخشى فيه على أبنائنا من كل المؤثرات الخارجية التي زادت قوتها عما قبل بمغريات الحضارة فما هي دور السينما والأقمار الصناعية تنتشر أفكارها وتبث سمومها بين الشباب وهذا ما أثر بوضوح على أخلاقيات شبابنا، فقد ظهرت في الآونة الأخيرة طائفة من السلوكيات والجرائم التي يقوم بها الشباب وهي غريبة عن مجتمعنا العربي الإسلامي.

وكل ذلك نتج عن عدم قيام الأسرة بدورها في تربية الأبناء ويقف وراء هذا العديد من الأسباب مثل: انخفاض مستوى الدخل وهذا ما يجعل الأب يندفع في محاولات الحصول على وسائل للكسب لرفع مستوى دخله مما زاد من أعبائه وأثر على وجوده في الأسرة، وقل توجيهه وإرشاده لأبنائه وبذلك قلت فرص التوجيه الفكري والأخلاقي للأبناء من قبل الآباء، هذا بالإضافة الى ميل الأبناء للحرية المطلقة ورغبتهم في التحرر من مراقبة الآباء واعتبارهم توجيهات الآباء - إن وجدت - تزمناً لا يتماشى وروح العصر الذي يعيشونه اعتقاداً منهم أنهم خلقوا لزمان غير زمن الآباء وبذلك لا تساير أفكار الآباء هذا الزمان.

ولا شك أن كل العوامل السابقة أثرت على طبيعة العلاقة بين الزوجين، فضغوط العمل على كلا الزوجين أثرت على كيان الأسرة فالمرأة أحيانا تطالب الرجل بالمشاركة الجادة في كل الأعمال المنزلية وفي هذا انهيار للأسرة وهز لكيان وصورة رب البيت التي اعتاد

فبالأسرة الآن تعيش في أزمة، أب منهك طوال اليوم لتوفير لقمة العيش، وأم مرهقة بين المهنة خارج المنزل وواجباتها داخل المنزل، وأبناء في صراع مع اتجاهات التحضر وضعف التوجيه الأسري والاعتماد على ما يصادفهم من صدقات ورفاق تحمل اتجاهات موجبة أو سالبة، وجدران تضم كل هذه الأشتات المتناثرة ويطلق عليها منزل أسري.

ولذلك فالأمر يحتاج إلى وقفة تأمل وليتبع هذه الوقفة بحث عن بدائل ممكنة لبعث روح الترابط الأسري العربي الإسلامي الأصيل في جو من الإنتاج والإنجاز مما يساعد على مواصلة ركب الحضارة العالمي في ضوء معطياتها العربية الإسلامية.

الإعلام المرئي والأسرة :

لقد أصبح التلفزيون أحد وسائل الإعلام المرئية وأكثرها انتشاراً . وهو يمثل أحد المؤثرات والتحديات الرئيسية التي تواجه الأسرة العربية، فقد فشلت معظم الأسر العربية في التحكم والسيطرة على هذا الضيف الذي يدخل كل بيت بلا استئذان فقد أصبح التلفزيون أحد المحاور الرئيسية التي تدور الأسرة حول فلكها، فما يصبح الصباح حتى يتم تشغيل التلفزيون مع أول إشراقة ويستمر هذا الحال دون أي ملل ودون ترك أي عمل تليفزيوني فالمشاهد العربي يشاهد كل ما يقدم سواء ما يوجه للأطفال أو الكبار .

ومعاشدة التلفزيون لها أكبر الأثر على الأطفال نظرا لارتباط الصوت بالصورة وعدم الحاجة إلى إتقان القراءة والكتابة، ويظهر هذا التأثير بداية من تضييع الوقت والجلوس لساعات طويلة بسلبية شديدة مما يحوق بعض الأطفال وقد يصيبهم ببعض الأمراض، كذلك يؤثر بما يقدمه من محتوى قد لا يتناسب مع مجتمعنا العربي ولذلك فهو أحد عوامل الهدم لقيمنا العربية إن لم يحسن اختيار المادة الإعلامية المقدمة،

فواقع الحال يؤكد أن معظم ما يقدمه التلفزيون لا يتناسب وأطفالنا، حتى بما فيها البرامج الموجهة للأطفال أنفسهم، فمعظم أفلام الكرتون المقدمة للطفل العربي هي من إنتاج غربي تحمل من الأفكار أحيانا أو السلوكيات ما يتنافى وطبيعة الطفل العربي المسلم، وتشجعه بطريقة غير مباشرة أو طريق المصادفة لبعض الأفعال العدوانية وخاصة في حالة وجود دوافع ونزعات عدوانية لدى هذا الطفل، أو في حالة اندفاع التلفزيون نحو تمجيد الجريمة أو تحقير بعض القيم الاجتماعية، فكتيرا ما يتأثر الأطفال بمناظر العنف التي يشاهدونها .

ورغم أهمية التلفزيون فإن الآراء تتعارض حول هذه الأهمية في تكوين الشخصية، فالمؤيدون يرون أنه وسيلة لتوسيع آفاق الطفل وخلق اهتمامات لديه، وإثراء خياله وشخصيته وتنمية العديد من المهارات والقدرات التي يحتاجها الطفل. أما المعارضون فيركزون على ما يعرضه التلفزيون من صور للعنف والجريمة قد تؤثر على الطفل، فالأطفال يتأثرون ويقلدون ما يشاهدون من مظاهر العنف والعدوان وخاصة إذا ما قدمت من قبل بطل يفصلونه .

ومهما اختلفت الآراء حول مزايا أو عيوب التلفزيون كوسيلة إعلامية مؤثرة على الأسرة والمجتمع فلا خلاف علي أنه من أهم وأخطر المؤسسات التي تؤثر على النشء، وتقف حائلا دون تأثير الأسرة بالقدر المطلوب، ولذلك لو نجح التلفزيون في تقديم البرامج الهادفة المسيرة لقيم مجتمعتنا وأهدافه لأسهم بنصيب كبير في دعم دور الأسرة في تنشئة أبنائها .

ولكن لسان الحال ينطق بالأسى من التلفزيون ففي هذا العصر الذي أصبح العالم قرية صغيرة بفضل تمام التواصل عبر القنوات الفضائية أو الانترنت، وهذا ما جعل المسؤولين على هذا الجهاز الإعلامي الخطير يقدمون كل ما يحلو لهم لمنافسة ما



الإعدادي ونجد في هذه المرحلة من يلتحق بما يسمى المسار الخاص وهو يعني انخفاض المستوى التعليمي وسرعان ما يعود هؤلاء إلى فئة الأمية، ومع التحرك للتعليم الثانوي يبرز هذا النقص في عدد الإناث الملتحقات بالتعليم الثانوي، ويمكن إرجاع هذا النقص في التحاق الإناث بالتعليم إلى العديد من الأسباب منها: عدم توفير المباني المدرسية وبعدها عن المجتمعات السكانية في بعض الأحيان مما يدفع بعض الأسر لمنع الفتيات من مواصلة التعليم في المدارس الواقعة بعيداً عن إقامتهن، والنظرة العربية القاصرة إلى الفتاة وأنها لا تستحق من الاهتمام ما يستحقه الولد فتعليم الولد هو المفضل للأسر عن الفتاة، وزيادة عدد أفراد الأسرة مما يدفع بعض الأسر لاستبقاء الفتيات في المنزل لمعاونة الأم في تدبير شؤون الأسرة.

ويمكن علاج هذه المشكلة عن طريق: توفير المباني المدرسية وأن تكون قريبة من المناطق السكانية ليسهل على الفتيات الالتحاق بها، توفير المدارس ذات الفصل الواحد إذا لم يتيسر الحل الأول لإتاحة الفرصة لفتيات القرى والنجوع من مواصلة تعليمهن، توفير برامج محو الأمية للإناث للقضاء على هذه المشكلة، إزالة معوقات تعليم الفتيات بمحاولة توفير التغذية المدرسية، وتزويدهن بالزي المدرسي، وإعفاءهن من الرسوم الدراسية، وتعليمهن بعض المهن التي قد تدر عليهن ربحاً ويحقق لهن فرصاً للعمل بعد الانتهاء من التعليم، التركيز في تعليم الفتاة على الثقافة الأسرية التي تساعدن على امتصاص ثقافة القرن وتحديات ثقافة القرن الجديد.

وفي هذا كله محاولة للوصول إلى فتاة متميزة لتصبح في مستقبلها أماً متميزة تنجح في القيام بمهامها الأسرية ورعاية أبنائها وتوجيههم بأفضل ما يكون التوجيه.

يقدم عبر القنوات الفضائية دون رقابة على أن تكون كل أسرة هي مصدر الرقابة على أبنائها وهذا ما جعل التحدي أكبر أمام الأسر العربية، فقد وجدنا كل ما أنتج من أفلام منعت من العرض في فترات سابقة بدأت تهجم على بيوتنا وأطفالنا تقدم النماذج السيئة وتستثير لديهم الغرائز.

وبعد أن كانت الأسرة تترك أبنائها أمام شاشات التلفزيون معتمدة على دور الرقابة أصبحت الأسرة تخشى على أبنائها من هذا الزائر الذي قد أصبح بمثابة الأب الثالث للأطفال. وبعد أن كانت مشاهدة التلفزيون وسيلة لتحقيق المتعة والتسلية للأطفال أصبحت هدفاً مرجواً من الأطفال.

التعليم والأسرة :

ومن التحديات الأخرى التي تواجه الأسرة العربية دون تحقيق أهدافها الاجتماعية والتربوية انخفاض المستوى التعليمي للمرأة العربية، فبالرغم من أن النظام التعليمي في أي دولة يوفر التعليم العام قبل الجامعي لجميع المواطنين في سن التعليم أي منذ السادسة حتى الثامنة عشرة ويحرص على أن يقدم في هذا التعليم مهارات التعليم الذاتي لكي يتمكن المواطن من مواصلة التثقيف الذاتي بعد هذا النوع من التعليم لينجح في مسايرة العصر والمتغيرات الحديثة في عصر التكنولوجيا والعولمة، وهذا يعني استيعاب جميع الأطفال في التعليم العام حتى الثانوية العامة أو ما يعادلها.

إلا أن الوطن العربي يعاني من وجود نسبة كبيرة من الإناث لا تجد مكاناً في التعليم الابتدائي أو لا تلتحق به، إما لصعوبات اقتصادية أو اجتماعية أو تعليمية تنتج عن ذلك وجود نسبة كبيرة من الفتيات تقع أعمارهن ما بين السادسة والعاشرة خارج المدرسة ويعانين من الأمية. وتزيد النسبة إذا ما انتقلنا للتعليم



على الأسرة مراقبة ما يشاهده الأطفال .

التنشئة الاجتماعية عملية تعليم وتعلم
اجتماعي ونمو طبيعي مستمر داخل ظروف
بيئية معقدة ومتشابكة بهدف الوصول
بالفرد الى أن يكون عضوا اجتماعيا نافعا
ومقبولا بسلوكه الاجتماعي.

تعتمد التنشئة الاجتماعية على القيم الاجتماعية
السائدة في العلاقات الأسرية، والحجر الأساسي في
التنشئة الاجتماعية هو القيم القائمة في تلك
العلاقات وفي الدفء الذي توفره العائلة للطفل
والانسجام العائلي وعلاقة الوالدين بالطفل
واتجاهاتهم نحوه. تختلف التنشئة الاجتماعية
باختلاف المقومات العائلية التي تعكس إلى حد ما

التنشئة
الاجتماعية
.. والثقة
بالنفس



بقلم : د. أمل المخزومي

أستاذة علم النفس - تركيا

المجتمع - ركز الدين الإسلامي على تطبيق تلك الأهداف في تنشئة المسلم ليكون قويا . نالت التنشئة الاجتماعية اهتمام المربين الإسلاميين والعمل الجاد على تقوية ثقة الأفراد بأنفسهم . تلعب الثقة بالنفس دورا مهما في سلوك الفرد في مختلف المجالات والأعمار . يمكن أن نعرف الثقة بالنفس على أنها إحدى سمات الشخصية الأساسية التي يبدأ تكوينها منذ نشأة الفرد، كما ترتبط ارتباطا وثيقا بتكيف الفرد نفسيا واجتماعيا . وتعتمد اعتمادا كبيرا على مقوماته العقلية والجسمية والنفسية .

التنشئة والثقة بالنفس :

أكدت التربية الإسلامية على زرع الثقة في نفوس الأبناء، وقد استوعب هذا الموضوع المجلات . وفي هذه العجالة نستعرضه باختصار بالشكل التالي :

١ - تعتمد التنشئة الاجتماعية الإسلامية على أسس سليمة في زرع الثقة بنفوس الأبناء وذلك باعتبار أن المسلم القوي الذي يدافع عن مقوماته التي تتضمن العقيدة والقيم وكيان المجتمع الإسلامي هو خير من المسلم الضعيف الذي يخضع للظلم والحيث الذي يلحق بتلك المقومات، نعلم بأن القوي تكون ثقته بنفسه عالية وهذه البذرة الأولى التي يحاول الآباء زرعها في نفوس أبنائهم ويكون مردودها بالتالي كبيرا جدا .

الطابع المختلف للمجتمعات . ينتج هذا الاختلاف من تأكيد المجتمعات على جانب معين من الحياة التي يمارسها الأفراد في الفترة الزمنية التي يمرون بها . على سبيل المثال هناك مجتمع يؤكد على الجوانب المادية وذلك يؤكد على الجوانب الروحية وثالث يؤكد على الجوانب الاجتماعية مما يؤدي بالتالي الى اختلاف أساليب التنشئة الاجتماعية التي يمارسها ذلك المجتمع . كما يشمل الاختلاف البيئة الاجتماعية داخل المجتمع الواحد أيضا .

تقوم التنشئة الاجتماعية بنقل الحضارة والثقافة والمدنية في داخل المجتمع الواحد من ناحية وبين المجتمعات من ناحية أخرى . هناك نوعان من النقلة الثقافية والمدنية .

تتضمن الأولى : النقلة الطولية للثقافة وتحصل عن طريق نقل الثقافة من جيل الى آخر .

أما الثانية : وهي النقلة العرضية التي تتم عن طريق التجارة والسياحة ووسائل الاتصال والزواج الذي يتم بين أفراد المجتمعات المتباينة ونتيجة لذلك تؤثر المجتمعات بعضها ببعض الآخر . تدعو العولة في العصر الجديد الآن الى تطبيق النقلة العرضية كي تستطيع تذويب المجتمعات في بوتقة واحدة .

تهدف التنشئة الاجتماعية الى تنمية الذات الاجتماعية لدى الفرد وكيفية التعبير عن تلك الذات وزيادة القدرة على حل المشاكل وتحقيق النجاح وغرس القيم الخلقية وتحقيق تكيف الفرد مع

٢ - لقد ركز الإسلام على الوراثة التي تؤدي دوراً مهماً في تكوين شخصية الفرد وثقته بنفسه . يكون الفرد واثقاً من نفسه عندما يكون سليماً من الأمراض العقلية والجسمية والتشوهات الخلقية، ورد في الحديث الشريف (تخبروا لنطفكم، فإن العرق دساس) (تربية الأولاد في الإسلام لعبد الله ناصح علوان: ج١: ٢٧) يؤكد هذا الحديث على تأثير الوراثة على تكوين الفرد والتي أضحت من مسلمات العلم الحديث . ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) «لا تنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاويًا» (تربية الأولاد في الإسلام لعبد الله ناصح علوان: ج١: ٢٩) لقد أثبتت البحوث الحديثة أيضاً تأثير الزواج من الأقارب على إصابة الأطفال بكثير من الأمراض ومن ضمنها التخلف العقلي والتشوهات الخلقية ومرض السكر وعمى الألوان وغيرها من الأمراض التي تنتقل بالوراثة .

٣ - لو دققنا في الآيات الكريمة لوجدنا أن الآيات التي تبشر بالثواب أكثر من العقاب . لقد أثبتت جميع البحوث النفسية بأن للثواب تأثيراً أكبر وأهم على شخصية الفرد ودوافعه من الناحية الإيجابية بينما تأثير العقاب يكون أقل أهمية وقد يكون تأثيره سلبياً على الفرد . إن الإثابة في الإسلام كبيرة لمن يعمل الخير للجميع . [من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها] (الأنعام/١٦٠) .

يدعو الإسلام من ناحية أخرى إلى عمل الخير والصالح، فالآية الكريمة تؤكد وتشير إلى عمل الخير

[مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم] (البقرة/٢٦١) . كذلك الحديث الشريف يؤكد هو الآخر على عمل الخير قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» (التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول لعلي ناصف، ج ١: ٦٤) . تتميز النظرية الإسلامية في هذا الخصوص عما جاء بالنظريات النفسية بميزة خاصة وهي أن ثواب العمل الصالح يكونضاعفا مضاعفاً . أما العقاب فإنه يكون على قدر الذنب . إن تطبيق هذا المبدأ الإسلامي في التنشئة الاجتماعية يدفع الأطفال إلى القيام بالسلوك المرغوب فيه من قبل الوالدين والمجتمع والدين الإسلامي .

٤ - لقد ركز الإسلام على تعليم الصغار والكبار والذكور والإناث ولا فرق في ذلك في فرص التعليم . وهناك من يؤكد على أن تعليم المرأة له فوائد أهم واشمل لأنها تتولى تربية الجيل الصاعد، فإن كانت مثقفة وواعية للتعاليم الإسلامية استطاعت أن تنشئ جيلاً إسلامياً يقاوم عادات الزمان وهجمات العولمة . على سبيل المثال نذكر قول: الإمام ابن باديس [إذا علمت ولداً فقد علمت فرداً، وإذا علمت بنتاً فقد علمت أمة] . وهكذا إن الأمة الإسلامية بحاجة إلى أمهات متعلقات مثقفات ثقافة إسلامية .

أشاد المسلمون بأثر التعليم وشجع الإسلام طلب العلم على سبيل المثال قول الشافعي (يا ربيع اطلب العلم ولو كان في الصين) (الإمام الشافعي من



الاجتماعي السليم والتي تجعل المسلم يفتخر بها أمام غير المسلمين. يؤدي هذا الافتخار بالتالي الى الثقة بالنفس.

٧ - تساعد البيئة الاجتماعية والجغرافية العربية والإسلامية على صقل شخصية الفرد وذلك عن طريق إقامة الشعائر الدينية المختلفة. كما تؤدي الأهداف السامية من وراء الأعياد الدينية التي يهتم بها المسلمون اهتماما كبيرا دورا مهما في تقوية الروابط الاجتماعية بين الأفراد والجماعات. وعن طريق تلك الشعائر الإسلامية يتولد التفاعل الاجتماعي بين المسلمين من مختلف الأقطار وهي بدورها تساعد على النمو الاجتماعي لجميع مراحل العمر.

٨ - لقد أكد علماء التربية الإسلامية على التنشئة الاجتماعية وأهميتها في غرس العادات الحميدة وممارسة تلك العادات في الحياة الاجتماعية، لقد ذهب الامام الغزالي (في إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي - ج٢: ٥٣) في هذا الصدد الى ما يأتي (ولن ترسخ جميع الأخلاق الدينية في النفس، ما لم تعود النفس على جميع العادات الحسنة، وما لم تترك الأفعال السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشاق للأفعال الجميلة ويتعمق بها، ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها).

لقد جاء الإسلام بأساليب ووسائل مختلفة للتنشئة الاجتماعية السليمة، وقال تعالى: {وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس/ ٧ - ١٠] يذكر الرازي (التفسير الكبير - للفخر الرازي، ج ٣١،

أعلام التربية الإسلامية لعبد الغني الدقر، ج ١، ٢١٢) علما بأن في فترة ظهور الإسلام كانت المشقة في التنقل بين الدول والمدن بسبب انعدام التكنولوجيا ووسائل النقل وبالرغم من ذلك كان المسلمون يشدون الرجال ويتحدون الصعوبات لطلب العلم والمعرفة.

٥ - الخبرة السابقة والتجارب التي يتعرض لها الفرد أثناء حياته: تتميز مسيرة المسلمين بخبرات وتجارب لا حصر لها. فقد دخل في الدين الإسلامي القاصي والداني. وهذا يدل على براعة المسلمين في الإقناع وثقتهم العالية بأنفسهم. فعلا، كان المسلمون واثقين كل الثقة بأنفسهم ويعود السبب في ذلك الى صدق نواياهم وأصالة عزائمهم.

٦ - يعتمد سلوك المسلم في ممارسة عبادته على السلوك العلمي السليم. يؤدي المسلمون سلوكيات فريدة في نوعها، يقف الأجنبي أمامها مذهشا. على سبيل المثال اهتمام المسلم بالوضوء قبل أداء الصلاة. وقد أثبتت الدراسات أن للوضوء فوائده الكثيرة أهمها النظافة، وتنشيط الجهاز العصبي. يؤدي استعمال الماء في الوضوء الى تخليص الجسم من الشحنات الكهربائية الناتجة عن التوتر الذي يؤدي دورا مهما في الكثير من الأمراض النفسية. كما يساعد الوضوء على تنشيط خلايا الجلد وبالتالي يحفظه من التجاعيد. لقد أثار الوقوف المنتظم أثناء الصلاة والطواف في أوقات الحج إعجاب العالم. كما يتعلم المسلم الضبط والسيطرة الذاتية الناتجة عن طريق الصوم في شهر رمضان المبارك. إضافة الى أن تلك السلوكيات تساعد على تقوية التفاعل

١٩٢) عن تزكية النفوس ويقول (فاعلم إن التزكية عبارة عن التطهير أو عن الإنماء). - تكلم عن معنى (وقد خاب من دساها) فيقول (من دساها في المعاصي حتى انغمس فيها، أما المعنى الآخر فهو الإعراض عن الطاعات والاشتغال بالمعاصي ، والضمول المهمل المنسي كالشيء المندسوس في الاختفاء والخمول).

إن تزكية النفوس مهمة في الإسلام، وقد قال سبحانه وتعالى: **(يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويذكهم)** (البقرة/ ١٢٩). - تتزكى النفوس عن طريق العلم والإيمان - والسبب في إعطاء هذه الأهمية لتزكية النفوس في الإسلام ينبع من أن الهدف من هذه التزكية هو تقويم سلوك الفرد وتحقيق الصحة النفسية له وشعوره بالراحة والاطمئنان.

النظريات النفسية والثقة بالنفس:

منذ زمن بعيد نال موضوع الثقة بالنفس اهتمام الباحثين على اختلاف آرائهم وجاءت نظريات مختلفة تلتقى في أكثر المواقف التي تتعرض للتنشئة الاجتماعية مع النظرية الإسلامية نذكر منها ما يلي:

أكدت النظرية التحليلية Analytic على خبرات الطفولة السابقة التي يتعرض لها الفرد، ولا ننسى الحديث الشريف عندما شجع النبي (صلى الله عليه وسلم) المربين والآباء على الاهتمام بمرحلة الطفولة الأولى وذلك بجعل الطفل سعيداً بقوله: (لاعبوا أولادكم لسبع) أي أن الطفل في هذه الفترة

يحتاج الى اللعب والملاحظة والحنان الذي يؤدي الى التنشئة التي تعتمد على الانسجام العائلي، كما ركزت النظرية التحليلية على الشعور واللاشعور، وكيف إن الفرد يكبت الخبرة المؤلة في اللاشعور وأيده بذلك يونك وقسم اللاشعور الى قسمين: (اللاشعور الشخصي واللاشعور الاجتماعي).

لقد تعرض القرآن الكريم في عدة آيات كريمة الى الشعور واللاشعور، وقد يكون أصحاب تلك النظرية استفادوا من تلك الآيات، ذكر يونك بأننا نخاف من الظلام لأننا تعرضنا الى خبرة مخيفة في الظلام، كما تطرق الى أن هناك عاملين مهمين يؤثران على اتجاهاتنا هما: العامل الداخلي الذي يتضمن أفكار الفرد، والعامل الخارجي الذي يشمل استجابة الفرد لأفكار الآخرين - الحقيقة جميع ما ذكر في هذه النظرية جاء بها الإسلام وفي الآيات القرآنية المختلفة.

أما أصحاب النظرية الاجتماعية التحليلية ومنهم ادلر ، وفروم ، وهورني، وسوليفان. فقد أكدوا على العوامل الاجتماعية والثقافية. وإن الفرد مخلوق اجتماعي، يدفعه شعوره الى تحقيق الأهداف الاجتماعية بالاعتماد على النفس، كما أكد فروم على شخصية الفرد التي تتأثر بمقومات المجتمع والتي تنعكس على شخصيته بشكل مباشر، أكدت النظريات على أن حاجات الفرد الاجتماعية تؤدي دوراً مهماً في سلوكه وهي تتضمن الحاجة الى الأقرباء، الحاجة الى التفوق، الحاجة الى الانتماء، الحاجة الى الذاتية، الحاجة الى التعريف



نموذج من الأعمال الفنية التي أبدعتها الانامل الصغيرة

بالشخصية. ولهذا يتدفع الفرد لإظهار أفعاله أمام أفراد المجتمع الذي يعيش فيه. هناك من جعل تلك الحاجات في مراتب بناء على أهميتها. فقد قسم ماسلو الحاجات الى خمس مراتب أو مستويات هي ما يلي:

- ١ - الحاجات الفسيولوجية التي تشمل الطعام والشراب والهواء.
- ٢ - الحاجة الى الأمن والاطمئنان.
- ٣ - الحاجة الى الحب والانتماء للعائلة والجماعة.
- ٤ - الحاجة الى احترام الذات التي تتضمن الاستقلالية وقيمة الذات.
- ٥ - حاجة تحقيق الذات التي تتضمن المعرفة والتطلع الى الكمال والجمال.

الأبحاث بأن أساس القلق الذي ينتاب الفرد هو ناتج عن شعور الطفل في فترة الطفولة المبكرة بالوحدة والانفصال. قد يعود السبب في ذلك الى عدم تقبل الوالدين لطفله، أو إهمال حاجاته البايولوجية، أو حدوث نقص في العواطف التي يحتاجها الطفل كحاجته للأمن والاطمئنان، يؤدي هذا الفقدان الى أن يسلك الطفل سلوكا معينا غرضه الحصول على الحب والحنان من قبل الآخرين أو جلب انتباههم

لقد مثلت الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمن والاطمئنان حاجات أساسية ويعد إشباعها يأتي دور الحاجات النفسية التي تتضمن الفقرة الثالثة والرابعة والخامسة. أكدت الأبحاث المختلفة على أهمية العلاقة بين الأم والطفل، والتفاعل الحاصل بينهما، وتذكر تلك

اليه، يستمر الفرد في الكفاح بكل الوسائل والطرق من أجل تحقيق ذاته.

تعتبر الشخصية محصلة ناتجة من التفاعل الاجتماعي القائم بين الأفراد المزوج بالمقومات البايولوجية، لكي تتوصل الى معرفة شخصية الفرد علينا معرفة طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة بينه وبين أفراد الجماعة التي يتعامل معها، ونوعية تفكيره نحو المجتمع الذي ينتمي إليه. هناك نوع من الديناميكية تعمل على تنظيم السلوك اليومي الذي يؤديه الفرد، كمعاملته للآخرين أو أداء السلوكيات الأخرى كتناول الطعام والشراب مثلاً وما يرافق تلك العملية من ممارسات، يؤثر شعور الفرد واتجاهه وأفكاره على نشاطه اليومي وعلى نمو خياله وعلى عملية الإدراك التي تدور حول العلاقات الناتجة عن التفاعل الاجتماعي بين الأفراد منذ الميلاد ونمو تلك العملية وتطورها خلال مسيرة حياته.

أدت التربية الإسلامية دوراً مهماً في تقويم وتقييم العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة، كما إن تلك العوامل دوراً مهماً في تنمية الذات، على سبيل المثال إن ساد الحب والتعاون والتضحية بين أفراد العائلة فإنه يؤدي الى تنمية الذات وعكسه يضعف تلك التنمية، أشارت بعض البحوث الى ان العلاقة القائمة بين أفراد العائلة الإسلامية تعتمد على الاحترام والطاعة، كما أن الإسلام قد نهى عن ذكر عيوب الآخرين التي كثيراً ما تسبب لهم الحرج والانتواء (ولا تتابروا بالألقاب ينس الاسم الفسوق بعد الإيمان) (الحجرات/ ١١). وأثبتت البحوث

النفسية أن للعاهات والعيوب الخلقية تأثيرات ايجابية وأخرى سلبية على الفرد، إن أثرت بالفرد إيجابياً فإنها تدفعه الى أن يبرز في جانب معين ويكون مشهوراً في ذلك المجال، أما إن أثرت عليه من الناحية السلبية فقد تجعله يشعر بالنقص ويدفعه هذا الشعور الى تجنب المجتمع أو الانتقام منه أو الانطواء.

تأتي المدرسة بعد البيت، وإن للخبرات المدرسية الإيجابية والسلبية تأثيراً كبيراً على نوعية سلوك الفرد وعلى ثقته بنفسه. تتضمن تلك الخبرات تحقيق النجاح في المدرسة فإن واجه التلميذ نجاحاً في المدرسة انعكس ذلك على ثقته بنفسه، أما إن واجه الفرد الفشل فإن ذلك يؤدي الى تزعزع ثقته بنفسه، كما تؤثر العلاقات بين الرفاق وبخاصة تلك التي تتميز بالاستحسان أو الاستهجان، قد تعتمد تلك العلاقات على الاستحسان وتنسجم بالانسجام والقوة وتعتمد على التعاون والتضحية بحيث يؤدي ذلك النوع من العلاقة الى ثقة الفرد بنفسه، أما إذا كان العكس فإنه يؤدي الى سيادة العدوان والصراع والقلق وعدم الثقة بالنفس، وهكذا فإن علاقة الفرد بالبيئة التي يعيش فيها لها دور مهم في تنمية الثقة بالنفس، إضافة الى أن الثقة بالنفس هي العامل المهم الذي يمثل اتجاهات الفرد نحو ذاته ونحو بيئته الاجتماعية، ويحدد هذا الاتجاه إقدام الفرد نحو البيئة أو احجامه عنها، فعندما يقدم الفرد على البيئة يوصف بأنه واثق من نفسه، أما إذا أحجم عنها فهذا مؤشر لضعف ثقته بنفسه.



فإنها تقوم على مساعدة الفرد على إدراك سلوك الآخرين ونوعية العلاقة بينه وبين الذين يتعامل معهم، **أما الذات المثالية** فإنها تشمل التصورات والمدرجات التي يتمتع الفرد أن يكون عليها، عندها يستطيع أن يحدد مستقبله وطموحاته وأهدافه التي تمكنه أن يتخذ الخطوات في تحقيق ذلك، تدفع هذه الذات الفرد إلى الاستقلالية، كما تعتبر العامل الأساسي في الاستقرار النفسي عندما يحقق ذلك الاستقلال، وإن لم يستطع تحقيق ذلك الاستقلال فإنه يصاب بالاضطراب النفسي، **وهناك الذات الحقيقية** التي تعتمد على مدى القوة الداخلية التي يشعر بها الفرد وتعتبر منبع التطور واتخاذ القرارات، تلعب تلك العناصر الأساسية أو النوات دورا مهما في تشكيل سلوك الفرد، إن أي انحراف يطرأ على تلك الأسس من النوات يمكن تعديله وتغييره عن طريق إخضاعه لظروف علاجية نفسية مع المحاولات الممكنة لتعديل البيئة التي يعيش فيها الفرد، ينبغي على العائلة الحذر في معاملة الأطفال وعدم الإخلال بالتفاعل الاجتماعي الإيجابي القائم بين أفراد العائلة الواحدة.

قسم بعض العلماء الأفراد إلى **العادي** الذي يتخطى المشاكل والذي يحاول التوافق بين ذاته وبين البيئة التي يكون فيها، وإلى **الفرد العصابي** الذي يتميز سلوكه بالتمركز حول ذاته وعالمه الخاص به ينتاب هذا النوع من الأفراد الخوف والقلق والتردد في المواقف التي يتعرضون لها بسبب مشاعرهم السلبية تجاه الآخرين، بالرغم من رغبتهم في أن

تعتبر الذات أساسا في البناء الاجتماعي، ويعتمد هذا البناء على اكتساب الفرد للخبرة الاجتماعية ولا تتكون الذات بدون تلك الخبرة، وإن اختلف الأفراد فإنما يختلفون من حيث درجة تلك الخبرة ودرجة نشاطهم في استيعابها والبحث عنها، يتميز بعض الأفراد بالنشاط الديناميكي للعمل والبحث دائما عن خبرات جديدة، وإن لم يجدوا فإنهم يستمرون في البحث عنها إلى أن يتحقق لهم اكتشافها أو ابتكارها، ينبغي علينا هيئة البيئة المناسبة لهؤلاء وتشجيعهم على البحث والتنقيب عن الحقيقة العلمية، إن كان في البيت أو المدرسة، كما يلعب المستوى الاجتماعي والاقتصادي دورا كبيرا في تلك البيئة وإن لهذا المستوى أثرا في مفهوم الذات خاصة لدى المراهق.

تؤدي وسائل الإدراك المتوفرة في بيئة الفرد دورا مهما في تكوين الذات. يعتبر هذا الإدراك إطارا مرجعيا يعتمد عليه الفرد عند إصدار أحكامه على العلاقات الاجتماعية. هناك من أطلق الذات **المركبة أو الواقعية** التي تتكون من الخبرة والحاجات والسلوكيات التي يؤديها الفرد، والتي تعتمد على أفكاره المنسقة والمحددة الأبعاد، وعلى قدراته والقابليات التي تنسجم مع متطلبات المجتمع الذي هو فيه، تساعد هذه الذات الفرد على اتخاذ مكانه في المجتمع، كما تساعد على إدراك الأساليب السلوكية التي يضعها له المجتمع من خلال التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية القائمة بينه وبين أفراد المجتمع الذي يعيش فيه، **أما الذات الاجتماعية**



المكتبة من ضرورات التنشئة العقلية للطفل

يكونوا أشخاصا
اجتماعيين
وباستطاعتهم تكوين
علاقات اجتماعية،
وجد العلماء أيضا
بأن فقدان الثقة
بالنفس هو أحد
المظاهر الأساسية
للمنطويين
العصابيين، وقد
ميزوا بين الخجل

الاجتماعي الانطوائي، والخجل الاجتماعي العصابي،
فالمنطوي يميل الى العزلة وتجنب الاختلاط بالآخرين،
قد يمارس هؤلاء في بعض الأحيان دورا فعالا في
المواقف الاجتماعية إذا دعت الضرورة ولكنهم على
الأغلب انطوائيين، أما الفرد التوافقي فهو الذي
يجعل التوافق بين البيئة وذاته قائما وبذلك يتحقق
نمو الإرادة في الذات، هذا النوع من الأفراد هو
الذي نطمح إليه في تنشئة أطفالنا، كما هناك علاقة
وثيقة بين ضعف الثقة بالنفس والحساسية والخجل
وضعف الاتزان الانفعالي، توجد علاقة بين الثقة
بالنفس وبين الإقدام الاجتماعي وحسن التكيف،
كذلك بين ضعف الثقة بالنفس وسوء التكيف والميول
العصابية.

مميزات الفرد التوافق من نفسه:

يتميز الفرد الذي يحمل ثقة عالية بنفسه بما

يلي:

- ١ - يميل سلوكه الى الاتزان والتحديد والتنسيق
والتنظيم.
- ٢ - له القدرة على مقاومة المشاكل والتغلب على
المواقف الصعبة التي يتعرض لها.
- ٣ - يستطيع أن يشكل خبرات جديدة تنسجم مع
مفهومه عن ذاته.
- ٤ - له القدرة على المحافظة على ثبات وتماسك
مفهوم الذات لديه.
- ٥ - يعتمد إدراكه لنفسه وتقييمه لها على المنطق.
- ٦ - يحمل معتقدات إيجابية حول نفسه وله
محاولات دائمة لرفع شأن تلك الذات والدفاع عنها.
- ٧ - له القدرة على التوافق مع البيئة الاجتماعية
التي يعيش فيها والثبات عليها.
- ٨ - إنه لا يتخوف من مجابهة المواقف
الاجتماعية أيا كان نوعها.



الذات بمثابة العامل المشترك بين البيئة وبين طبيعة الإدراك لدى الفرد. تلعب البيئة الاجتماعية دوراً مهماً في تقوية الثقة بالنفس أو إضعافها فالفرد الذي ينشأ في بيئة مملوءة بالثقة بالنفس يكون واثقاً من نفسه.

إن إتاحة الفرص المتعددة والمختلفة للفرد للتعامل مع الآخرين هو الآخر يؤدي إلى تكوين الثقة بالنفس وتقويتها. تتأثر التنشئة الاجتماعية بعوامل كثيرة منها صحة الطفل أو عدمها، وذكائه وعدمه، وانبساطه وانطوائه. على سبيل المثال إن كان الطفل مصاباً بإحدى العاهات أو عليلاً، أو لديه بعض النقص في النمو كثيراً ما يؤدي هذا إلى تركيز اهتمام الأم على هذا الطفل لعطفها الشديد عليه. وتحاول أن تساعد في كثير من الأمور وذلك لشعورها بحاجته إلى تلك المساعدة. كما أن التطرف في التدليل والاهتمام بالطفل يؤدي إلى أن يصبح معتمداً اعتماداً كلياً على الآخرين وخاصة الأم. فعندما يواجه مشكلة لا يفكر في حلها وإنما يفكر في كيفية الوصول إلى أمه كي تساعد على حلها. مما يؤدي به أن يصبح عديم الثقة بنفسه. ويكون اتكالياً على غيره. وقد يصبح أنانياً نتيجة لتلك المواقف.

تؤدي النواحي المتعددة والمختلفة والانتقادات التي يتلقاها الطفل من الوالدين والكبار والأخوة الأكبر منه سناً إلى ضعف ثقته بنفسه أو فقدانها. كما يؤثر تكليف الطفل فوق قدراته وطاقاته إلى

٩ - يندفع إلى الانضمام إلى الآخرين من مختلف الأعمار والأجناس.

١٠ - لديه مظاهر ارتباط إيجابية وثيقة الصلة بين نمو الثقة بالنفس والنمو الجسمي والاجتماعي.

١١ - يشعر بالأمن والاطمئنان ويشبع حاجاته البايولوجية والنفسية بطريقة بعيدة عن التطرف والغضب والخوف والتوتر والقلق.

١٢ - له القدرة على اكتساب الخبرات المتنوعة والمختلفة والاستفادة منها.

١٣ - يحمل اتجاهات إيجابية نحو البيئة الاجتماعية التي يتعامل معها.

١٤ - لا يتردد في التعبير عما يدور في خلدّه.

١٥ - يمارس نشاطه الحركي والفكري بشكل مستقل.

يعتمد نمو الذات على الخبرات التي يتعرض لها الفرد في حياته، وعلى عمليات النمو في التعلم والنضج. هناك علاقة بين نمو الذات أو الثقة بالنفس والمثيرات الإيجابية التي يتلقاها عن طريق التنشئة الاجتماعية القائمة في البيئة التي يعيش فيها الفرد. لهذه البيئة الغزيرة بالمثيرات الإيجابية ارتباط وثيق بمفهوم الذات لدى الفرد إضافة إلى اتجاهاته نحو نفسه.

تؤدي توقعات الفرد وبواقعه واتجاهاته نحو ذاته دوراً مهماً في تحديد نوعية علاقته بالآخرين وتفاعله معهم، تؤثر تلك التوقعات على إدراكه للمواقف الجديدة التي يتعرض لها في حياته، تعتبر

فقدان احترام الذات وضعف الثقة بالنفس. كثيرا ما يحدث هذا بسبب جهل قدرات الأطفال أو التوقعات العالية التي تنتج عن الوالدين والمعلمين. عندما يشعر الفرد بأنه لا يستطيع مواجهة المواقف التي يجابهها من الجانب الآخر يكون الدفع عليه قويا من الآخرين يؤدي هذا الى شعور الفرد بعدم جدارته بحب الآخرين له وبالتالي يؤدي الى فقدان ثقته بنفسه وبالأخرين وبالبينة المحيطة به. فعليه ينبغي تهيئة البيئة السليمة لجعل الفرد أن يكون معتمدا على التلقائية في سلوكه بعيدا عن الأساليب الدفاعية. أما إن واجه القيود من المربين والاتجاهات المتناقضة في البيئة الاجتماعية التي هو فيها فإنه يلاقي صعوبة في التكيف مع هذه البيئة الاجتماعية. يميل الطفل الى تقليد سلوك الكبار المحيطين به. وغلب ما يقلد الأبوين. ويهتم بالعلاقة القائمة بينهما. فان شاع الاطمئنان والحب والاستقرار النفسي للوالدين فان هذا سينعكس على شخصية الطفل. ويؤدي به الى ان يكون هو الآخر مستقرا في شخصيته وسلوكه الاجتماعي والنفسي. ويؤدي هذا الاستقرار بالتالي الى حدوث التوازن في سلوكه وثقته بنفسه. أشارت الأبحاث النفسية التي أجريت على الجانحين بأن السبب الأساسي في ذلك الجنوح هو عدم شعور الجانحين بالاستقرار العائلي. وإن العلاقة العدوانية القائمة بين الأم والأب انعكست على سلوكهم وأصبحوا بالتالي هم عدوانيين. ينشد الفرد الحرية والاستقلالية منذ الصغر وينبذ قيود تلك الحرية، كما إنه يتحدى ذلك ويستمر

هذا التحدي الى الكبر. وكما من افراد ضحوا من أجل تلك الحرية. تبدأ بوادر مشاعر الطفل بالكفاءة والاستقلالية منذ الأعوام الأولى من حياته، ويظهر ذلك عندما يمارس قدراته النامية، عن طريق محاولاته التمتع بتلك الاستقلالية التي يرغب بها. ويستمر هذا التمتع ويتطور مع تطور النفس الاجتماعية. ويتم ذلك التطور والنمو تبعا لطبيعة إشباع حاجات الفرد الرئيسية المتضمنة لحاجاته البايولوجية من طعام وشراب والحاجات الاجتماعية كحاجة الفرد للأمن والراحة والاطمئنان. فإعطاء الحرية المعتدلة للطفل تساعد على ممارسة الديمقراطية في الكبر. عن طريق التنشئة الاجتماعية السليمة. كما يمكننا أن نخلق من الفرد شخصاً متعاوناً وذلك بواسطة تغذية ميله الى التعاون منذ مرحلة الطفولة. كثيرا ما نلاحظ الأطفال يهبون لمساعدة الكبار في عبور الشارع أو حمل الأشياء عنهم بالرغم من ثقلها، أو المساهمة بالأعمال المنزلية أو العناية بزهور الحديقة أو تنظيف السيارة... الخ من المواقف السلوكية التي تشير الى مدى ثقتهم بأنفسهم. يلعب نكاه الفرد دورا مهما في تكيفه وتوافق مع البيئة. يؤدي هذا التوافق الى تقوية الثقة بالنفس. فالفرد المتمتع بالذكاء والثقة العالية بالنفس، يكون من السهل عليه التوافق والتكيف مع المجتمعات المتباينة. تلعب العلاقات الاجتماعية السليمة دورا مهما في استمرار تلك الحلقة القائمة



بحيث أصبح وسيما. وعندما عاد من الخدمة العسكرية شاعت الصدف أن لا يستطيع الحصول على وظيفة أو عمل عندها عادت له الحالة السابقة وهي الزيادة في الوزن والشعور بالنقص. ومن هذا المنطلق توصلت الى أن المعاملة التي تعتمد على التسلط كثيرا ما تؤدي الى شعور الفرد بالنقص وعدم الثقة بالنفس.

الثقة بالنفس والشباب :

يحظى الشباب في جميع أنحاء العالم بالاهتمام وذلك لأنهم عماد المستقبل وعليهم المول في أخذ دفة الأمور وتسييرها. فعليه لابد من زرع الثقة في نفوسهم كي يكونوا أهلا لتحمل المسؤولية. يمر الفرد بمرحلة المراهقة التي يعتبرها البعض من اصعب وأكثر مراحل النمو تعقيدا. تلك الفترة التي تقع بين البلوغ وسن الرشد. ويتميز المراهق في هذه الفترة بالقلق الشديد لكثير من المظاهر منها مظاهر جسمه وعلاقته بالآخرين ونظرتهم له.

تؤدي العائلة دورا مهما في الحالة النفسية للشباب والمراهقين. يؤثر التفاعل الاجتماعي بين أفراد العائلة بشكل خاص وأفراد المجتمع بشكل عام في تكوين الذات لدى المراهقين والشباب. فإن اعتمدت العلاقة بين أفراد الأسرة على التفاهم والتعاون والمحبة ساد الاطمئنان والثقة بالنفس في نفوسهم أيضا. كما إن تبادل الخدمات والخبرات بين المراهقين والكبار تؤدي الى أن ينشأ هؤلاء نشأة

بين تنمية الثقة بالنفس والجرأة على ارتياد المجتمعات المختلفة بقلب قوي وخال من الخوف أو الوجل. كما تساعد على أن يتكيف مع المجتمعات الأخرى المختلفة وينسجم مع المواقف المتباينة التي يتعرض لها في حياته اليومية.

يؤدي السلوك التسلطي الذي يقع على الأطفال الى جعلهم انطوائين. هذا ما توصلت إليه من خلال الأسئلة الموجهة الى الإنطوائيين، الى انهم جميعا كانت لديهم صعوبات مع آبائهم المتسلطين أو إخوانهم الأكبر منهم سنا. وذكروا بأنهم كانوا تحت وابل من الانتقادات المتتالية من ذويهم المتسلطين بحيث جعلهم ينسحبون من الميدان الاجتماعي تدريجيا. كما يؤدي هذا التراكم الى الشعور بالنقص وفقدان الثقة بالنفس. لم يعترف بعضهم بذلك في أول الأمر والبعض الآخر اعترف وأراد التخلص منه. يتم علاج تلك الحالات بفصل هؤلاء عن المصدر الذي يسبب لهم تلك الحالة. وقد صادفت حالة من الصعب السيطرة عليها وهي أن شابا كان يفخر بأخيه وكما كانت لديه مشكلة يقول أخي يستطيع أن يحلها. وفي داخله كان يريد التخلص من وضعه الذي هو فيه. فاقترحت على الوالدين أن يفصلوا الشاب عن أخيه وشاعت الصدف أن يذهب إلى الخدمة العسكرية وأثناء تلك الخدمة نكس عما يعاينه بممارسة القسوة مع الجنود، وكان يشعر بالراحة. من ذلك بدأت تثقته بنفسه تحسن، والذي زاد في ذلك بأنه فقد من وزنه

المراهقين يصرفون الساعات الطوال أمام المرأة
يتفحصون تقاطيع وجوههم وأجسامهم.
هناك مجتمعات أخرى تركز اهتمامها على
الفتيات العقلية والتحصيل العلمي مما تجعل
المراهق يندفع لتحقيق تلك الامتيازات. وإن حقق ما
يصبو اليه المجتمع يشعر بالتقدير والقبول من ذلك
المجتمع الذي يعيش فيه. ويؤدي بالتالي الى قناعته
ورضاه عن مواصفاته مما يجعله واثقا من نفسه .
تلعب الأدوار الاجتماعية التي تعطي للمراهق دورا
مهما في تحقيق الذات وتقويتها .

فالعائلة التي تعتمد على مساعدة المراهق في
تدبير شئونها تجعل المراهق يدرك أهميته ومنزلته في
تلك العائلة. وينعكس هذا الشعور على اطمئنانه
واستقراره النفسي .

بعض التوصيات

لإعادة الثقة في النفس :

- إتباع القواعد التربوية الإسلامية في تنشئة الأبناء .
- الابتعاد عن تكليف الأطفال ما لا طاقة لهم عليه .
- إشراك أفراد العائلة كبيرها وصغيرها ومناقشتهم عند الإقدام على شراء مستلزمات للأسرة مثل السيارة أو البيت وما شاكل ذلك والمحافظة عليها .
- عدم التطرف في العناية بالأطفال والامتناع عن التدليل لأنه يضر بالفرد ضررا بالغا ويستمر هذا للكبر .

مميزة بقوة الذات وبالثقة بالنفس وبالأخريين . تساعد
هذه المواقف المراهقين على التجاح في حياتهم
العامة والخاصة . كما تؤثر قوة الذات ونموها على
مواقفهم الاجتماعية وعلى بيئتهم التي يعيشون فيها .
وتساعد على زيادة الوعي بذواتهم . وبالتالي يكونون
دقيقين في تقييم تلك الذات . يعتمد تكامل الذات على
النمو النفسي للمراهق ، وعلى صورة المثالية لديه
ولدى من يتعامل معه . يطمح المراهق وببذل جهودا
لتدعيم الذات والمحافظة عليها بكل طاقته . ويدفعه
هذا الى زيادة اهتمامه بنشاطه وخبراته وأفكاره
وتطبيقاته . إضافة الى إنه يطمح إلى الاستفادة من
خبرات الآخرين وإيجاد واستيعاب خبرات جديدة
وهي بدورها تؤدي الى تقوية ذاته ونموها . كما
يطمح الى الاستقلال عن سلطة الكبار .

تختلف نظرة المراهق عن تكوينه الجسمي كأن
يكون قويا سريع الحركة ، أو عكسه يكون ضعيفا
بطيء الحركة . أو هناك تناسق عضلي أو عدمه . . .
الى آخر ذلك من مقومات جسمية مهمة في نظر
المراهق . كما تختلف نظرة المجتمع نحو ذلك التكوين
الجسمي الذي يكون عليه المراهق . على سبيل المثال
تفضل أكثر المجتمعات أن يكون الرجل قويا مفتولا
العضل طويل القامة . وكثيرا ما تؤثر تلك المواصفات
على نظرة المراهق نحو مقوماته الجسمية وعلى
سلوكه . أما نظرة المجتمع نحو الفتاة بحيث تكون
جميلة ذات رقة ظاهرة وأنيقة متناهية . . . الخ من
صفات محببة للمجتمع بحيث تدفع الفتاة أن تكون
مواصفات مطابقة لتلك النظرة . نتيجة لذلك تجد



المشاهير والقصص التي تدور حول الصعوبات التي اجتازوها بتصميمهم.

- إقامة النشاطات المختلفة كالنشاطات الرياضية والكشفية والخيمات وإقامة الحفلات وتشجيع الأفراد على الاشتراك بها لأنها تعمل على تكوين وتقوية الثقة بالنفس.

- إتاحة الفرصة للأفراد في أن يتحدثوا عما يجول في أذهانهم دون ردهم.

- تجنب التفريق بين الذكر والأنثى في المواقف التي يمكنهم أن يعملوا بها على السواء.

- تجنب الإشارة إلى العاهات والعيوب الجسمية أو التخلف في مهارة من المهارات لأن هذا يؤدي إلى التراجع والنكوص.

- عدم الاستهزاء أو الضحك على الفرد خاصة في مرحلة السنوات الأولى التي يتعلم فيها الطفل اللغة وبعض المهارات.

- عدم التدخل في شئون الأبناء وفي الأمور الصغيرة والكبيرة.

- تشجيع التعليم للبنات أسوة بالبنين.

- ينبغي أن يكون الكبار قدوة حسنة أمام الأبناء.

- الابتعاد على الأساليب التسلطية في معاملة الأبناء.

- الالتزام باحترام المعتقدات الدينية والقيم الاجتماعية خاصة عندما نكون مع الأجانب الذين لا يعرفون عنا شيئاً.

- الابتعاد عن التطرف في إظهار مميزات الطفل أمام الآخرين لأن المبالغة لها ضررها أكثر من نفعها. وخير الأمور أوسطها.

- الابتعاد عن التبايز بالألقاب.

- تكليف أفراد العائلة في شراء بعض حاجيات البيت، وإعطائهم الحرية في اقتناء تلك الأشياء.

- إشراك الأطفال في بعض الأمور العائلية، كثيراً ما كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يستشير الصبيان في بعض الأمور ويقول: (لا يمنع أحدكم حداثة سنه أن يشير برأيه، فإن العلم ليس على حداثة السن وقدمه، ولكن الله تعالى يضعه حيث يشاء) (عمر بن الخطاب واهتماماته التربوية - خليل مصطفى أبو العينين، ج/١ - ٤٧).

- عدم توبيخ الأطفال أو وصفهم بصفات غير مرغوب فيها أمام الزملاء والضيوف.

- إتاحة الفرصة للأفراد للإطلاع على الجوانب المفيدة في البيئة الاجتماعية وذلك عن طريق الاشتراك بالرحلات الجماعية والخيمات الكشفية والنوادي وغيرها.

- إتاحة الفرصة للفرد أن يعتمد على نفسه في أداء بعض الأعمال التي تخصه خاصة في مرحلة الطفولة والمراهقة.

- إن واجه الفرد مشكلة ينبغي تركه ليحاول حلها بنفسه دون الإسراع لمساعدته. أما إن تعقد الأمر عندها يمكن التدخل.

- العمل على إعادة ثقة الأفراد بأنفسهم خاصة في مرحلة الطفولة وذلك برفعهم للإطلاع على حياة

وخيالك يأتي كنسيم

بل فوق السهد وفوق الهمس
وفوق حقوقي البشرية
كنت تقول
أشعر أني في وطني أكبر
أشعر أني حر رغم القيد
ومنع التجوال
نسمة ريح تأتي
من فتحة باب
أو من شق في نافذة
يعطيني دفء نوراً حرية
سأعود اليها مشياً
زحفاً
يحملني صوت الناي أثيراً
ياخذني حباً شعراً
ومشيت اليها
اخذك خطاك بعيداً
ووصلت البحر
ونصبت الخيمة في عتمة ليل
لم تتك الريح
ولا البارود
ولا حتى المدفع
صرت قريباً من يافا
خطوات تبعد عنك الد
للملة تهدي قبلة

هبأت الريح المشتدة
قطفت من جيد العذراء
عقوداً وردية
ألقته ارض ليأ مطوية
اخذك الريح اليها
حملتك مسافات الزمن القاسي
عبر نوافذ منسية
كالقمر تطل وتزهو
في ليلة عرس
فوق شواطئ رملية
همست شفتاك
بغزل عنري
أعطت وعداً لحيبة
ورميت بوعدك
باقة ورد عطرية
سأعود اليك
عيناك تطل ترف
وشفاك مازالت تحكي
قصة عنتر وسلامة
عشق المجنون الليلي
حب (السعدي) لارض فلسطين
قد كنت تقول
عشق الارض
كعشق النفس واكثر



شعلا خليل الكيالي

- الاردن -

تنشد فوق الفصن جناح
في ليلة حب قمرية
تحكي عنك القبرة حكايا شعرية
أحفظها أترنم مغناها
ونشيداً حلواً أزاليا
قالت عنك القبرة لاطفال الحارة
كالعشب الاخضر تنمو داخل سجن في غرة
لن يحصد هذا العشب سوى
طفل يأتي من ارض
كانت يوماً
ترقص جذلاً عند سماع القيثارة
كانت نجم سهيل
تهدي الركب لدرب الخيل
كانت كشرار يهتز
حيناً للأموج .. لصوت البحارة
لاني الفلاح سيرقص هذا العشب
سيغني للشبابه للموال العربي
جذلاً بمواسم فرح أخضر
عند شبابيك الحرية
سجل في القرطاس وصية
تقرأها الاجيال الحية
ان فرق سجن أجساداً
فالروح ستغدو كفراشة
تختال تطير مع الانغام
في الروض لها زفة لقايا .. أبدية

(وسفيرة) حب ترسلها
مع أول طلقة
للأم وللأخت وللعمة
وسمعنا أنك في السجن مقيد
صوتك رعد تهتز لقوته
جدران الصمت
أركان الأمة
ويهب ضميراً نامت عيناه المعصوية
في دفاء وعود منسية
حلمت أحلاماً وردية
وخيال يأتي كنسيم
من بين شقوق الزنزانة
من نافذة عند السطح
يطل ويكتب أسفاراً
ينشد لها أطفال الوطن الضائع
أشعاراً
قرطاسك ناي يصدر
ذهب يلمع
كلماتك نار تحرق
كل غريب في أرضي
صوتك يأتينا رغم البعد
يعطينا صبراً
يمنحنا جرحاً يمتد ويمتد كموال
يكسي الارض وروداً عنزية
قبوة تأتيها كل صباح
تسقيها ماء



التكنولوجيا وآلية التغيير في المدينة العربية

المعطيات التي غطت ميادين عديدة في المواصلات والاعلام والفضاء والصناعة والهندسة والزراعة وغيرها.

ويرتبط بالمشكلة الرئيسية مشاكل ثانوية اخرى تتعلق بمتطلبات آلية التبدل الحضري والانماط التكنولوجية المتوفرة، بين التكنولوجيا المستعارة أو المقيدة وبين المعارف المكتسبة، ومدى التطابق أو الاستجابة بين هذه التكنولوجيا وبينة المدينة العربية. ويسقي البحث وراء ذلك تحديد المسار الذي ينبغي ان تسير بموجبه مدننا العربية في المستقبل، بعيدا عن المنغصات الحضرية، وبطرق ثقافية حديثة تؤمن لها ذلك.

**** يتناول موضوع البحث تحليل مسألتين مهمتين:**

أولاهما: الانفجار الحضري في الوطن العربي وما آل اليه من مشاكل أثقلت كاهل المدن العربية، وما يتطلبه ذلك من ضرورة البحث عن البدائل الممكنة لجوانب الوهن التي تعترى تطور المدن العربية. **ثانيتهما:** تتعلق بمدى مساهمة التكنولوجيا واستخدامها في مجال اختيار البدائل الملائمة للتغيرات الحضرية المنشودة.

مشكلة البحث تكمن في كيفية التآلف والتكافؤ بين هاتين المسألتين، وبما يمكننا من تسخير المعطيات التكنولوجية في المجال الحضري، هذه

بقلم : د. محمد صالح العجيلي

أستاذ الجغرافيا المساعد - الجامعة المستنصرية - بغداد

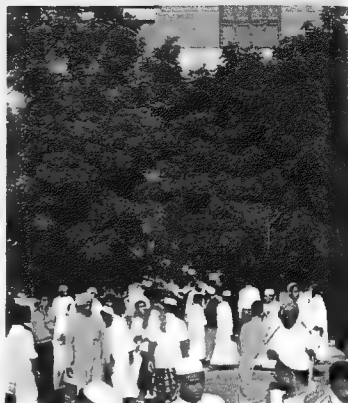
الصناعية، والعامل الحاسم في تحقيق عملية التحول الهيكلي والاقتصادي والاجتماعي، والاداة الرئيسة لسكان الحضر لتحسين احوالهم المعاشية.

ولما كانت التكنولوجيا هي اساسا وليدة المعرفة العلمية المنظمة، حينها يصبح للتعليم والتدريب ومؤسساتهما الدور المحسوس في كل حلقات التكنولوجيا من تنمية قدرات النقل والاستيعاب والتطويع والخلق والابداع الذاتي[١]. ولعل تفجر المعرفة العلمية والثقافية وتلازمهما من اوضح سمات النصف الثاني من القرن العشرين واصدقها تمثيلا لأوضاعه، فقد أدّى الى تغير جوهرى في الحياة لم تعهده البشرية من قبل.

مفهوم التكنولوجيا:

بالرغم من التباين الواضح في مفهوم التكنولوجيا من حيث الجوهر والمحتوى والابداع، الا انها على العموم تعرف في انها الاداة الاقتصادية والاجتماعية للعلم، ومن ثم هي تطبيق للعلوم لحل مشاكل محددة، وتمثل الناتج النهائي لعملية طويلة معقدة للتطبيق الاساسي للبحث والتطوير[٢]. وهي عبارة عن النظام الذي يبين الطريقة التي يؤدي فيها المجتمع وظائفه. وتعرف التكنولوجيا بانها مركب قوامه المعدات والمعرفة، أو انها بناء من المعرفة المطبقة في انتاج سلع وخلق اخرى، أو انها عنصر جوهري في الانتاج[٣].

ومهما يكن الموقف من المفهوم، يمكن اعتياد



الاسواق والمناطق السكنية في المدينة العربية

أولاً: مفاهيم اساسية:

١ - التكنولوجيا: اهميتها: تجلى اهمية التكنولوجيا كونها تمثل جزءاً من حركة المجتمع الكلية، ويمتد هذا الارتباط ليشمل مرتكزات المجتمع في ابعاده كافة: الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية والثقافية، ارتباطاً وثيقاً وعميقاً. وان التكنولوجيا وهي ذلك الجزء من المجتمع الذي يخلقه، قد تحولت بدورها الى زخم يصيره، وانها في الوقت ذاته قد اثبتت كونها وسيلة هيمنة لمن يتميز في خلقها ويستحوذ على نتائجها. وفي كل الاحوال، حق عليها القول: ان من لا يمتلك ناصيتها، يرتعن مستقبله بمن يديرها.

وعلى الصعيد التنموي، هناك ترابط عضوي بين التكنولوجيا والتنمية ولعدة اعتبارات منها: ان التكنولوجيا تمثل شرطاً ضرورياً لبناء القاعدة

من الفلسفة الاجتماعية الشاملة التي تحكم منظومة المجتمع الكلية. وتمثل المدينة الحيز الذي تطبق فيه المنطلقات الفلسفية للتكنولوجيا، وسكان المدينة يمثلون الاداة التي تقوم بهذا التطبيق ونشره.

ومن بين المنظومات الفرعية الاخرى، تتميز منظومة التكنولوجيا من انها منظومة رائدة واساسية، يستند اليها ادراك المجتمع لمشاكل نموه وتطوره، فيقوم وبأسلوب علمي بدراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية ويكتشف العلاقات فيما بينهما، ويصوغ القوانين التي بدونها يكون النشاط العلمي الواعي مستحيلا، ومن هنا تبرز اهمية العلاقة بين منظومة التكنولوجيا (الثقافة) والمشروع الحضاري الذي يتبناه المجتمع[٥].

ولما كانت المدينة عبارة عن جهاز كبير معقد ومفكك الاوصال، معداتها جسيمة، جامدة ومكلفة، وانها تبطل بمعدل ينذر أن يقل عن العشرات من السنين، وقد يكون معدل البطلان في بعض الاحيان سالبا حين تصبح المعدات بمرور الوقت ذات قيمة اعلى. ثم ان الزيادة في سكان المدن مستمرة بوتيرة متصاعدة ويصعوبها يزداد الضغط على المكونات المادية للمدينة، وفي ذات الوقت تقل فاعليتها في تلبية حاجات السكان. مقابل ذلك، لم تعد هناك وسيلة امام المدينة دون ان تقوّل العلم وصناعته، وابداع تقنية تطبيقه كانت الريادة فيها لحضارات الشرق القديم. خصوصا في مصر القديمة وفي بلاد ما بين النهرين[٦].

ومن التقنيات المبكرة التي اعتمدتها المدينة العربية الاسلامية هي في اختيار العرب المسلمين لمواضع المدن، اذ كانوا يأخذون بنظر الاعتبار تنظيم

التكنولوجيا عملية ديناميكية مستمرة تتضمن ترابط اربعة عوامل: المعرفي وهو نتاج العلم، الابتكاري وهو تعبير المهارات والابتكار، المادى وتمثيله المنقول من سلع وخدمات، التطبيقي وتجسيد استخدامه في العملية الانتاجية.

سمات التكنولوجيا:

تمتاز التكنولوجيا بالعديد من السمات أهمها[٤]:

١ - أصبحت تشتمل على جميع المراحل المتكاملة لعملية الانتاج.

٢ - ظهور الطاقة كاحدى الادوات الفعالة في الانتاج.

٣ - إن المدة الزمنية اللازمة ما بين الاكتشاف العلمي وتطبيقه قد تضاعفت الى حد كبير.

٤ - إن العمر الزمني لاستخدام التكنولوجيا قد قصّر، ورتّب على ذلك ابدال التقنيات القديمة بأخرى جديدة، او تطوير القديمة بالابدال الجزئي بسرعة كبيرة، وتسمى هذه الظاهرة «بالتقادم التكنولوجي».

٥ - تزايد أهمية المعلومات - صناعة كانت او زراعة او اجتماعية أو سياسية أو علمية - وتزايد ربحية صناعة المعلومات.

٢ - العلاقة بين التكنولوجيا والتحضّر:

يعتبر المجتمع منظومة كلية تتكون من منظومات فرعية جميعها متساندة مع بعضها، وتتسق من خلال الادوار التي تؤديها. وترتبط المنظومات الفرعية مع المجتمع الكلية، وفلسفة التكنولوجيا جزء

والمواجهة لمهب الريح له علاقة بالتلوث وبمراعات الظروف الصحية والابتعاد عن اضرار الوبئة.

ثالثا: النمو الحضري للمدينة العربية والنمط التكنولوجي المطلوب:

كان من نتائج الثورة الصناعية، واحتكاك الشرق بالغرب ان حياة جديدة بدأت تدب في واقع المدن العربية، يتجلى ذلك في تركيز السكان في المدن، وتوطن الصناعة التي اصبحت مركز جذب لسكان الريف حيث الاجور العالية وفرص العمل المتوفرة، وشرابيين النقل بين المدن والريف وخاصة خطوط السكك الحديد التي ادت الى نشر الصناعة وتقدمها ومن ثم تحسن الاحوال الاقتصادية للسكان.

ادت هذه العوامل الى نمو مدني هائل الى درجة ان مغريات التمدن اصبحت وبالا على المدينة بعد ان عجزت من توفير كافة المتطلبات الاساسية لسكانها، خاصة وان استمرار تدفق السكان لم يقابلها زيادة متكافئة في امكانات المدينة الاقتصادية والخدمية.

وان تحقيق التكافؤ ضمن هذا السياق أمر مشكوك فيه دون اللجوء الى استخدام ثقافة ذات مستوى عال كحل حاسم لمواجهة هذا المعترك الذي يعد احد سمات تشكل المدن العربية في أواخر القرن العشرين.

ان الناس يتكيفون دائما تبعا للاكتشافات التكنولوجية المنبثقة عن حاجاتهم منطلقين في ذلك من ان التمدن عبارة عن تحصيل ما يلزم للسكان من الادوات اللازمة لتحسين احوالهم حسا ومعنى، بيد ان ادراك هذه الفكرة قلما يكون مسالة بسيطة، او على المرء ان يتصور امكانات التكنولوجيا مسبقا

الشوارع الرئيسية للمدن والشوارع الفرعية وفق اجراء هندسي دقيق، وبتراتيب دقيقة من حيث الطول والعرض لكل من الشوارع والازقة. ولم يقتصر هذا التنظيم الدقيق على الشوارع فقط، وانما روعي في ذلك ايضا وضع الخطط التفصيلية والتي تقدم من خلالها خدمات عامة لسكان المدينة، كما اورد الماوردي في كتابه (الاحكام السلطانية) «وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لربط خيولهم وقبور موتاهم»[٧]. والواضح ان هذه الاجراءات التنظيمية لم تتخذ اعتباطا، انما طبقت بهدف تسهيل مرور الناس والدواب والتغلب على مشكلة التزاحم.

وعندما اختار العرب مواضع مدنهم، وضعوا في نظر الاعتبار بعض المزايا والخصال الصحية والجغرافية من حيث خلو الموضع من الامراض والوبئة، ومدى تلائمه لانايق الناس وطبيعة حياتهم الاجتماعية، ووفرة المياه الصالحة للشرب، واعتدال المناخ ونقاوة الهواء، فضلا عن ترك متسع من الارض للخضرة والبساتين. كما وصفت المدن العربية بانها ذات تنظيم دقيق لمواقع السكن والسوق واماكن الصناعات بأن تكون خارج اسوار المدينة لابتعاد اضرار التلوث الناجمة عن وجود الصرف الباعثة لها[٨].

وفي مجال التنظيم الدقيق للتوزيع المكاني لمواقع السكن وجد العرب بأن اصلح الاماكن هو أن تقع الدور بين الماء والسوق، وأن تكون الدور شرقية والبساتين غربية، وأن تكون الدور مواجهة لمهب الريح، وعكس ذلك تكون رديئة ومولدة للأمراض. تجدر الإشارة الى ان اتخاذ المواضع المرتفعة

بسرعة، ومشاكلها تتضخم يوماً بعد يوم، ثم إن مدن العالم المتقدم قطعت شوطاً كبيراً في مضمار التحضر في مختلف جوانبه. الأمر الذي يدفعنا قدماً لتضييق الهوة بين مدنتنا العربية وبين مدن الدول التي سبقتنا في تطورها الحضاري.

رابعاً: التكنولوجيا وآلية التغيير الحضري:

المدينة نسيج متشابك من استعمالات مختلفة تنضوي تحت إطار الوظيفة والشكل اللذين يمثلان خلاصة لطبيعة هذا التشابك، ويؤدي السكان دوراً فعالاً في رسم صيغة التفاعل المكاني بين هذه الاستعمالات ضمن الحيز الحضري بعضها مع بعض من جهة وبين المدينة وأقاليمها المرتبطة بها من جهة أخرى.

لذلك، فإن آلية التبدل الحضري لا بد وأن تمر عبر مراحل لتشمل جميع التفاعلات والعلاقات والتغيرات ويتألف تنظيمي وتفاعل إيجابي وعلاقات مكانية متكافئة تصب كلها في عملية التطور المنشود.

وينتظر أن يكون للتكنولوجيا اسهاماً واضحاً ضمن سياق التغيير الحضري وفي المجالات التالية:

١- إعادة تدوير المواد الغذائية:

في ضوء الزيادة الحاصلة والمتوقعة لسكان المدن فإنها تكون عاجزة عن تجهيز نفسها بالغذاء، وعليه تصبح عملية إعادة تدوير المواد الغذائية بين المدينة والريف غاية في الضرورة، فالريف يصدر يومياً آلاف الاطنان من المواد الغذائية للنبات.

إضافة إلى مسارات كل التغيرات الأخرى المنبثقة بصورة مستقلة من التكنولوجيا بما في ذلك مضمون المجتمع المقصود والتكنولوجيا الموصوفة له.

إن نظاماً معدداً لأناس يسافرون بعربات تجرها الخيول ويتواصلون عن طريق المنياع قد لا يكون بالضرورة ملائماً لجمهور يستخدم الطائرة في تنقلاته، فليس هينا إسقاط ذلك من الحساب حتى حين يعتمد إلى تلاحم المجتمع تلاحماً تاماً واعداده للتحرك من جديد.

وعليه يجب التعامل التكنولوجي عن طريق التشابك في العلاقات، فالأغذية واللبسة والمنتجات والمواد الجديدة والصناعات الجديدة والاختلافات المكانية وتوزيع السكان أو تنقلهم مع انتاجاتهم والتبدلات في النقل والمواصلات، ليس ذات علاقة فحسب، وإنما يكون من المفيد سبر أغوار الأسلوب الذي يؤثر فيه التكنولوجيا على الأشكال الحضرية من خلال تحديدات بنوية (فيزيائية) للنمو، أو تلائم التبدلات في النقل والمواصلات وأثرهما على نمط الكثافة السكانية، أو تحديد السعة الجغرافية للمدينة، بحيث تستجيب للتطورات المتوقعة [٩].

لذلك أصبح إلزاماً دراسة هذه الآيات واعتبارها كأسس ثابتة تبنى في ضوءها صورة التغيير المنشود ضمن النظام الحضري العربي. واعتبارها نواة يتم بموجبها اختيار الانظمة والانماط التكنولوجية التي تتلاءم مع المتطلبات الحضرية للمدينة العربية وبخاصة اصلاح جوانب الوهن فيها وبما يخفف من حدة مشاكلها.

إن التأخر في انخال التكنولوجيا كوسيلة لمعالجة مشاكل المدن العربية سيكلف مدنتنا خسائر مادية وروحية وجمالية عديدة، خاصة وأن مدنتنا تنمو



جانب من مدينة جدة

التتروجين والفسفور والبيوتاسيوم - الى المدينة على شكل طعام، وفي المقابل يخلق الانسان فضلات عضوية يمكن الاعتماد عليها - في حالة نجاح المدن باعادة تدويرها - في خفض تكاليف الطاقة لاجراض تصنيع السماد،

وحياة الزراعة، وبالتالي توفير الغذاء للمدن.

ان اتمام دورة المواد المغذية، انن، هي حجر الاساس للبقاء على حياة المدن من الناحية الايكولوجية [١٠].

ويعزز الاهتمام بتدوير المواد المغذية الى ارتفاع اسعار الاسمدة، وفهم افضل للموارد الطبيعية والقيود الايكولوجية، وتحسن في تكنولوجيات او تقنيات ادارة الفضلات، فضلاً عن توفير النقد، والارض، والماء العذب لاستعمالات اخرى. كما ان اعادة تدوير ومعالجة المجارى في مزارع محيطية بالمدينة يعزز من الاكتفاء الذاتي في المدن. اذ تنتج ما لا يقل عن ستة مدن صينية ضمن حدودها اكثر من ٨٥٪ من خضرواتها، وجزءاً منها يأتي عن طريق اعادة تدوير المواد المغذية من الفضلات البشرية.

ان المشكلة التي تواجه الدول النامية بما فيها الدول العربية هي كيفية تبني ممارسات تقنية مناسبة لتقليل المخاطر الصحية الناتجة عن مياه البوابع على العكس مما هو عليه الحال في الدول الصناعية.

فوجود التربة الليلية يشكل مرتعاً للأمراض المعدية السائدة، وان استعمال التربة الليلية غير المعالجة في الزراعة يدعم انتشار الميكروبات، وليس امام المدن العربية في ظل نموها السريع وزيادة عدد سكانها الكبير سوى البحث عن استراتيجيات وتقنيات تساعد في ادارة الفضلات او اعادة تدويرها كموايد مغذية لجني الفوائد المتوخاة منها. ويمكن الاعتماد في هذا المجال على ما دأبت عليه مدن الدول الصناعية من تقنيات حديثة.

٢- الخدمات الصحية والتكنولوجيا:

تعتمد القدرة على التدخل في اي مرحلة من مراحل مشكلة صحية ما، علي المجالات العلاجية والوقائية، ولعل دور التكنولوجيا الوقائية يفوق دورها العلاجي من حيث تقليل تكلفة الصحة المعتلة، اي المعاناة الانسانية، والتكاليف الفردية والاجتماعية.

٢- مساهمة التكنولوجيا في توفير السكن:

ان معضلة ما صاحب نمو المدينة العربية قد انعكس على بنائها وهياكلها، الأمر الذي أدى بقدرتها الى ان تظل محدودة، غير قادرة على استيعاب الطاقات المتزايدة الطبيعية والوافدة، وهو ما يعرض المجتمع باستمرار ليصبح مهددا بانفجارات اجتماعية عديدة، لعل مشكلة السكن تأتي في مقدمتها لما لها من انعكاسات حادة نفسية واجتماعية على سكان المدن.

والتحدى الذي يواجهه المدن العربية في مضمار مشكلة السكن يتمثل بجانين: الأول مادي، والثاني تقني. وربما ان توفر التقانة يرتبط بتوافر قدر كاف من الموارد المالية لاقتنائها، ويصبح امر توفير السكن اللائق يرتبط بشكل لا يقبل الشك في مدن الدول العربية الغنية القادرة على شراء أو حيازة التقانة المطلوبة لهذا الغرض، وتكون مدن الدول العربية الفقيرة على النقيض من ذلك تماما [١٢].

على أية حال، فان مساهمة التكنولوجيا في حال اقتنائها تتمثل في البناء الذي يتطلب تهيئة الكوادر الفنية والهندسية، واعداد خطط البناء، وتحديد الاماكن، وتعيين مواد البناء، ونوع البناء الذي يتسجم مع رغبات السكان، فضلا عن مرافقات بناء السكن من امور تتعلق بالخدمات والمرافق العامة والبنى.

ومن جانب ثان، تجدد الوسائل التكنولوجية استعمالات الارض داخل المدينة وفقا للكثافة السكانية، وهذا يشمل ضمنا - على الأقل - بعض القيود العملية والانشائية على المدينة [١٣].

ويعد في الوقت ذاته معيارا لتحديد الحجم الامثل للمدينة والاستيعاب المقبول وبما يخفف من

وبالإضافة الى المجالين المذكورين فإن التكنولوجيا تساهم في تهيئة الكوادر البشرية الصحية والجهزة الفنية.

على ان توافر تقنيات التدخل الصحي لا يعني امكانية استخدامها في كل مكان، إذ تحدد العوامل الاجتماعية الثقافية مدى تقيلها، والتكاليف الاجتماعية، وبالتالي مدى ملاعة التكنولوجيا.

وتبغى الضرورة أن تأخذ التكلفة الاقتصادية لاستخدام تكنولوجيا معينة بعين الاعتبار تكلفة اكتساب المهارات الضرورية المطلوبة لتطبيقها، وتلك نقطة مهمة نظرا لان ندوة الأيدي العاملة الماهرة قد تشكل، حتى مع تغطية كل التكاليف الاقتصادية الأخرى، عقبة رئيسة.

ان التحدى الذي يواجهه العاملين في المجال الصحي في المدن العربية لا يتمثل في كيفية تطوير تقنيات جديدة فحسب، وإنما يتمثل أيضا في كيفية خلق، وتحسين نظم يمكنها استخدام التكنولوجيا الملائمة، أي التقنيات البسيطة، والفعالة والمقبولة، والاقل كلفة. وتمثل مواجهة هذا التحدى عاملا حاسما في التغلب على النقص الخطير في الأيدي العاملة في المجال الصحي في البلدان العربية [١٤].

تجدر الإشارة الى ان العاملين في تقديم الخدمات الصحية يجب النظر اليهم بوصفهم أدوات للتغيير الاجتماعي، وعليه يتعين ان يكون هؤلاء منتبذين للاصول والجذور الاجتماعية التي ينتمي اليها زبائنهم في كل النواحي باستثناء الكفاءة التقنية، حتى يتحقق لهم القبول، إذ ان انتشار هذه النوعية من العاملين الصحيين ملائم من الوجهة التقنية. ويقال من الوجهة الاجتماعية.

أ - استعمال الاساليب والمعدات اللازمة لتفسيخ المحتوى العضوي للنفايات تحت ظروف متحكم بها وذلك لتفادي الخطر على الصحة والبيئة.

ب - استخلاص مواد النفايات غير المرغوب فيها في السماد، مع توافر ظروف بيع هذه المواد.

وإذا كان التشغيل الاقتصادي والامكانات التقنية هما المعيار الرئيسي، فلا بد من استمرار استخدام الدفن الصحي في الارض كطريقة سائدة رئيسة للتخلص من النفايات، وهذه الطريقة تختلف تماما عن المواقع التي تتناثر فيها القمامة وتتبعش فيها القوارض. والمنظر السيئ الذي يتخيله المرء، فقد أصبحت هذه الوسيلة علما بحد ذاتها، وذلك لما تتطلبه طريقة الدفن من معرفة جيولوجية وهيدروجيولوجية لمواقع الدفن، واعمال الهندسة المدنية والالات الميكانيكية المتنقلة المحسنة جدا، وهي امور غيرت من وجه هذا النظام البسيط[١٥].

٥- تأثير التكنولوجيا في شبكة النقل الحضرية:

كانت السيارة اكتشافا رائعا، وقد وصلت ذروة تطورها عند منتصف القرن العشرين. ولكن، وبعد النمو السريع للمدن زادت درجة حركيتها وزادت على اثره الحاجة الى وسائل نقل جديدة من حيث العدد والنوع، نتج عنه مشاكل لا حصر لها تتعلق بالازدحام، والاستهلاك العالي للطاقة، وتلوث البيئة. ولعل من اكثر المشاكل اثارة هو عندما يكون المقياس الحضري للسفر بمفهوم الزمن والمسافة. وفي حالة بقاء معدل المسافة ثابتا لا بد لمعدل السرعة ان يتضاعف، وهذا يعني وجوب ان تحتفظ كل مركبة بمسار خاص، اضافة الى شكل من اشكال الهيمنة الامنية الاوتوماتيكية.

العبء المالي للتكنولوجيا التي يضطرها لاستخدام تقنيات احدث في امر معالجة مشكلة السكن في المدينة وبما لا تطيقه مدن الدول النامية، أو انه لا ينسجم مع رغبات الناس في البلاد العربية في تطلهم بالاستحواذ على مواصفات البيت العربي الذي يختلف تماما عن نظام الشقق السكنية التي تعتبر المهرب الاخير لمهندسي السكن في الدول الاوربية أو الامريكية أو اليابانية.

٤- التكنولوجيا ونظافة البيئة الحضرية:

ان ضعف القاعدة التكنولوجية، وعدم استخدام الاساليب العلمية في حفظ المخلفات المنزلية وفي نقلها وفي التخلص منها أثر بشكل كبير في تفاقم المشكلات الصحية في المدن العربية. اذ تلجأ كثير من المدن الى نقل المخلفات والنفايات الى اماكن محيطية بها أو حرقها بوسائل غير متطورة وهي لا تضمن من الاحتراق توافر الشروط الصحية المناسبة. اضافة الى ذلك قد لا يتم نقل المخلفات والنفايات بالسرعة المطلوبة، أو بالوسائل المناسبة العلمية الصحية مما يساهم في تعزيز صحة البيئة.

وفي ضوء ذلك فانه باستخدام الطرق التكنولوجية يمكن تلمس خيارات جريئة ومعالجات ابتكارية بهدف استرجاع المفيد من النفايات بتحويلها الى سماد، أو ما يشق منها من حرارة وطاقة، وكوقود في صناعة الاسمنت. وهذا يتطلب معالجة ببعض الوسائل الكيميائية والتقنية.

وقد لقي تحويل النفايات الحضرية أو جزء كبير منها الى أسمدة عضوية اهتماما كبيرا في السنوات الاخيرة. ولهذه العملية مؤشران اثنان[١٤]:

هذا المقياس قد
تنبعث من اتقان
التحكم في
السيطرة. ان
السيطرة تتطلب
معرفة بحركة المرور
بدءا بدقائق
ميكانيكا الاختناق
وانتهاء بالمواصفات
المثلى لشبكة النقل
بصورة عامة.



ويمكن ان تطل

الحدائق والمتاحف تمثل الجانب الجمالي والتاريخي في المدينة العربية

نزار التقنية عن

طريق الاضافات الفنية البسيطة لشبكة الشوارع،
عن طريق زيادة القدرة على الاستيعاب، هذا الى
جانب البدائل التقنية الاخرى ذات العلاقة بانماط
شبكة الشوارع وانظمتها ومرونتها (شوارع
للسيارات واتفاق لخطوط القطارات - المترو) فضلا
عن محددات نمط وسيلة النقل (مركبات كبيرة،
واخرى متوسطة الحجم ومركبات صغيرة) اذ ان
النوع الكبير يزيد من فاعلية النقل ويقلل من حدة
الازدحام [١٧]. ويؤدي النقل الحكومي هنا دورا
كبيرا من حيث استخدامه لتقنيات النقل من خلال
مركزية ادارة النقل البلدية في المدينة.

وقبل ان نطوى هذه الصفحة لابد من الاشارة
الى ان التكنولوجيا وحدها لا يمكنها ان تحل
المعضلة الناجمة عن تزام الناس ووسائل النقل في
المدينة، دون ان تكون هناك مشاركة جماهيرية فاعلة
لها رغبة حقيقية بمعالجة أزمة النقل في مدينتهم

البدايل الممكنة للنقل الحضري عديدة، لكن
الامكانات المادية، والسعة الجغرافية للمدينة، ودرجة
التلائم مع الضرورات الفنية لاستخدامها وتسييرها
لا زالت في قيد الشكل [١٦].

ويمكن للوسائل التكنولوجية الحديثة ان تؤثر
بصورة فعالة على توقيع الفعاليات الحضرية
وتوزيعها، مثال ذلك اجهزة الاتصال بواسطة
الحاسب الآلي أو جهاز التلكس أو الفاكس التي
يتوقع ان يؤدي استعمال انتشارها على الاقل من
عدد الرحلات ما بين منطقتين، أو يحتمل ان تؤثر
على هيكل المدينة بصورة عامة مستقبلا.

ان تعيين انماط الترحال مسألة عامة، غير ان
باستطاعة التكنولوجيا ان تساهم كثيرا في جعلها
ميسرة بصورة اكثر، وليس من المتوقع ظهور شيء
جذري عن طريق المركبات الجديدة، اذ يبدو في
الحركة المرورية الشديدة، ان الشكل المنطقي الوحيد
للمسافات هو الترحال السطحي، واكبر الفوائد في

٦- التكنولوجيا والعلم :

التكنولوجيا أداة اجتماعية واقتصادية للعلم، وإنها تطبيق للعلوم لحل مشاكل المجتمع المعقدة، ثم إنها قوام المعرفة. إلا أن الإشكالية المطروحة في وجه العلم والتكنولوجيا، هي النظر في كيفية استعمال معارفنا المكتسبة لتأهيل البشر لمحاربة الفقر، والبطالة، والظلم الاجتماعي، والتمييز، وكراهية الكرامة والحقوق الإنسانية، والاستعمال المفرط للطبيعة ومواردها المحدودة [١٨].

أما ضعف منظومة العلم والتقانة النوعي، فهي لا تزال تشكو في محتواها وبنائها من آفتين كبيرتين: أولاً: ضعف ارتباط منظومة العلم والتقانة العربية كمّاً ومحتوى بحاجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة، أما الآفة الثانية فتتمثل في عدم وضوح الفلسفة التي تكمن وراء منظومة العلم والتقانة وضعف ارتباطها بالفلسفة الاجتماعية الشاملة.

أذن، دور التكنولوجيا في اصلاح العلوم والمعارف الحضريه ينبع من التطور الفكرى للمجتمع الذي هو جوهر العلم والمعرفة، باعتبار - المعرفة - هدفاً أساسياً من أهداف النهضة الفكرية والاجتماعية، ووسيلة أساسية من وسائل هذه النهضة، وتكمن فحوى هذا التوجه في فسح المجال أمام حرية الفكر والعلم، وضرورة النزول إلى حكم ما تشهد به التجربة والملاحظة، مقارنة بما يجب المرء أن يراه، أو ما جرى الناس على اعتقاده.

وبعد أن ظهرت الحاجة لتطبيق النتائج العلمية في الصناعة والزراعة إبان الثورة الصناعية، بدأت

القنوات تفتح ما بين المعاهد العلمية والمجتمع، وأدت التكنولوجيا دور الوسيط ما بين المعاهد العلمية والمجتمع، وذلك بتحويل النتائج العلمية إلى أدوات تقنية تلبي احتياجات المجتمع. وأدت هذه العملية إلى تسارع عوامل التنمية في المجتمعات الغربية وبدأ الاقتصاد يؤدي دوره في قبولية التكنولوجيا لتلبي الحاجات المحلية [١٩].

إن هناك تداخلاً وتجانساً كبيراً ما بين العلم والتكنولوجيا والقطاعات المستفيدة، سواء أكانت هذه القطاعات إنتاجية أم خدمية، وأن هناك توجهها وتخطيطاً للوحدات الأساسية للعلم والتكنولوجيا قائمان بالدرجة الرئيسية على وضوح الهدف وتوفير المتطلبات لكل وحدة علمية أو إنتاجية، وهذا جانب لا بد من الانتباه إليه عند الحاجة إلى استخدام التكنولوجيا في البلاد العربية.

وعلى البلدان العربية أن تعمل على تحقيق:

أ - تأسيس أو تعزيز الطابع الاقليمي للمؤسسات المشاركة في نقل التكنولوجيا من أجل تحقيق انتقال اكبر للخبرات التكنولوجية بين البلدان العربية.

ب - اقامة صلات وثيقة بين امكانات البحث العلمي والتكنولوجي العربي والشركات الاجنبية العاملة في المنطقة. أن نشاط البحث والتطوير نشاط خلاق يساهم بصورة فعالة في بناء قدرات ابداعية ودعم المهارات التقنية، وخلق جو يساعد على الابتكار والابداع.

ج - دعم وتشجيع العاملين في مجال البحث العلمي والتكنولوجيا.

د - التنسيق بين مؤسسات العلم والتكنولوجيا.

٧- التكنولوجيا والتغيرات الديموغرافية:

يمكن تحديد دور التكنولوجيا في هذا المجال من ناحيتين:

اولاهما: اصلاح الريف: اذ ان الاستخدام الواسع للتقنيات الزراعية ادى الى رفع المستوى المعيشي لسكان الريف الذي يعتبر احد ابرز الاغراءات لجذب سكان المدن (الهجرة المعاكسة).

اما الاجراء الثاني: فيتمثل في المدينة ذاتها في حالة محدودية نجاح المسعى الاول، من خلال تركيز الجهود والتكنولوجيا لمعالجة الثغرات الحضرية من حيث رفع كفاءة اداء المؤسسات الخدمية وبما يوفر العيش الرغيد لسكان المدن.

وفي كثير من الدول تم حساب القدرة الاستيعابية للنظام الحضري الذي يركز على العلاقات المتبادلة بين السكان وانشطتهم والبيئة المحيطة بهم. وتم الاستناد في زيادة هذه القدرة على استثمار المال والتكنولوجيا، أو في تقديم مفاجيء في التقنية [٢٠].

ولكي يكون دور التكنولوجيا ناجحا في التغيير الديموغرافي للسكان، لابد من ان تفتقر بتغيير في المهن ونمط الانتاج والاستهلاك، وربما تغيير في القيم والسلوك بالاضافة الى التغيير في التوزيع المكاني للاستثمارات والموارد البشرية.

الخلاصة :

تناول موضوع الدراسة ثلاثة جوانب رئيسية: اولها: حقيقة الجذور التكنولوجية لدى مخططي وواضعي اسس المدينة العربية الاسلامية من خلال الكشف عن الملامح التقنية التي اتسمت بها المدينة العربية في بواكير نشأتها.

اما الجانب الثاني: فقد تناول موضوع النمو المعاصر للمدينة العربية والمشاكل الناتجة عنه، وضرورة البحث عن النمط التكنولوجي المطلوب لمعالجة هذه المشكلات.

فيما ركز الجانب الثالث: على دور التكنولوجيا في آلية التغيير المنشود في المدينة العربية وفي كافة المجالات الحضرية بما يؤمن المسار الصحيح للتحضر العربي حاضرا وفي المستقبل. وتوصل البحث الى ثلاثة حقائق:

الاولى: ان المدينة العربية والتكنولوجيا صنوان يكمل أحدهما الآخر، الا ان الذي حدث هو انقطاع زمني غير محسوب بينهما أثر بشكل واضح في تأخر عوامل التطور الحضاري للمدينة العربية. الثانية: ان التكنولوجيا اصبحت تمثل سمة العصر الحديث ولا مفر من الاقتران بها بشكل أو بآخر.

وثالثة الحقائق ان مشاكل المدينة العربية وضعف تطورها لا يمكن معالجته دون اللجوء الى استخدام الاساليب التكنولوجية كضرورة ملحة للحاق بما وصلت اليه مدن العالم المتقدم.

الهوامش :

- (١) باسل البستاني، التنمية والتربية في الوطن العربي، مكتب اليونسكو الاقليمي للتربية في الدول العربية، العدد ٣، باريس ١٩٨٤، ص ٦٣.
- (٢) Hawthorne, E.P., the Transfer of Technology, OECD, Paris, 1971, P. 17.
- (٣) Hichalet, C.A., Transfer of The Technology by Transrational

- المستقبل العربي، العدد ١٤٥ آذار ١٩٩١، ص ٨٦.
- (١٣) د. محمد شهاب أحمد ود. مؤمل علاء الدين، المتطلبات الفضائية لتخطيط المدينة، مطابع التعليم العالي، بغداد، ١٩٩٠، ص ١٢٢ - ١٢٩.
- (١٤) أمانة مدينة الرياض، أساليب التخلص من النفايات واسترجاع الموارد منها، المدينة العربية، العدد ٤١، السنة التاسعة، المطبعة العصرية، الكويت، ١٩٩٠، ص ٣٧ - ٤٥.
- (١٥) محمد حسن بامانع، تطور خدمات النظافة في مدينة جدة، مجلة البلديات، العدد العشرون، السنة الخامسة، مطابع وزارة الشؤون البلدية والقروية، الرياض ١٩٨٩، ص ٥٤.
- (١٦) د. عبد الرحيم حمود الزهراني، بدائل تحسين النقل داخل المدن الكبرى مجلة البلديات، العدد العشرون، السنة الخامسة، مطابع وزارة الشؤون البلدية والقروية، الرياض ١٩٨٩، ص ٣١.
- (١٧) كلاركسن ه. - أولسبي، هندسة الطرق، ترجمة الدكتور علي سليمان حزين والدكتور طارق يوسف الريدي، دار جون وايلي وابنائهم، نيويورك ١٩٨٦، ص ٦٩ - ٧٢.
- (١٨) المهدي المنجرة، الالتحام بين العلم والثقافة مفتاح القرن الحادي والعشرين المستقبل العربي، العدد ١٣٦، حزيران ١٩٩٠، ص ٢٠.
- (١٩) Nathan Rosenberg and L.E. Birdzou : Scientific American, Vol.263, No.5, 1990, P. 18.
- (٢٠) د. فضل ايوبي، صراع المدينة والقرية في الدول النامية، مجلة العربي، العدد ٣٧٢، السنة الثانية والثلاثون، الكويت، تشرين الثاني ١٩٨٩، ص ٤٤.

Companies: Traditional VS. New forms, ECWA/UNESCO seminar purils, 1981, P.1.

- (٤) د. سلمان رشيد سلمان، العلم والتكنولوجيا والتنمية البديلة، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٦، ص ١٠٦.
- (٥) د. سلمان رشيد سلمان، استراتيجية العلم والتكنولوجيا في الوطن العربي: ضرورة أم ترف، شؤون عربية، العدد ٧٩، ايلول ١٩٩٤، ص ٣٨ - ٤٠.
- (٦) مصطفى النشار، العقلية العربية بين انتاج العلم واستيراد الثقافة، المستقبل العربي، العدد ٢٠٠، ت ١٩٩٥، ص ١١٧.
- (٧) الماوردي، الاحكام السلطانية، مصر، ص ١٩٦ - ١٩٧.
- (٨) يا قوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٤٨.
- (٩) هارون فلايشر، تأثير التكنولوجيا على الاشكال الحضرية، حاضرة المستقبل، ترجمة المهندس محمود حمدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦، ص ٧٢.
- (١٠) Joseph Lelyveld, Dutch Inaugurate Dike, a \$2.4 Billion Marvel, Hew York Times, October 5, 1986.
- (١١) د. وفيق حسونه، المتطلبات التكنولوجية والتنظيمية للشباب الدائم للهاجات الصحية الاساسية في الوطن العربي، سلسلة كتب عالم المعرفة، سلسلة رقم ١٥٠، حاجات الانسان الاساسية في الوطن العربي، الكويت، حزيران ١٩٩٠، ص ١٩٧.
- (١٢) ميلاد حنا، حاجة المواطن العربي للاسكان،



الهندسة الوراثية .. نعمة أم نقمة؟!

قبل الإجابة عن هذا السؤال نجد من المناسب أيضاً تسليط الضوء على الأسباب التي تدفعنا الى الخوف بشكل عام .. وما هو معنى ومضمون الخوف أصلاً؟

من المسلم به أننا نخاف من المجهول .. لذلك فإن الشيء الذي لا نعرف ماهيته ومضامينه، نشعر بالخوف تجاهه .. وذلك لعدم معرفتنا بما يمكن أن يؤدي إليه، وجهلنا هذا يدفعنا الى الشعور بالقلق والرفض .. وهي كلها انفعالات تابعة من احساسنا بالحرية وشعورنا بوجودنا «كأشخاص» لهم كينونتهم وصيروتهم وهويتهم .. لذلك، وكما يؤكد العالم

بادي نى بدء ، نرى من الضروري أن نجيب على السؤال الملح الذي بدأ يطرح نفسه مؤخراً منذ نشرت المعلومات المتعلقة بفك رموز الكروموسوم وبدء العد العكسي للنتائج المتعلقة بخريطة المخزون الوراثي البشري: لماذا الخوف من الهندسة الوراثية؟

واكتشاف مواد تقضي على التلوث البترولي في البحار وسواها من الاكتشافات الباهرة... كما أن هذا المجال يستخدم في الكشف عن الأمراض الوراثية المجهولة... أو لمعرفة طبيعة مرض السرطان، إذن، كل ما وصلت إليه حتى الآن يخدم الانسان بصورة ملحوظة... فما هو مصدر الخوف والخوف إذن؟

تعتبر تكنولوجيا تجزئة المورثات، وإعادة تركيبها، أعظم انتصار حققه الانسان في مجال العلم عموماً، ومجال البيولوجيا الجزيئية على وجه الخصوص حتى هذه المرحلة. ولكن هذه التكنولوجيا تحمل في طياتها بعض المخاطر الكامنة التي لا نستطيع حيالها سوى أن نتنبأ بها فحسب، ولذلك فهي تثير مخاوف جمهور الناس والعلماء على حد سواء. ولكن هناك ثمة فرق بين مخاوف إنسان يعرف الموضوع الذي يتعامل معه وبين مخاوف شخص آخر يقيم موقفه بناءً على تصورات خيالية لا علاقة لها بالواقع... وهذا هو الفرق بين العلماء وبين جمهور الناس، الذين قال عنهم «دونالد فريديريكسون» الذي كان مديراً للمعهد الصحي الأمريكي عام ١٩٧٧م: «إن الناس ينظرون الى هذه التجارب على أنها قوى مخيفة أو مدمرة تسعى إلى تغيير طبيعة الانسان... وهذا تفكير غير عقلاني». وهذا هو الفرق بين قناعات العلماء وقناعات عامة الناس، ولذلك سنتحدث في البداية عن المخاوف الواقعية أو مخاوف العلماء، ثم نتحدث عن مخاوف

«رولوماي»: (إذا لم يكن للمرء أي قدر من الحرية فإنه لن يمر بتجربة القلق أبداً)... أو كما قال الفيلسوف «كيركيغارد»: (القلق هو إمكان انجاز وتعميق الحرية)، ولكن الخوف مرتبط أيضاً بالمستقبل... أو بمعنى أدق بالجهول... فنحن نعرف الماضي واللحظة الراهنة، ولكننا لا نعرف المستقبل... ولذلك نخافه ونشعر بالقلق إزاءه. ويمكن أن نتغلب على هذا الخوف إذا عرفنا أي موقف يواجهنا، وعرفنا النتائج المترتبة على هذا الموقف، مما يساعدنا على التدخل لتغيير مجرى الأمور لصالحنا.

من هنا، فإننا حين نخاف من «الهندسة الجينية - الوراثية» بوجه عام، ونحاول أن نمارس حريتنا من خلال شعورنا بالخوف والقلق، لا نخاف مما نعرفه... وإنما مما نجهله. فهل هو خوف ليس له أساس كما يقول العالم «انجلهاردت» (لأن الهندسة الوراثية بمعناها السليبي لم تصل حتى الآن إلى ما يخيفنا، لذلك فإن التفكير فيها بهذا المعنى تفكير مستقبلي)... فما الذي نخافه من الهندسة الوراثية؟

لقد استطاعت الهندسة الوراثية - حتى يومنا هذا - أن تتوصل، بامتياز، الى معرفة التركيب الوراثي للبشر وهي تحاول، من خلال فك الرموز الوراثية، أن تصل إلى التحكم في هذه المورثات، وقد استطاعت حتى الآن أن تحقق الكثير من الانجازات ذات الفائدة العظيمة للانسانية بانتاج «الأنسولين»

**** أرى خطأ
معملي غير
مضبوب في
الهندسة
الوراثية قد
يؤدي إلى دمار
البيئة أو
البشر.**

**** السلامة
والأمن
المربطة
باجساد
التجارب
يتكفلان
الهاجس الأكبر
للعلماء.**

**** مهما كانت
الضوابط فإنها
لا تمنع من إساءة
استخدام تجارب
الهندسة
الوراثية.**

**** هل يمكن
إيجاد كائن
بشري تستعمل
السيطرة
عليه؟!**

الناس.

مخاوف العلماء :

تتخصص مخاوف العلماء في جوانب السلامة والأمن المرتبطة بإجراء التجارب، كأن يحدث تسرب خلال التجارب لجرثومة وراثية إلى خارج المختبر، تؤدي إلى انتشار وباء أو مرض أو تشكل خطورة على البيئة الطبيعية. كذلك هناك خوف من أن تتحول جرثومة وراثية مسالة إلى ميكروب يشكل خطراً على الناس، أو تنتقل خلية تشبه الخلية السرطانية، عن طريق الفم مثلاً، وخلال إجراء التجربة، مما يؤدي إلى موت الشخص. وهم لا يبنون موقفهم هذا يدون أساساً، ذلك لأن مخاوفهم هذه أعادتهم إلى خمسينيات القرن العشرين حين كانت الحكومة الأمريكية

تجري بحوثها في مختبراتها على أنواع الجراثيم المسببة للأوبئة مثل الطاعون والجذري... وسواها من الأمراض. وقد كان الهدف من هذه التجارب معرفة تأثيرها على الناس للاستفادة منها في الحروب الجرثومية. وقد تم إيقاف هذه التجارب علناً في عام ١٩٦٩م بعد معاهدة خاصة بهذا الموضوع. والمهم أن الكثير من المتطوعين أصيبوا خلال هذه التجارب بأضرار شتى.

مخاوف الرأي العام:

إن مخاوف الرأي العام مختلفة، فهي في الغالب مبنية على مخاوف تعود إلى قصص مرعبة تشبه قصة «فرانكشتين»... ويمكن إجمال هذه المخاوف بالآتي:

عالم مجنون :

يخاف البعض من وقوع هذه التكنولوجيا الخطرة بيد عالم مجنون، وهم يرون أنه حتى لو وضعت ضوابط ولوائح لمنع أي سلوك غير عادي فلن يكون هناك ضمان من أن يظهر عالم مجنون يسعى إلى تحقيق أهداف غير إنسانية رغم وجود الضوابط واللوائح، وينتج كائناً بشرياً لا يمكن التخلص منه أو السيطرة عليه، أو يجري تجاربه لتخليق جرثومة وبائية من شأنها القضاء على البشرية كلها.

سلطة دكتاتورية :

يخاف بعض الناس من أن تقع هذه التكنولوجيا في يد سلطة دكتاتورية مستبدة تسعى إلى الاستفادة من كل أنواع التكنولوجيا المتطورة على العالم.



وبهذا الخصوص يقول الدكتور فؤاد زكريا: «لو أننا تيقنا أن العلم قد اكتسب قدرات كهذه في ظل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة، فإن الاحتمالات تكون مخيفة حقاً... فمن الممكن أن تستغل الدول ذات الأنظمة العدوانية كشافاً علمياً كهذا لكي تزيد من قوة

بالتنسة الوراثية يمكن تعديل معالجة أمراض الجين وتشوهات - بإذن الله

بالمنا في بداية التاريخ، إذ كانت النار تعتبر شيئاً مخيفاً، فقد كان التقاء الإنسان بها عملية مخيفة في البداية، ولكن النار نفسها كانت ذات قيمة كبيرة، بحيث أصبح من الصعب فيما بعد الاستغناء عنها». ونحن الآن نسلك نفس السلوك بدون محاولة معرفة الفوائد التي يمكن أن نجنيها من هذه التكنولوجيا. وإذني أرى أن المشكلة ليست بوجود هذه التكنولوجيا أو عدم وجودها، وإنما بالمجتمع الذي سيستخدمها، فإذا كان مجتمعاً مسالماً مفتحاً على العالم، فإنه دون شك سيسعى إلى خير البشرية ومنفعتهم... أما إذا كان مجتمعاً متخلفاً ومستبداً فإن الدمار سيكون مصير العالم، ومثل هذا المجتمع الأخير لا يحتاج إلى تكنولوجيا متطورة لكي يسحق إلى الخراب، فهو سيحاول بشتى الطرق ويدون تكنولوجيا أيضاً أن يحقق أهدافه العدوانية.

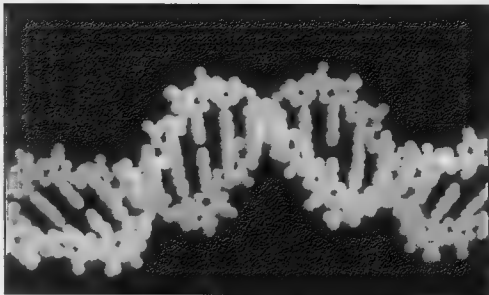
الخوف على مستقبل الأجيال القادمة:

حين أعلن العلماء عن خوفهم من هذه التجارب،

مواطنيها أو من قدراتهم على سحق خصومها بلا رحمة. ومن المؤكد أن مثل هذا الكشف لو ترك لسياسيين من النوع الذي اتخذ قرار استخدام القنبلة الذرية في «هيروشيما» لاستغلوه أبشع استغلال. ويقدم الخير الاستراتيجي «ألفين توفلر» رأياً يتفق مع هذا الرأي يقول فيه: «إن امتلاكنا لهذه المعرفة السريعة والمتراكمة من العلوم الوراثية سيجعلنا قادرين على إنتاج سلالات بشرية حسب الطلب خاصة في عالم لا تزال تسيطر عليه فكرة التعصب العنصري... وإذا تم ذلك، فهل يمكن أن نتنازل من أجل عالم يصبح فيه لون البشرية موحداً؟».

ولكن البعض لا يتفق مع هذا الرأي... أعني أنه لا يرى مبرراً يثل هذا الخوف، ويشبهه بخوف الإنسان البدائي من الظواهر الطبيعية. وهذا ما ذهب إليه «ستيفن تولن» استاذ الفلسفة في جامعة شيكاغو، حيث قال: «إن العلاقة بين الإنسان وهذه التكنولوجيا الحديثة، شبيهة بعلاقة الإنسان البدائي

الأطفال الذين ستُجْصَل عليهم... والذين لا يسمح لي بانجابهم؟ كل هذا يشعر الناس بالقلق، إذ أن هذه الأبحاث دفعتهم الى طريق المستقبل المجهول بسرعة كبيرة وقبل أن يفيقوا من الصدمة.



لو تأملنا هذا الحديث لوجدنا في ثناياه خوفاً ضمئياً على المستقبل...

«فالناس لا يعرفون ماذا ينتظرهم ولا يعرفون ما الذي ينتظر أبنائهم، ذلك لأن تكنولوجيا من هذا النوع، كما يعتقد الكثيرون، قد تصل الى هندسة الانسان نفسه... بمعنى، أن تسيطر عليه وعلى سلوكه وتحوله الى أداة يمكن التحكم بها واستخدامها، مما يعني أنه لم يعد آمناً على نفسه أو على أبنائه... أو حتى على كبار السن في المؤسسات والمستشفيات، لأن الكل عرضة للتجارب».

خسوف من نوع خاص:

ويذهب البعض الى أننا نعاني خوفاً من نوع آخر... ليس خوف علماء... ولا خوف الرأي العام،

الاطباء لا يعرفون إلا القليل عن الجينات وكيفية عملها

وسعى الشباب منهم، اعني طلبة جامعة «هارفرد» وأسانتتها، إلى عقد مؤتمر شعبي في شوارع مدينة كمبرج الأمريكية. وكان الهدف من الاجتماع، كما قال أحد البيولوجيين الشباب: «أن نشرح للناس طبيعة عملنا، لأن الناس هم المستفيدون والمتضررون من تلك التجارب».

وفي هذا التجمع تحدث أحد

الحضور عن مخاوف الانسان العادي قائلاً: «هناك الكثيرون منا قلقون وخائفون على مستقبل أبنائهم من هذه التجارب. فانا مثلاً أتساءل: ما نوع الأطفال الذين

سانجهم... أو النوع

الذي لن أنجبهم؟ أعني،

هل سيحدد الآخرون لي نوع

كل الاحتمالات مخيفة
ومرعبة في ظل الهندسة الوراثية
من دهر هوريشيا يمكنه تدوير
السرية بكاملها بعدد، التقنية الوراثية
في المراكز المتفصصة يمكنه اختيار
الجنين الذي تولده...
الهندسة الوراثية... هذا
الزمن الطامع...

السليبات؟.. قد نستطيع وضع بعض الضوابط لحل مشكلة من هذا النوع، أو نمنع الهندسة الوراثية بمعناها الموجب، ولكن لا يمكن أن نمنع الخير كله فقط من أجل بعض السليبات. ثم لماذا ينبغي علينا أن ننظر إلى المستقبل من خلال واقعنا الذي نعيشه الآن؟.. إننا نعالج فكرة مستقبلياً من خلال منظور الحاضر، وهذا يعني أننا نقيم المستقبل على أساس مفاهيمنا وقيمنا نحن وليس القيم والمفاهيم المستقبلية، لذلك قال «جون كلوفر»: (إن القرارات التي نتخذها للمستقبل قد لا تكون منصفة للأجيال القادمة، لأننا نحكم من خلال قيمنا الحاضرة). ثم من يدرينا أن الأجيال القادمة ستشعر بأن حرمتها انتهكت حين يتدخل العلم لتغيير تركيب الانسان الوراثي؟ إننا لا نعرف مدى قدرة هذه التكنولوجيا على التغيير، ولكننا دون شك متأكدين أن هذه القدرة ستأتي يوماً ما، لا في القريب العاجل، وإنما يمكن القول، بكل ثقة، أنها ستكون بيننا يوماً ما. وحين يأتي ذلك الوقت سيفهم الكثيرون عن هذا العلم، بحيث سيتقبلونه ويسعدون بتدخلاته وقدرته على تغيير مورثاتهم. وقد يجنون الكثير من المكاسب التي قد ننظر إليها الآن على أنها حلم مرعب، ولا يجب أن نخاف من الفناء. «لأن تاريخ العلم بمراحله المختلفة قدم لنا اختراعات واكتشافات كانت تبدو، في وقتها، أنها ستؤدي إلى القضاء على البشرية ككل. ورغم ذلك فما زلنا أحياء، بل إننا أفدنا من هذه الاكتشافات».

غير أن الذين يرفضون هذه التجارب لا يرفضونها، كما سبق القول، بسبب خوفهم من المساس بالإنسان بالمعنى السابق فحسب، وإنما

وإنما خوف فلسفي يجعلنا نفكر في الموضوع من زاويتين: الزاوية الأولى هي الانسان موضوع التجربة، والثانية هي العالم كإنسان مسؤول عن مستقبل الأجيال القادمة.

إن تهديد تجارب البيولوجيا عموماً، والهندسة الوراثية على وجه الخصوص، لكيان الانسان وخصوصيته من أهم المخاوف التي يثيرها المهتمون بهذا الموضوع من الناحية الفلسفية، إذ ترى كاتبة متخصصة مثل «تريزا إجلسيس»: أن دخول الانسان كعنصر أساسي في تركيب هذه التجارب يعني أن يفقد حرمة وخصوصيته وحقوقه الأخلاقية التي لا يمكن التغاضي عنها وهي تقصد بذلك أن محاولة العلماء التدخل في تغيير التركيب الوراثي للانسان وتحويله إلى كائن ذي صفات خاصة يحدونها هم، ما هو إلا تدخل في حرية الانسان واستقلاليتته، وكلها سمات تشكل عنصراً أساسياً من تكوينه الانساني. فإذا فقد حريته فقد أيضاً إنسانيته، وبالتالي تطاولنا على خصوصيته، وهو ما يخالف مبدأ «خصوصية الحياة التي تحدثنا عنها سابقاً».

ولكن الهندسة الوراثية لا تهدد الكيان الانساني إلا إذا سعت إلى تحويله إلى كائن آخر، أو حاولت التحكم بتركيبه الوراثي عن طريق تغيير سلوكه، ومن ثم يصبح إنساناً عدوانياً، أو محبطاً، أو مسلوب الإرادة، وهي كلها صفات تشكل الانسان. ولكن الهندسة الوراثية ليست كلها محاولات من هذا النوع، إذ أن هناك جوانب أخرى في هذا المجال لا يمكن إغفالها. فهل يمكن أن نمنع فائدة عظيمة ستجنيها البشرية عن طريق التوصل إلى علاج للأمراض الوراثية، فيقطن لأننا نخاف من بعض

الجامعات بحيث يمكن أن توقف أو تعطل بعض التجارب وهذا ما يخشاه العلماء... ولكن هذا لم يحدث إلا حين عرض العلماء أنفسهم للتساؤل بايقافهم التجارب التي كانوا يخشونها، مما جعلنا نتساءل عن مدى مسؤولية العلماء كأساس آخر تقوم عليه تجارب الهندسة الوراثية.

العالم بوصفه مسؤول عن مستقبل

الأجيال القادمة:

من المتفق عليه أن العالم هو العنصر الثاني الذي يشكل تجارب الهندسة الوراثية، بعد الانسان موضوع التجربة... ولما كانت تجاربه هذه تخص الانسان بشكل مباشر، فهو يشعر بالقلق دون شك، إذ أن الأمر لا يرتبط بمواد جامدة أو كائنات حية من فصائل أخرى غير الانسان، بل إنه سيتعامل هذه المرة مع الانسان بشكل مباشر، مع خلاياه وأنسجته، لذلك إذا حدث خطأ فإنه يمكن أن يؤدي الى حدوث كارثة يتحمل هو مسؤولياتها الكاملة... وهذا ما دفع العلماء الى وضع لائحة تحدد سلوكهم خلال إجراء التجارب لابعاد الخوف من المجتمع، على الرغم من أن معظم العلماء على الصعيد العالمي اعتقدوا أن هذه اللوائح الموضوعية مبالغ فيها. وقد تمادى العلماء في حرصهم على المجتمع وخشيتهم عليه الى درجة أنهم توقفوا عن هذه التجارب بشكل طوعي لمدة سنة كاملة الى أن توصلوا الى اضعاف الجرثومة الوراثية التي تستخدم في تجاربهم للتأكد من زوال خطرهما.

ولكن رغم كل هذا فإنهم لم يسلموا من تدخلات

يخافون على البشرية من خطأ قد يؤدي الى هلاك الجميع، أو من ظهور ميكروب يدخل المجتمع ويؤثر عليه تأثيراً طويلاً، قد يظهر بعد سنوات عديدة ويصبح من الصعب بعدها القضاء على الوباء.

هذا ما أفركه المجتمع وكل المؤسسات التي اهتمت بالموضوع، والمهتمون بمجال الأخلاق العلمية، الذين لم يكتفوا بدراسة تأثير هذه التجارب على الانسان، بل إنهم ذهبوا الى حد أخذ دور الرقيب على العلماء وعلى تجاربهم... إذ أن مؤسسات أمريكية مثل مؤسسة «هاسنجر» ومؤسسة «كيندي للأخلاق البيولوجية» ومؤسسات عالمية أخرى مثل «مجلس المجتمع والعلم» وكلها مؤسسات كانت مهمتها منذ ستينيات القرن العشرين، دراسة التطورات التي تحدث في هذا المجال وكتابة البحوث عنها، وكانت، ولا تزال، تقوم بدور الرقيب والوسيط بين المجتمع والعلماء، الى درجة أنه أصبح لها دور كبير وفعال في الجامعات والمنشآت العلمية، لذلك قالت الكاتبة «جون جودفيلد» معلقة على هذا الدور:

«إذا كان على العلماء أن يشعروا بالقلق، فإنهم يجب أن يخشوا هذه المؤسسات لما لها من دور فعال في الجامعات والمؤسسات العلمية التي تقوم بها البحوث في مجال الهندسة الوراثية». بل إنه يمكن القول أن هذه المراكز تسعى الى التقريب بين وجهتي نظر العلماء والرأي العام، وتشرح للجمهور ما يمكن أن يخفى في هذا المجال، ولذلك فهي تتابع التطورات أولاً بأول، وتفتح صفحات دورياتها للعلماء والفلاسفة معاً ليوضح كل منهم موقفه. إذن، هذه المؤسسات لا تشكل خطورة على العلماء إلا بقدر ما قالت به «جون جودفيلد» بمعنى أن لها كلمة فعالة في

الامتساخ الحيوي: نظرة مستقبلية:

في دراسة هامة بعنوان «كابوس الرغبة» نشرت في المجلة العلمية المتخصصة (Scientific Horizons) بتاريخ ١١/٨/٢٠٠٠م جاء فيها: (إن الخبراء في جامعة أيسالا السويدية تمكنوا مؤخراً من انتاج نسخ أصلية جديدة لومياء طفل يعود تاريخه الى ٤٠٠ عام قبل الميلاد)، وبالطبع ليس المقصود نسخة حية، ولكن المهم في الخبر، إن كان صحيحاً، أننا أمام بوابة كبيرة على وشك أن تفتح على مصراعها لتدخلنا عالماً جديداً مرعباً، وليس عالماً جديداً شجاعاً كعالم «الدوس هكسلي» إنه عالم ستقلب فيه الموازين.. الانسان ليس الانسان الذي نعرفه، أو هكذا يبدو. وقد نجد أنفسنا في المستقبل ندخل «سوقاً» مركزياً مكتوب عليه (سوق المورثات) نختر من المورثات التي نرغب أن تكون في أبنائنا أو في الأشخاص الذين سيكونون نسخاً منا. وفي مجتمع كهذا ستكون الفرص أمام الانسان في البقاء أطول، من وجهة نظر العلماء، حيث يستطيع الانسان أن يحصل من النسخة المطابقة له بدلا من أعضائه التالفة على أعضاء جديدة.. ويمكن أن يجمد الى أن يصل الأطباء الى علاج مناسب لمرضه. أما بالنسبة لغذائه فإن حصوله على أي نوع من الطعام لن يكون مشكلة لأن الأجزاء المنقرضة من الحيوانات سيعود إحيائها بالاستنساخ.

مرجع:

Scientific Horizons, August, 2000.

الرأي العام التي توصلت إلى حدّ عقد شبه محاكمة، وجهت فيها الأسئلة لهم حول ما إذا كانت الهندسة الوراثية يجب أن تستمر أم لا؟ لقد وضع العلماء لوائح وقائية بدافع إحساسهم بالمسؤولية تجاه المجتمع، ولكن المجتمع اعتبر مثل هذه السلوك تصرفاً فردياً ليس من حق العلماء. وهنا حدث تصادم بين العلماء الذين يصرون على المحافظة على حريتهم، وبين المجتمع الذي يفكر في مستقبل الأجيال القادمة ويحاول التدخل فيما لا يعرفه.. فهل المجتمع على حق في تدخله هذا؟ أم أن العلماء على حق في رفض هذا التدخل على أساس أنهم أعلم بمستقبل البشرية؟

ولابد أن نعرف في البداية، وقبل الإجابة على هذين السؤالين، «أن أي دأرس متعمق في الحقل العلمي الموضوعي، يعرف أن تأثير العلم الأساسي يأتي من قدرته على تحليل المشاكل - بما فيها الظواهر الطبيعية - إلى أجزاء صغيرة من أجل اختبارها وإجراء التجارب عليها، مما يعني التوصل الى كمية هائلة من المعلومات عن هذه الأجزاء تساعد على التحكم فيها إن أمكن، فيما بعد.. ولكن اسوء الحظ، حين تجتمع تلك الأجزاء أو العناصر بعضها مع بعض لا يكون سلوك المجموع كسلوك أفراد تلك المجموعة كل على حدة. وهذا بالضبط ما هو حادث في البيولوجيا، لا سيما هذه التكنولوجيا الحديثة.. فقد توصل العلماء الى تجزئة الـ «د.ن.أ»، ويمكن أن يصلوا في المستقبل الى إعادة تركيبها عن طريق إضافة أجزاء من الـ «د.ن.أ» لكائنات أخرى. ولكن سلوك التركيبة الجديدة لا يمكن التنبؤ به، وبالتالي يمكن أن يشكل خطورة على الانسان».



التجربة في القرن العشرين من الوفرة الى الندرة

شهدت أوائل السبعينيات تدهورا مفاجئا ومثيرا للقلق في اقتصاديات الغذاء في العالم، حيث تضاعف المخزون الاحتياطي ليتلاشى تقريبا، وظهرت المجاعات الواسعة الإنتشار في أفريقيا وآسيا. ويرجع السبب الرئيسي لهذه الندرة الى عدة عوامل متشابكة مثل ضعف المحاصيل في الاتحاد السوفيتي - سابقا - وشبه جزيرة الهند وأفريقيا شبه الصحراوية، بالإضافة الى قرار اتخذته الحكومة السوفيتية - آنذاك - بتعويض نقص الحبوب عندها باستيراد كميات منها من

جاءت أزمة الطاقة Energy Crisis في أوائل السبعينيات (١٩٧٣) كصدمة قوية لجيل ترعرع على اقتناء الموارد الرخيصة والتكنولوجيا المتقدمة بسرعة وقد تسببت هذه الأزمة في إجراء دراسة للطبيعة المنتهية للموارد العالية ومدى قدرة التكنولوجيا على التغلب على حنود النمو. ولكن الصورة المتفيرة للطاقة لم تكن المؤشر الوحيد الدال على أن العالم يمر بمرحلة انتقال من وفرة الى ندرة نسبية في بعض المجالات الجنوبية [١].



بقلم : أ.د. سالم عبدالجبار آل عبدالرحمن

جامعة العلوم والتكنولوجيا - صنعاء

الغربية من أكبر مستوردي الحبوب في العالم، وكانت معظم المناطق الأخرى في العالم تتمتع على الأقل باكتفاء ذاتي في هذا المجال. ولكن خلال ربع القرن الأخير، قل عدد الدول التي استطاعت سد احتياجاتها من الحبوب بإنتاجها المحلي منها، واتجه المزيد من الدول إلى الولايات المتحدة وكندا لسد الفجوة الناشئة بين الطلب على الحبوب والإنتاج المحلي منها. وفي منتصف السبعينيات كانت منطقة شمال أمريكا هي المنطقة الوحيدة في العالم التي تتمتع بفائض في مواد الغذاء الأساسية وأصبحت صادراتها تشكل ثلثي صادرات العالم من الحبوب. وقد أدت هذه التبعية الزائدة للمحاصيل الأمريكية الشمالية إلى زيادة خطورة مراكز مستوردي الحبوب في كل مكان بالنسبة لأي تغير يحدث في الأحوال الجوية والتحول في السياسات الزراعية، لمنطقة مناخية واحدة [٣].

لم يقتصر التغير الكبير الذي أصاب صورة الغذاء في العالم في عقد السبعينيات على تغير المحصول المتوفر، وقد أدت هذه الاتجاهات إلى تأكيد الحاجة إلى تكنولوجيات جديدة لزيادة الانتاج في السنوات القادمة. ولكن تجارب الجيل قد بينت أن التكنولوجيات الجديدة وحدها غير كافية لضمان توفير الغذاء لهؤلاء الذين لا يستطيعون شراءه. وكان لهذه الاتجاهات نتائج خطيرة بالنسبة للموقف الغذائي في الثمانينيات وما بعدها.

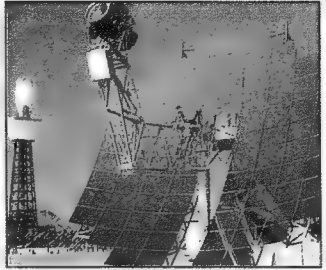
ويعتبر الماء مصدراً آخر من المصادر التي كانت وفرتها شيئاً مضموناً في العقود الأولى من القرن العشرين إلا أنه من الواضح أنها بدأت تتجه إلى ندرتها في السنوات القليلة الماضية وستزداد هذه

الولايات المتحدة. ثم ما لبثت أن تحسنت اقتصاديات الغذاء في العالم في أواخر السبعينيات بفضل سلسلة من المحاصيل الجيدة، ولكن عند بدء الثمانينيات، كانت هناك بوادر تدل على زيادة النقص في الغذاء.

ويرجع هذا التعاقب في انخفاض وارتفاع كمية الغذاء المتوفرة في أسواق العالم إلى التقلبات المناخية، ولكنه كان يخفي وراءه إتهاماً خطيراً. ففي ربع القرن التالي للحرب العالمية الثانية (١٩٤٥ - ١٩٧٣) تضاعف محصول العالم من الحبوب تقريباً، حيث قفز من ٦٨٥ مليون طن إلى ١٣٥ بليون طن سنوياً، وكانت هذه الزيادة التي لم يسبق لها مثيل من قبل كافية للإبقاء على إنتاج الغذاء متقدماً على طلب سكان الأرض المتزايدين بسرعة. ولكن عند منتصف السبعينيات، نفذ أحد المصادر الرئيسية لزيادة إنتاج الغلة حيث تم استغلال كل الأراضي المتاحة للزراعة في العالم تقريباً. وبالفعل فقد انطلقت عدة تحذيرات في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات بشأن تدهور بعض الأراضي المزروعة.

وعنى ذلك أن كل زيادة في إنتاج الغذاء فيما بعد كان عليها أن تأتي من زيادة غلة الأرض وتلك عملية صعبة للغاية، لأن كل تكنولوجيات زيادة غلة الأرض المستخدمة في العقود القليلة الماضية - مثل المخصبات، والمبيدات الحشرية والعشبية، والري - كانت تعتمد بدرجة كبيرة على الطاقة [٢].

ولقد أجمعت الكثير من التقارير الشاملة - وقتئذ - تنبئة أساسية أخرى من سمات اقتصاديات الغذاء في العالم وهي زيادة الاعتماد العالمي على شمال أمريكا. فقبل الحرب العالمية الثانية، كانت أوروبا

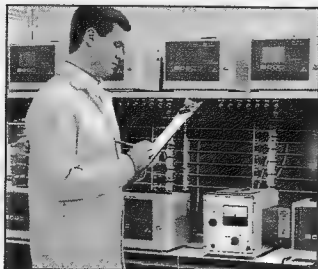


ومن المحتمل ألا تكفي لسد المزيد من الاحتياجات في المستقبل. والأخطر من ذلك أن الطبقة الصخرية المائية في (أوجالالا)، وهي خزان تحت الأرض يقوم بإمداد منطقة واسعة من السهول الغربية بمياه الري، قد بدأت في إظهار علامات النضوب. ولقد ذكر الكاتب العلمي «جوننا والسن» في أحد مقالاته في -Foreign Affairs أن حوالي ٤٠٪ من الأبقار التي تتغذى بالحبيب في الولايات المتحدة تتم تربيتها في منطقة تعتمد على «أوجالالا» ولكن الدراسات الهندسية بينت أن المياه الجوفية في هذه المنطقة قد تنفد في ظرف ثلاث سنوات إلى عشرين سنة.

وليس من المفروض أن تنفد المصادر المتجددة وذلك حسب التعريف العلمي لها، ولكن خلال السبعينيات، اتضح أن المصادر المتجددة في مناطق عديدة تقع تحت ضغط هائل حيث ازداد الطلب عليها مما أدى إلى رفع الأنظمة البيولوجية Biological Systems إلى أقصى سعة إنتاجية لها، بل وجعلتها تتعدها أحيانا. وتشهد مظاهر كثيرة، مثل تدهور الأرض في مناطق عديدة من العالم وانخفاض إنتاج مصائد الأسماك والتلال المنزرعة بالأشجار، على هذه الاتجاهات. ولكن المصدر الذي حفته المخاطر «ولا تزال تحفه» بشدة في بعض المناطق هو الخشب. فقد أكتت الدراسات المتتالية أن الغابات الإستوائية أخذت تنكمش بنسبة تثير القلق تحت ضغط الطلب المتزايد على الأرض الزراعية، والعمليات التجارية المقلقة، وجمع الأخشاب للتدفئة. وقد أدى ذلك إلى بروز واستفحال مشاكل اجتماعية وبيئية خطيرة في مناطق كثيرة من العالم حيث ارتفعت أسعار أخشاب التدفئة، وازدادت عوامل التعرية في تجريد التلال من غاباتها، وانطلقت الدراسات والبحوث في وقتها مثل دراسة «العالم عام ٢٠٠٠ وغيرها» إلى القول بمثل: «أنه من المتوقع أن

النيرة أكثر في السنوات المقبلة. فما هو «رتشارد بارنيت» يقول في كتابه «السنوات اللينة» أن: الصراع على الماء شيء حتمي حيث إن الماء يُعدّ مصدراً محدوداً ونادراً، وهناك دائماً تنافس بين الذين يشربون الماء ويربون به الأرض ويستخدمونه استخداماً صناعياً. ومع ذلك فقد كان توفر الماء، مثل الطاقة، شيئاً مُسلماً به لسنوات عديدة، وبالتالي اعتبره التطور التكنولوجي بمثابة سلعة مجانية ومصدراً قابلاً للتجديد، ويمكن تجاهل تكلفته في تخطيط المشاريع الجديدة. إلا أن هذا المصدر لن تتضح قيمته الحقيقية تماماً إلا عندما تنفد الخزانات [٤].

وفي البلاد الصناعية أيضاً، ازدادت المنافسة على الواردات المائية لأجل الاستخدامات الصناعية وتوليد الطاقة والتوسع العمراني والزراعة. ومن المتوقع أن تشهد الولايات المتحدة ذات المصادر الواسعة للطاقة، والمساحات الشاسعة من الأراضي المروية والمدن الآخذة في الاتساع بسرعة، منافسة متزايدة على مصادر المياه في السنوات المقبلة، بعد أن شهدت سنواتها الماضية في نهاية القرن العشرين تنافساً حاداً، فمياه نهر كولورادو، وهو شريان المياه للجنوب الأمريكي الغربي الجاف، قد استخدمت بالكامل تقريباً،



ترتفع أسعار المنتجات الخشبية مثل أخشاب الوقود وألواح الخشب المنشورة والحوائط الخشبية والورقية والكيميائيات المعتمدة على الخشب وغيرها.. وقد تكون نتائج ذلك في العالم الصناعي مثيرة للقلق، ولكنها لن تؤدي إلى كارثة، ولكن في الدول الأقل تقدماً، حيث يعتبر الخشب ضرورة من ضرورات الحياة، سوف يؤدي فقدان مزارع الخشب إلى إجبار بعض الدول النامية على دفع أسعار متصاعدة بحدة لأخشاب الوقود والفحم، أو إلى بذل المزيد من الجهود لجمع الخشب أو محاولة الاستغناء عنه».

وكانت هناك تنبؤات بالتحول من الوفرة إلى الندرة حتى قبل حدوث أزمة الطاقة في أوائل السبعينيات، وذلك عندما نشرت دراسة «حدود النمو» في عام ١٩٧٢م [٥].

وقد تكون دراسة «حدود النمو» تتسم فعلاً بقدر من التشاؤم بالنسبة لبعض المجالات، ولكن النقص الوشيك، إن لم يكن الحالي، للمصادر القابلة للتجديد وغير القابلة للتجديد يفرض مسؤولية كبيرة على التغير التكنولوجي. فالتكنولوجيات كثيفة الاستخدام للطاقة والمضرة بالبيئة التي تطورت في عصر المصادر الرخيصة والوفيرة ساهمت في الأخرى في خلق بعض المشاكل التي ظهرت في سنوات السبعينيات. وأصبحت التغيرات في اتجاه التكنولوجيا تغيرات ملحة للغاية.

الهوامش :

- (١) التنمية الصناعية وعالم الطاقة.. آفاق للتغيير من سلسلة محاضرات الباحث التي ألقاها في جامعة Harvard الأمريكية - مايو ١٩٩٠.
- (٢) الطاقة.. والأمن الغذائي «قراءات في محاضرات للباحث» ١٩٩١ - ١٩٩٣م.

(٣) أما بالنسبة للدول العربية فإنها لا تزال تواجه فجوة في كثير من السلع الغذائية والتي من أهمها الحبوب والزيوت والسكر المكرر.. فلقد بلغت القيمة الكلية للفجوة عام ١٩٩٥م، ١١.٥٣ مليار دولار وارتفعت في عام ١٩٩٦م لتصل إلى ١٢.٢١ مليار دولار أي بزيادة قدرها ٩.٥% ثم انخفضت قليلاً عام ١٩٩٧م لتصل إلى ١٢.١ مليار دولار.

أنظر: د. يحي بكر «المدير العام للمنظمة العربية للتنمية الزراعية» المشاهد السياسي - العدد ١٩٠، ٣١ أكتوبر - ٦ نوفمبر ١٩٩٩م - ص ٣٢.

(٤) الطاقة.. والأمن المائي «قراءات في محاضرات للباحث» (١٩٩١ - ١٩٩٣م).

(٥) من بين مجموعة الدراسات والنماذج العالمية التي اهتمت بقضايا استشراف المستقبل والتي استطاع نادي روما Club of Rome إشعال أول جنواتها. كان من بين هذه النماذج نموذج روما، ونموذج ميزاروفيتش ويتسل الذي لم تختلف نتائجه جوهرياً عن نتائج نموذج فورستر ونموذج مؤسسة باريلوتشي، ونموذج ساروم Sarum وغيرها.

أنظر: «صور المستقبل العربي»، د. إبراهيم سعد الدين وآخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٢م، ص ٢١ - ٦٣.

كرم أصيل

٤٩٦ - مقدمة :

قد تقع أحداث صغيرة لرجال عظام النفوس، فيكون لها أثرها من التوجيه الخلقى إذا أخذت حقها من التدوين والذيق، لأنها بمغزاها الرائع، تُعطي مفهوما صحيحا يجب أن يحتذى، وأنا أسمع بكثير من هذه الأحداث الصغيرة، لكنى لا أجد من يقيها حقها من الإشادة والتحليل، على حين نرى من المواقف السطحية ما تدور حوله الأحاديث رياء وزلفى لمن انتسبت إليه هذه المواقف، بل ربما



شذات الذهب

اخترعت المواقف الهامشية اختراعا لتكون أداة للتقرب والنفع العاجل، لذلك رأيت أن أشير إلى مواقف قد تبدو صغيرة فى مضمونها، ولكنها كبيرة جدا في انتمائها الخلقى، وأثرها النفسى البعيد .

٤٩٧ - فكرة طيبة :

كان أحد العلماء من أئمة المساجد في القاهرة، ذا سمعة طيبة في مجتمعه لأنه يؤثر بسلوكه واتجاهه قدر ما يؤثر بوعظه وخطبه، لذلك تجمع حوله المريدين من كل صوب، ورووا عنه الأعاجيب في إثارة وتواضعه وتفانيه في قضاء حاجات المعوزين، وقد سافر أحد هؤلاء المريدين الى بلد عربى للتجارة ورجع غانما كاسبا فتحسن وضعه المالى الى حد لم يكن ليحلم به، ورأى أن يهدي شيخه إمام المسجد هدية تناسب قدره عند نفسه، فقدم له ثوبا كبيرا من الصوف الجيد . يحتوى على ثلاثين من الأمتار ذات الثمن المرتفع، وظن أنه سيكسب بها نفسه والمختارين من ذوي قرياه .

وصلت الهدية للإمام، وعرف أن صاحبها قد من الله عليه باليسار والنعمة، فقبلها بقبول حسن، وأخذ يفكر في أمرها على نحو يسعده حقا، فأرسل الى بعض تجار القماش من مريديه في الحي، وسأله كم يكفى هذا القدر من الصوف، إذا فرقته على من يستحق، فقال يكفى عشرة أشخاص لكل إنسان ثلاثة أمتار .

نَفْسٍ مطمئنة ونظرة عميقة تتسجَم مع الروح
الفلسفي للمادة التي يقوم بتدريسها.

تحدث عنه أحد زملائه من أساتذة الكلية بعد
رحيله مشيداً بمآثره فكان مما قال: إن الشيخ كان
يسعى جهده لقضاء مآرب ذوى الحاجة، وبخاصة
تلاميذ الكلية، فكان يخصم من راتبه الشهري مبلغاً
كبيراً لسداد مصروفات ذوى الحاجة ممن لا
يستطيعون السداد، ثم يجدُ في البحث الدائب عن
وظائف مناسبة لهم بعد التخرج ليمضوا سعداء في
طريق الحياة ومن نوانره العجيبة في هذا الاتجاه،
أن طالبين من المتخرجين سعياً إليه لينهض
بالوساطة لهما في عمل حكومي، وكان أحدهما
مقرباً منه لجده ونشاطه، واهتمامه بالبحث الجامعي
على نحو سار، أما الآخر فلم يكن يعرف عنه
الأستاذ غير أنه طالب بالكلية فحسب، وقد انتهى
مسعاه الى تيسر وظيفة واحدة لأحدهما، فجعلها من
نصيب الطالب الذي لا يعرف عنه شيئاً ولم يجعلها
من نصيب طالبه الأثير لديه.

قال الراوي: ودهشنا لذلك أكبر الدهش، وسألنا
الأستاذ عن هذا الإيثار ومدعاته في نفسه، فقال إنه
أعطى الوظيفة لمن لا يعرف، لحكمة واضحة، لأنه
بذلك سيفرض على نفسه أن يواصل المسعى لتحقيق
أمل طالبه النجيب لشدة اهتمامه به، أما لو أعطاه
الوظيفة ابتداءً فقد يتقاعس عن تلبية حاجة زميله
فتقتصر همته وهو بشر! فليأخذ نصيبه الفوري، ومن
الغد سواصل المسعى بجد ونشاط، وسييسر الله

قال الإمام: وإذا أخذته أنت لتبجعه في محلك،
وتعطيني بدله قدراً من القماش الذي يصلح للجلابيب
الخاصة بفقراء الحي من الرجال والنساء، ففكر
التاجر وقال يبلغ ثمنه ما يساوي مائة وستين متراً!
فقال الإمام: وإذا كان الجلباب خمسة أمتار
فستكسوا اثنين وثلاثين من الناس أذن؟ قال التاجر،
نعم!

فتهلل وجه الشيخ، وقال للتاجر، خذ الصوف يا
صاحبي، وهبني لنا القماش الشعبي، وسيصلك من
يحمل ورقة مني ليأخذ خمسة أمتار فحسب، وخلا
الإمام لنفسه ليكتب أسماء من يعرفهم من
المحتاجين، فأحصاهم عدداً، وبعث اليهم ليأخذ كل
محتاج ورقة عليها خاتمه، ويذهب للتاجر فيتسلم
ثوبه، وهكذا تم التوزيع في أمد قريب.

وجاء التاجر للشيخ يقول له: لم لم تُبِقْ لنفسك
ثوباً من الصوف لا يبلغ غير ثلاثة أمتار فقد تحتاج
إليه قريباً!

فقال الشيخ: لقد أخذت الصوف كله في ميزاني
عند الله يا رجل، فكيف تريد أن تنقص هذا الميزان
يوم الجزاء! إن الله قد جعلني واسطة بينه وبين هؤلاء
الناس.

٤٩٨ فلسفة حالية :

كان الإمام الأكبر الأستاذ الشيخ مصطفى عبد
الرازق أستاذاً للفلسفة الإسلامية بالجامعة قبل أن
يلى مشيخة الأزهر الشريف، وكان رحمه الله ذا

وأصل! وفعلًا لم يمض شهر حتى كانت الوظيفة في يد الطالب، لأن الشيخ لم يدخر وسعاً!
ما رأى القارئ في هذا النظر الفلسفي! بل في هذا النظر الإنساني؟

٤٩٩. شعاع من مفرقة :

كان نادى سليمان باشا بالقاهرة في أوائل هذا القرن مأوى الكبار من الباشوات، ومنهم الوزير والسفير وعضو البرلمان، وكبار القواد من رجال الجيش، ووجهاء الأعيان من الموسرين، ومن يتخذ الجلوس بالنادى، والتمتع بمأكله ومشربه وجلسائه مجال فخر ومباهاة.

وفي أمسية من أماسى الربيع الدافئة، جلس أحد الباشوات الضخام بأسمائهم وثرواتهم ووطنانهم فرأى ماسح أحذية يتقدم إليه راجياً أن يأذن له بمسح حذائه، فقام كمن لدغته عقرب، وضرب بكفه ساخطاً، فحضر المشرف على النادى، فقال له في غطرسة: ما هذا الذباب البشري؟! إننا جئنا هنا لنستريح من رؤية الرعاع!

وكان الأديب اللغوى الثري الأستاذ وحيد الأيوبي بك على مقربة منه، فشهد هذا المنظر الوقع مثلاً، وفكر فيما يغضب الباشا، ويعطيه درساً لا ينساه، فتقدم للمشرف العام على النادى، وسأله: متى يتغذى الباشا في النادى؟ فقال: إنه يتناول الغداء دائماً في الساعة الثانية ظهراً، ويكون وحيداً إلا إذا دعا في بعض الأحيان باشا من طرازه!

فقال الأستاذ وحيد: إنه يريد أن يحجز النادى مأدبة كبرى تسع (ثلاثين ضيفاً)، وأن يكون ذلك غداً في الساعة الثانية حين يهم الباشا بتناول طعامه، على أن يكون الطعام لكل ضيف من طراز ما يأكل الباشا، ولا ينحدر عن مستواه، ثم دفع الحساب جميعه ليتم الإعداد.

وفي الموعد المرتقب، حضر الباشا ليجلس وحده على مأدبته الخاصة، ونظر فإذا الأستاذ وحيد الأيوبي يتقدم ثلاثين ضيفاً من ماسحي الأحذية، ويأثم السجائر ومتسكعي الطرقات، ويدخل بهم النادى ليجلس معهم على المائدة الممتدة ذات الطول البعيد، وقد ملئت بأفخر أنواع الطعام، ففوجئ الباشا بما لم يتوقع، فقام يصرخ في وجه المشرف، ويقول له: ما هذا؟ هل نحن في بولاق! أو في الباطنية؟!

فأجاب المشرف في هدوء ياباشا: الطعام ملك لمن يقع، ووحد بك دفع المطلوب، إذا أردت طردهم فادفع الثمن لأعطى كل أكل ما يأكل به في مكان آخر، بعد أن يسمح وحيد بك! فقال الباشا إنها مهزلة! ثم خرج دون أن يأكل!

هنا تهلل وجه وحيد بك، وقال لقد أردت أن أطرده بطريقتي الخاصة، كما طرد بالأمس ماسح الأحذية المسكين! ليعلم أن القصاص عادل، وكان أحد المصورين على مقربة، فالتقط صورة المأدبة ومن عليها من البؤساء، ونشرها في الجرائد مفصلاً أسبابها، ومعها حديث واف لوحيد الأيوبي عن دواعي هذا الكرم العجيب!

٥٠٠ حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

جاءتني سيدة تبلغ الخمسين من العمر، ولم أكن رأيتها من قبل ويدها ملف يجمع بعض الأوراق، وقالت في هدوء:

أنا فلانة متزوجة من صديقك فلان وكريمة الأستاذ (ع) أحد علماء الأزهر الشريف الذين فارقوا الحياة منذ ثلاثين عاماً، وكان أبي أستاذ فلان وفلان ممن تتردد أسماؤهم يومياً في أذاعة القرآن الكريم وكانوا دائماً يزورون أبي في المنزل، وكنت صغيرة، وأنا أشاهدهم يجلسون عند أبي حتى إلى ما بعد صلاة العشاء، ولكنني أشعر بالحرارة وأبكي، لأنني لا أسمع اسم والدي وهو أستاذ الجميع، (هكذا قالت) وقد تحدثت مع أستاذ فاضل في ذلك، فقال لي إنك (تريدين) تكتب دائماً عن الراحلين من العلماء، وتذيع عنهم أحاديث كثيرة. فترددت أن أفاجئك بالزيارة على غير معرفة وشجعني زوجي، وقال إنه صديقك، ولابد أنك ستجبر خاطري إذا عرفت صلتى به، ومعني أوراق كثيرة تحمل بعض مقالاته فلعلك تقيدها منها، وتكتب عنه وترسم صورته! أخذت أتذكر ببني وبين نفسي، ما أعرفه عن أبيها، فعرفت أنه كان يشتغل بمراجعة الكتب الدينية في إحدى المطابع الشهيرة، كما كان شيخاً لبعض المعاهد الأزهرية، وله آثار تدل على فضله، ولكنه مع ذلك لا يتميز بميزة كبرى تجعله مدار حديث متصل، فسكتُ مفكراً فيما يمكن أن أقوله. وقد أعجبت بوفاء السيدة لأبيها. وقد سافرت من القاهرة إلى

المنصورة، لا شيء إلا لتبحث عن يتحدث عنه.

وبعد لحظة قالت السيدة: أذكر أن والدي، كان مريضاً، وكان الليل بارداً في الشتاء، فأوقدت وابور الجاز ليدفئ قدميه، وهو عاكف على تصحيح أوراق تجمع حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فعز علي أن يسهر هكذا وهو مريض، فقلت له يا أبي، اترك ما معك، واسترح في السرير، فالشتاء شديد البرد، ودفء الواوبر لا يكفي، فنظر إلي نظرة طويلة. وقال: يا بني متى إنني أخجل من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، حين أترك حديثه دون مراجعة، والمطبعة تنتظر المسودات في الصباح، لو كان كتاب أحد غير رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقمته!!

قالت السيدة ذلك، عقواً دون أن تقصد إثارتي - فشعرت برجفة في كياني، وقلت إن هذا الصنيع وحده، يوجب علي أن أكتب عنه، فهو أدل على معدنه من عدة مجلدات.

ذكرني هذا بالأستاذ محمد زاهد الكوثري رحمه الله، إذ كان يصحح كتاباً في التفسير أو الحديث - لا أذكر - وقد كان في احتياج شديد للمال، فهو غريب في مصر ولا وظيفة رسمية يأكل منها، وقد عرض عليه صاحب المطبعة مبلغاً نظير قيامه بالتصحيح، فأبى وأصر، وقال كلمته الشهيرة لصاحبه:

أخشى أن يضيع ثواب الآخرة بما أخذه منك! رحمه الله!

مسك

الخطام

لم تبلغ شاة (أشعب) في الشهرة مبلغ شاة (سعيد) ، لأن الله لم يسخر لها من يصفها الأوصاف الضاحكة التي تعلق بأذهان الناس ، كما توافر ذلك لشاة (سعيد) ، التي كتب فيها الحمديتي مجموعة من المقطوعات الشعرية الساخرة ، ولتذكير الحمديتي نقول : هو إسماعيل بن إبراهيم بن حمديتي ، وفي (الأعلام ١٠/٢٧٧) : الحمديتي ، نسبة إلى أجداده ، وفي زهر القريب للحميري ٨٠٤/٢ تحقيق الجاهلي ط ٢ : الحمديتي ، والخطام سهل - فيما نحسب - توفي بالعراق سنة (٢٦٠ هجرية) ، وإذا كنا في (شاة سعيد) قد وقفنا أمام ظاهرة النخل ، والتباين في الأقدار فإننا نستطيع أن نتلقى في (شاة أشعب) مع ظاهرة أخرى ، هي ظاهرة الطمع ، التي هي في اعتقادنا مترتبة على شيوخ البخل وانتشار القوارق الالفة .

وأشعب الشخصية معروفة ظهرت بالمدينة المنورة ، من موالى عبدالله بن الزبير ، تأنيب وروي الحديث ، وكان مع ذلك يجيد القتال - (الأعلام ١٠/٢٢٢) ، عرف بالثقة وخفة الروح ، وقد نسبت إليه حكايات وطرف كثيرة ، لم يدخل أكثرها من النخل والوضع ، حتى غدا شخصية شعبية ، تشبه شخصية جحا بحيث يضع الكثير من جوانب تاريخه الصحيح . وهو إمام الطفيليين وأولهم في التطفيل ، قيل له ذات مرة (ثمار القلوب ص ٢٧٧) هل رأيت أطمع منك ، قال : نعم ، شاة لي صنعت في السطح ، فظفرت إلى قوس حُر ، فقفزت حبل قف ، فقفزت إليه ، فسقطت ، فاندقت عنقها . ومن ثم ضرب بها المثل في الطمع كما كان يضرب المثل لصاحبها ، وإلى هذا التمثيل أشار ابن السكاج في قصيدته التي كتبها في زوج حين سقطت من السطح وماتت ، حيث قال :

علمنا الله عنفسا ، انها يوم وقعت

أجل فليس في التراب مفسد

ولو انها لمعتل لكن مصابها

أغف على قلب العشرين المفسد

التي أن قال بعد اتهامها بما لا يجوز :

فصارت حميئا شاع بين مصنف

يحققه علمنا ، ويحب مكذب

هو الطمع المؤنوه إليها يحنها

ومن يمتثل لمرسر الطامع يحنبر

فصلطم ياهذا لك الله يهنها

وربك أجبر الخلل في (شاة أشعب)

وفي صحراء الجزيرة العربية أوسع عثر أحد الشعراء على ذئب صغير ، أهملته أمه ، أو نفاه أبوه ولم يعترف بانتسابه إليه ، فأنشط عليه ، وأمدت يده إليه لينقذه من الموت ، وخطط بشيائه ، وأرضعه عنها ، فلما كبر واشتد قوائمه ياد بالإسامة ، وتعين غفلة من صاحبها فعدا عليها ، وبقر بطن ما كانت ترضعه ، ثم لاذ بالفرار ، فقال الشاعر يصف تلك الحادثة بكل حزن وأسى ، ويلتمس منها العظة والعبرة ، خاطبا ذلك الذئب :

بقوت شويحتي ، فوجعت قلبي

وأنت لشيء - اتنا ولد ريب

تسخطك مع السفسال وأنت جسر

فسمعت أنبهاك أن أباك لبيب

إذا كان الطبع طبعاع سسوي

فسلادب ففسيسيد ، ولا ألب

وكم من ذئاب بشرية سلكت مثل هذا المسلك ، فكان أول ما غضت ، اليد التي اتمدت إليها بالمساعدة والعون ، في مجال الوظائف والأعمال ، أو في ميدان التجارة والأموال ، ولعمري إنها النذالة قد يمسك عنها حتى بعض الحيوان ، فقد يعثر الذئب فيما فقهه مع الشاة ، لأنه تصرف من خلال طبيعه وسجيته ، وكان على صاحب الحيوان أن يدرك ذلك ، ويتصرف على أساسه ، ولكن ما عثر الإنسان ، والعقل يعلمي عليه أن يكون وفيًا لمن أحسن إليه ، يارأ بمن دله يوما يد العون !

وفي معنى هذه القصة جاء المثل (مسترعي الذئب) - ثمار القلوب ٢٩٦ - قال يضرب لمن يضع الشيء في غير موضعه ، ويأتمن الخائن ويستعين بمن هو عليه ، فيقال : مسترعي الذئب ظالم ، ومستودع الذئب ظالم . ويقف الذئب دائما شبيحا مرعيا بطارد الغنم ويهددها بالقتل ، وإنما ياكل الذئب من الغنم القاصية ، وفي مسألة الغنم - هي لك أو لأخيك أو للذئب - وفي العصر الحديث كتبت قصص كثيرة للصغار والكبار تتعالج منطق الذئب واضعاف الأغنام والقطعان ، وترمز بذلك غالبا إلى علاقة المظلومين بالظالمين ، وفيما يشبه الأساطير جاء المثل (هلان ذئب أهبان) ، يضرب للشيء العجيب ، وفي كلام مالا يتكلم - ثمار القلوب ص ٢٨٦ - أما مورده فقالوا : إن رجلا يدعى أهبان بن أوس السلمي ، كان في غنم له ، فعدا الذئب على شاة منها ، فصاح بذي أهبان ليردها ، فألقى الذئب وقال له : أترع مني رزقا رزقيته إلا ؟ قال أهبان ، فصغقت بيدي تعجبا ، قلت : والله ما رأيت ولا سمعت أعجب من هذا فقال : أتعجب من هذا ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين هذه الخللات - وأومأ بيده إلى أميات المدينة - أي المدينة المنورة - يحدث بما كان ويكون ، ويدعو إلى الله عبادته قال فجنحت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخبرت بالقصة ، وأسلمت .

فكان يقال لأهبان : كظم الذئب ، كما قيل لأولاده بنو مكلم الذئب . قال الشاعر :

بسر ابن مكلم الذئب السكتسب لبس أوس

رسلح فسد ، فكنت على أمسسان

(ينظر في القصة الاستيعاب لابن عبد البر ١٠/١١٥ والأصابة لابن حجر/ ٩١)

وقال زهير الغرزي يهجو بعض ولد أهبان (ثمار القلوب ص ٢٨٧ والحيوان ٢١٧/٧)

تهددني عينا بين الثقب كلمكم

فقد لعمرى أبوكم كلم الذئب

كيف لو كلم الذئب يفسد بيته

تركتم الناس مكولا وبشرى

هذا المستحق منكم ، لا إله ولا طرف

يكلم الفيل تصعيدا وتصريحا

قال الجاحظ : في شعر زهير مخالفة ، لأن أولاد أهبان لم يدعوا أن أباهم كلم الذئب ، بل ادعوا أن الذئب كلم أباهم ، ثم أفسد فهو الذي يكلم الفيل ، والناس قد يكلمون الطير والبهائم والكلاب والسنائير وغيرها ، ويدعون ذلك مهارات كثيرة ، بما يتبرمون ، وتعلم أقدارهم أقدار بعض ، وإنما الشئ في تكليم مالا يكلم الإنسان كالذئب ، ويؤيد ذلك عجبا ، حينما يكون الحيوان هو المكلم - بكسر اللام .

يقلم :

د ، بعد العبد الخطاوي

- المدينة المنورة -

المنهل

١٦٦

كل عام
وانتم بخير

الكشاف السنوي

لموضوعات

مجلة المنهل

للعام

١٤٢٢ هـ

٢٠٠١ - ٢٠٠٢ م

المجلد ٦٣

للعام ٦٧

الموضوع	الكاتب	١٤٢٢هـ - ٢٠٠١/٢٠٠٢م	ج	ص / ص
أدب محام:				
الأمير الشاعر عبد الله الفيصل وديوان يحيى الحرمان	جاء صبري شماس	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٢٩-٢٦
الأمير عبدالله الفيصل .. شاعرًا	د. عبيد خيري	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٢٥-١٨
أيام عربية في شبه القارة الهندية (إنشودة الأديب العربي في المغرب)	عبدالقادر سيف الاسلام	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	١١٣-١٠٨
الشاعر السوداني أحمد محمد صالح	د. عبيد خيري	المحرم وصفر/ مارس وأبريل	٥٧٣	٥٧-٥٤
الشعر في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم)	طه عبدالرحمن	الرييमान/ مايو ويونيه	٥٧٤	٧٩-٧٦
العلاقة الزوجية في الشعر الجاهلي	د. محمد عثمان الملا	جمناء الأولى والأخرى/ أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	١٢٥-١١٨
قراءة في قصيدة الشاعر الفطيم	عبدالله بن ناصر العويد	المحرم وصفر/ مارس وأبريل	٥٧٣	٥٣-٥٠
الملك عبدالعزيز ويوم عث التهنئة الأدبية في المملكة	د. عزت محمود علي الدين	الرييमान/ مايو ويونيه	٥٧٤	٥٩-٤٨
من رواد الأدب السعودي الأمير الشاعر عبدالله الفيصل	د. محمود محمد ليدة	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٣٧-٣٠
حوادث أدبية:				
أحماض أدبية (١٣) «مقواعد المستور في فرائد الفكر»	د. أحمد عطية السعودي	المحرم وصفر/ مارس وأبريل	٥٧٣	٧٩-٧٦
أحماض أدبية (١٤) «تحذير السليم من الأيس كريمة»	د. أحمد عطية السعودي	الرييमान/ مايو ويونيه	٥٧٤	١٢٣-١٢٠
أحماض أدبية (١٥) «إغناء الفقراء عن أقران الفيلجرا»	د. أحمد عطية السعودي	جمناء الأولى والأخرى/ أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	٧٧-٧٤
أحماض أدبية (١٦) «الآية الباهرة في رحلة الطائفة»	د. أحمد عطية السعودي	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٦٥-٦٢
أحماض أدبية (١٧) «خطف البصر بتشعة الليزر»	د. أحمد عطية السعودي	ذو الحجة/ فبراير ومارس	٥٧٨	١٠٥-١٠٢
شذرات الذهب (٦٤)	د. أبو حسام	المحرم وصفر/ مارس وأبريل	٥٧٣	١٥٧-١٥٤
شذرات الذهب (٦٥)	د. أبو حسام	الرييमान/ مايو ويونيه	٥٧٤	١٥٧-١٥٤
شذرات الذهب (٦٦)	د. أبو حسام	جمناء الأولى والأخرى/ أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	١٥٩-١٥٦
شذرات الذهب (٦٧)	د. أبو حسام	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	١٧٥-١٧٢
شذرات الذهب (٦٨)	د. أبو حسام	ذو الحجة/ فبراير ومارس	٥٧٨	١٦٥-١٦٢
دراسات أدبية ونقدية:				
الاجتهاد مشروع حضاري «ثقافة الابداع والتجديد»	د. شلتاغ عويد	المحرم وصفر/ مارس وأبريل	٥٧٣	٦٥-٥٨
الأدب الاسلامي .. مفهومه ودلالته	سهيلة زين العابدين حماد	جمناء الأولى والأخرى/ أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	١٥٣-١٤٤
تشكيلة النقد الروائي في العالم العربي منذ روايات نجيب محفوظ نموذجاً	د. عبدالملك أشهبون	جمناء الأولى والأخرى/ أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	٣٧-٣٠
بلاغة المقابلة في كتاب «رسائل الاحزان»	عبدالله موساوي	ذو الحجة/ فبراير ومارس	٥٧٨	٦٣-٥٨

الموضوع	الكاتب	١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م / ٢٠٠٢م	ج	ص / ص
ثقافة الناقد المعاصر: مصادرها وأثرها	د. رجا عید	جمالی الأولى والأخيرة/أنطس وسنیر	٥٧٥	٢٥-٢٠
حنّا مينة وجمالية النموذج	د. محمد الباردي	ذو الحجة/فیرایر ومارس	٥٧٨	٧٥-٦٤
علم الدلالة أفق جديد في النقد الأدبي	محمود زعور	جمالی الأولى والأخيرة/أنطس وسنیر	٥٧٥	٢٩-٢٦
العنوان .. وتظهر الآخر	عبدالرحمن تبرماسین	رجب وشعبان/اکتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٦١-٥٦
لغة النبات بين الرمز والحقيقة عند العربي	د. هانم یلخیر	رجب وشعبان/اکتوبر ونوفمبر	٥٧٦	١٣٥-١٢٦
النظم بين سيبويه والجرجاني	د. محمد همام	جمالی الأولى والأخيرة/أنطس وسنیر	٥٧٥	٤٣-٣٨
للشاعر :				
أغنية للقلب	محمد علی ناصر آل توفیق	الربیعان/مايو ويونيه	٥٧٤	١٣٦
أمير الشعر «قصيدة في مدح الأمير عبدالله الفيصل»	د. زكي المحاسنی	رجب وشعبان/اکتوبر ونوفمبر	٥٧٦	١١-١٠
أبیر الشعر لمصنعي مدح الأمير عبدالله الفيصل وفي تطوير قصيدته زكي الماسني	علی حافظ	رجب وشعبان/اکتوبر ونوفمبر	٥٧٦	١١-١٠
تحية العام الهجري الجديد	محمد عبدالعزيز الحلواني	المحرم وصفر/مارس وأبريل	٥٧٢	٢٧-٢٦
تحيتي للمنهل وإلى صاحبها	بندر بن عثمان الصالح	المحرم وصفر/مارس وأبريل	٥٧٢	٦
حُجَّاج بيت الله	د. جمال محمد مرسي	ذو الحجة/فیرایر ومارس	٥٧٨	١٩-١٨
دنيا ودين	د. محمد إیاد العكاري	جمالی الأولى والأخيرة/أنطس وسنیر	٥٧٥	٤٥-٤٤
رسول الرحمة	محمد حمدان محمد السيد	الربیعان/مايو ويونيه	٥٧٤	٧٥-٧٤
سؤال إلى زهرة تنتحر	د. اسماعيل محمد محمود السبع	جمالی الأولى والأخيرة/أنطس وسنیر	٥٧٥	١٤٢
الشاعر الغد	د. بهاء بن حسين عزّی	ذو الحجة/فیرایر ومارس	٥٧٨	٧٧-٧٦
شقّ السماء بنوره	عبدالله علی الاقزم	رجب وشعبان/اکتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٤٣-٤٢
عبرات من مقلة الجرح	حسن احمد محمد الصلحی	رجب وشعبان/اکتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٨٧-٨٦
عبير الذكريات	ممنن عبداللطيف محمد عید ربه	ذو الحجة/فیرایر ومارس	٥٧٨	٢٥-٢٤
عقو الزجاجة	رشد احمد صدوق صافي	المحرم وصفر/مارس وأبريل	٥٧٢	١٥١
عيد الاضحى عيد الفداء	محمد بن محمد العلمي	ذو الحجة/فیرایر ومارس	٥٧٨	١٣-١٢
النور والديجور	د. نور الدين صمود	المحرم وصفر/مارس وأبريل	٥٧٢	٩٢
الهجرة	انعام لطفي القدوسي	المحرم وصفر/مارس وأبريل	٥٧٢	١٥٠
وحقق يا إيمان	د. بهاء بن حسين عزّی	جمالی الأولى والأخيرة/أنطس وسنیر	٥٧٥	١٣٧-١٣٦
وخيالك يأتي كنسيم	شهلا خليل الكيالي	ذو الحجة/فیرایر ومارس	٥٧٨	١٣٧-١٣٦
يا موت	عدنان أسعد	جمالی الأولى والأخيرة/أنطس وسنیر	٥٧٥	٨٢

الموضوع	الكاتب	١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م / ٢٠٠٢م	ع	ص / ص
الاستشراق والاستشراقون :				
الاستشراق - أهدافه وأثره في الدراسات العربية	د. الجيلالي حلام	الحرم وصقر/مارس وأبريل	٥٧٢	٨٤-٩١
مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية في لندن	د. ناصر عبدالرزاق الملا جاسم	الحرم وصقر/مارس وأبريل	٥٧٢	١٤-١٩
الأدلة والطائفة :				
الأسرة المسلمة .. والتحديات المعاصرة	د. هدى مصطفى محمد	نو الحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	١١٨-١٢١
التشقة الاجتماعية والثقة بالنفس	د. أمل المخرومي	نو الحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	١٢٢-١٣٥
ماذا بعد الانفصال؟	هند هرساني	الحرم وصقر/مارس وأبريل	٥٧٢	١٤٤-١٤٥
أساطير عام :				
الأشهر الحرم وحرماتها	د. عبدالله الففري	نو الحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	٢٠-٢٣
شعيرة الأمة	علاء الدين حسن	نو الحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	١٤-١٧
الصلوة معراج المسلم إلى الله	د. ماهر عباس جلال	جنادي الأول والأخر/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	١٢-١٥
الفرق بين سبل من السلام خلاصة فكره يرفعون على فائه ثقة غربية	سهيلة زين العابدين حماد	رجب وشعبان/أكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	١٥٢-١٥٩
ماذا تعلمنا من الهجرة	محمد بوراس	الحرم وصقر/مارس وأبريل	٥٧٢	٢٠-٢٥
الحديث والسنة والسيرة :				
الرسالة النبوية إلى امبرطور الروم هرقل	د. محمد عبدالنعم خفاجي	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	٨٠-٨١
القصص النبوي (٦٧) «حواء - عليها السلام»	د. عبدالباسط أحمد حمودة	الحرم وصقر/مارس وأبريل	٥٧٢	٢٨-٢٩
القصص النبوي (٦٨) «إيمان في قصة آدم - عليه السلام»	د. عبدالباسط أحمد حمودة	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	٢٤-٣٩
القصص النبوي (٦٩) «قصة الدريس - عليه السلام»	د. عبدالباسط أحمد حمودة	جنادي الأول والأخر/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	١٦-١٩
القصص النبوي (٧٠) «قصة الدريس - عليه السلام»	د. عبدالباسط أحمد حمودة	رجب وشعبان/أكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٤٤-٤٧
القصص النبوي (٧١) «قصة نوح - عليه السلام»	د. عبدالباسط أحمد حمودة	نو الحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	٢٦-٢٩
دلائل إسلامية :				
الإسلام والفنون الجميلة (١)	د. محمد عمارة	رجب وشعبان/أكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٦٨-٧٢
الإسلام والفنون الجميلة (٢)	د. محمد عمارة	نو الحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	٤٢-٤٥

الموضوع	الكاتب	١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م - ٢٠٠٢م	ع	ص / ص
بعض المبادئ التربوية في خواتيم سورة البقرة	د. صالح أبو عراك الشهري	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	٣٢-٣٣
تعدد الزوجات بين التشريع والتعطيل	سهيلة زين العابدين حماد	ذو الحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	١١٧-١٠٨
الصحابة محدثون وفقهاء من خلال بعض كتابات ابن حزم	د. صباح زخني	رجب وشعبان/اكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	١٦٧-١٦٠
في الاجتهاد المعاصر	إلياس يلكا	الحرم وصفر/مارس وأبريل	٥٧٣	٤٣-٣٤
مذاهب وقرق (٢) الخوارج	حاتم أحمد الطيب الشيخ	الحرم وصفر/مارس وأبريل	٥٧٣	٤٧-٤٤
مذاهب وقرق (٣) الخوارج	حاتم أحمد الطيب الشيخ	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	٨٩-٨٦
من البلاغة القرآنية	عبد العزيز بن صالح العسكر	جمادى الأولى والأخرى/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	٥٣-٥٢
نحو تفعيل مؤسساتنا الإسلامية	د. عبد الحليم عويس	رجب وشعبان/اكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٥٥-٤٨
الهداية والضلالة	د. عبدالعزيز الخطابي	رجب وشعبان/اكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٤١-٣٨
هل عقوبة الحدود الإسلامية قاسية؟	د. يو جمعة جنى	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	٣١-٢٤
الأماكن والبلدان :				
أيام في قطر	د. خالد عزب	جمادى الأولى والأخرى/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	٩٧-٩٢
بونه .. الجزائرية	عبد الناصر خلاف	الحرم وصفر/مارس وأبريل	٥٧٣	٩٩-٩٤
البنمارك .. ذكريات ومعالم (الطبعة الأولى)	فتحي عبد الحميد المراغي	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	٩٩-٩٢
البنمارك .. ذكريات ومعالم (الطبعة الثانية والأخيرة)	فتحي عبد الحميد المراغي	جمادى الأولى والأخرى/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	١٠٥-٩٨
رحلة إلى سلطنة عمان	عبد الله بن حمد الحقييل	جمادى الأولى والأخرى/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	٩١-٨٤
عين لندن .. فكرة تراثية تحولت إلى مشروع تجاري	وجدي أبو الريشة	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	٢٣-٢٠
مدينة «الرقعة» السورية	هشام عدرة	الحرم وصفر/مارس وأبريل	٥٧٣	١٠٥-١٠٠
اليابان لأول مرة الشرق وبلاد الشمس المشرقة (١)	عبد الله بن حمد الحقييل	رجب وشعبان/اكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	١٠٧-٩٤
اليابان لأول مرة الشرق وبلاد الشمس المشرقة (٢ والأخيرة)	عبد الله بن حمد الحقييل	ذو الحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	٩٣-٨٠
التراجم والشخصيات :				
أبو العيضاة، تليف العميان والادباء	د. عبدالرزاق حسين	جمادى الأولى والأخرى/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	٤٩-٤٦
أبناء من الخليج العربي (٤) «صالح بن سالم الفيحاني»	عبد الله بن أحمد الشيبات	الحرم وصفر/مارس وأبريل	٥٧٣	٦٧-٦٦
أبناء من الخليج العربي (٥) «سليم عبد الرؤوف»	عبد الله بن أحمد الشيبات	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	١٠٥-١٠٤
أبناء من الخليج العربي (٦) «محمد علي ناصر آل توفيق»	عبد الله بن أحمد الشيبات	جمادى الأولى والأخرى/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	٥١-٥٠
أبناء من الخليج العربي (٧) «دمتي النكير»	عبد الله بن أحمد الشيبات	رجب وشعبان/اكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٦٧-٦٦
أبناء من الخليج العربي (٨) «سلطان سعد القحطاني»	عبد الله بن أحمد الشيبات	ذو الحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	١٠١-١٠٠
أعلام في طريق الحق : الشيخ محمد بن صالح العثيمين	د. عبدالله بن عبد المحسن التركي	الحرم وصفر/مارس وأبريل	٥٧٣	٣٣-٣٠

الموضوع	الكاتب	١٤٢٢هـ - ٢٠٠٩م	ع	ص / ص
الأمير عبدالله الفيصل : السيرة والمسيره	د. أمين ساعاتي	رجب وشعبان / اكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	١٧-١٢
الانصاري خاض غمار الالب محارباً على كل الجبهات	حاتم صانق	رجب وشعبان / اكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	١٤٤-١٤٧
حسين بن قاسم العتيقي حياته وشعره	د. عباد محمد العتيقي	رجب وشعبان / اكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	١٢٠-١٢٣
رحلة في الذاكرة (٥٦) « الدكتور محمد السعدي فرهود »	د. محمد رجب البيومي	الحرم وصفر / مارس وابريل	٥٧٣	١٢٢-١٢٥
رحلة في الذاكرة (٥٧) « المستشرق جاك بيرك »	د. محمد رجب البيومي	جداى الأولى والأخرة / أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	١٢٢-١٣٥
رحلة في الذاكرة (٥٨) « الامام محمد متولي الشعراوي »	د. محمد رجب البيومي	ذو الحجة / فبراير ومارس	٥٧٨	٩٤-٩٧
صلة الشيخ حمد الجاسر بطماء الشريعة الاسلامية	احمد بن مسفر العتيبي	الربيعان / مايو ويونيه	٥٧٤	٦٠-٦٣
عبدالقنوس الانصاري : يتيم أوردنا المنهل	سعيد كامل معوض	رجب وشعبان / اكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	١٤٨-١٤٩
الفنان الفرنسي ايتان دينيه	غازي عيس انعيم	ذو الحجة / فبراير ومارس	٥٧٨	٥٢-٥٧
قراءة في سيرة عبدالله بن حمد العقيل	د. عبدالله البراهيم العسكري	رجب وشعبان / اكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	١١٤-١١٩
من شعراء التراث (٢٥) « حمزة بن عبدالمطلب »	د. عبيد بدوي	الحرم وصفر / مارس وابريل	٥٧٣	١١٨-١١٩
من شعراء التراث (٢٦) « المغيرة بن شعبه »	د. عبيد بدوي	جداى الأولى والأخرة / أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	٧٢-٧٣
وفيات الأعيان : الشاعر الأبي محمود عارف .. في نمة الله	التحرير	الحرم وصفر / مارس وابريل	٥٧٣	٧
وفيات الأعيان : الفلحة القتيبي الدكتور ابراهيم السمراني .. في نمة الله	التحرير	الربيعان / مايو ويونيه	٥٧٤	١٩
ولاً وولفاً للصديق والانيب الراحل عبدالقنوس الانصاري	مسعد سعد الجهني	رجب وشعبان / اكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	١٤٢-١٤٣
تربية وتعليم :				
آداب مجالس العلماء	د. بدر محمد فهد	الربيعان / مايو ويونيه	٥٧٤	٤٢-٤٧
البعد التربوي الاصلاحى فى الدعاء النبوي	مصطفى بو هلال	الربيعان / مايو ويونيه	٥٧٤	٦٤-٧٣
تقنية إثارة الابتكار فى القراءة (١-٢)	د. أنور طاهر رضا	الحرم وصفر / مارس وابريل	٥٧٣	١٢٦-١٣٣
تقنية إثارة الابتكار فى القراءة (٢-٣)	د. أنور طاهر رضا	الربيعان / مايو ويونيه	٥٧٤	١٠٦-١١٥
ثقافة عامة :				
تعريب المصطلحات فى المملكة العربية السعودية (٢-٤)	د. سعد بن هادي القحطاني	الربيعان / مايو ويونيه	٥٧٤	٨٢-٨٥
تعريب المصطلحات فى المملكة العربية السعودية (٣-٤)	د. سعد بن هادي القحطاني	جداى الأولى والأخرة / أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	٦٦-٧١
تعريب المصطلحات فى المملكة العربية السعودية (٤-٤)	د. سعد بن هادي القحطاني	رجب وشعبان / اكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٧٨-٨١
التكنولوجيا وآلية التغيير فى اللجنة العربية	د. محمد صالح العجيلي	ذو الحجة / فبراير ومارس	٥٧٨	١٣٨-١٤٩
جوته والاسلام	ابتهال محمد اليار	الربيعان / مايو ويونيه	٥٧٤	١٣٨-١٤١
مفهوم المال فى الثقافة العربية	د. على القاسمي	الحرم وصفر / مارس وابريل	٥٧٣	٦٨-٧٥

الموضوع	الكاتب	١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م / ٢٠٠٢م	ع	ص / ص
خواتين :				
حوار مع الروائي (إسوار الخراط)	وفيق صفوت مختار	المحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٣	٨٠-٨٣
حوار مع الاستاذ الدكتور (جابر عصفور)	مصطفى فوده	رجب وشعبان/اكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٨٨-٩١
(الجريسي) تجارة بلا حدود	مصطفى محمد مصطفى	المحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٣	٨-١٣
(لينا الكيلاني) القاصّة والروائيّة السوريّة	هشام عدرة	رجب وشعبان/اكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	١٦٨-١٧١
في ضيافة (د. محمد عمارة)	مصطفى محمد مصطفى	جادي الأولي والأخرى/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	١٠٦-١١٧
خواطر اجتماعية :				
أوراق زوجية	أبو عواد	المحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٣	١٥٢-١٥٣
أوراق زوجية	أم عمرو	المحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٣	١٥٢-١٥٣
دراسات تاريخية :				
أمراء الحرم عبر التاريخ (٣)	السيد ضياء محمد عطار	المحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٣	٤٨-٤٩
أمراء الحرم عبر التاريخ (٤)	السيد ضياء محمد عطار	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	١٠٠-١٠٣
أمراء الحرم عبر التاريخ (٥)	السيد ضياء محمد عطار	جادي الأولي والأخرى/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	٧٨-٨١
أمراء الحرم عبر التاريخ (٦)	السيد ضياء محمد عطار	رجب وشعبان/اكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٧٤-٧٧
أمراء الحرم عبر التاريخ (٧)	السيد ضياء محمد عطار	ذو الحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	٣٠-٣٣
الحالة الدينية في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	عبدالله بن ناصر الحديب	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	٤٠-٤١
حقائق عن المسجد الاقصي المبارك	احمد بن مسفر العتيبي	ذو الحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	٣٤-٤١
السياسة والعلاقات الدولية :				
العلاقة الدولية مع دول الخليج والربيعان وأثرها على الأمن الوطني في المملكة العربية السعودية	د. أمين ساعاتي	المحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٣	١٠٦-١١٧
المملكة العربية السعودية ونسطين علاقة التاريخ والصير	التحرير	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	٤-٥
صحافة وإعلام :				
الآثار السلبية والإيجابية للتلفزيون على الاطفال	د. محمد محمود المرسي	شوال ذو القعدة/ديسمبر ويناير	٥٧٧	١٥٢-١٧٤
أزمة الوعي للإسلام في الاعلام الغربي	د. حمدى حسن	شوال ذو القعدة/ديسمبر ويناير	٥٧٧	٧٨-٨٥

الموضوع	الكاتب	١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م	ع	ص / ص
مسك الختام :				
مسك الختام (سمو نفس وتجليات روح)	د. محمد رشاد الريان	الحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٣	١٥٨
مسك الختام (أيام في طيبة)	د. طاهر تونسي	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	١٥٨
مسك الختام (نحن أم هم)	زهير الأنصاري	جمادى الأولى والأخرة/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	١٦٠
مسك الختام (الكلمة أمانة)	علي العمري	رجب وشعبان/أكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	١٧٦
مسك الختام (شاة أشعب وثبب أهبان)	د. محمد عيد الخطراوي	نوالحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	١٦٦-١٦٧
هنا قل :				
مما قل (مغزى الهجرة النبوية)	عبد القدوس الأنصاري	الحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٣	بدون
مما قل (حرب العاشر من رمضان)	عبد القدوس الأنصاري	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	بدون
مما قل (مما قل)	عبد القدوس الأنصاري	جمادى الأولى والأخرة/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	بدون
مما قل (الاعتصامات الداخلية والخارجية في الاسلام)	عبد القدوس الأنصاري	رجب وشعبان/أكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	بدون
مما قل (ليشهدوا منافع لهم)	عبد القدوس الأنصاري	نوالحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	بدون
منهليات :				
منهليات (أما بعد)	السماني كمال الدين	الحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٣	٣
منهليات (أما بعد)	السماني كمال الدين	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	٣
منهليات (الحضارات .. حوار أم تصادم ؟)	السماني كمال الدين	جمادى الأولى والأخرة/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	٣
منهليات (ما بين العدالة المطلقة والظلم المطلق)	نبيه الأنصاري	رجب وشعبان/أكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٣
منهليات (الكل .. ركب موجة الارماح)	المحرر	نوالحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	٣

المنهل

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

مفتاحك الى عالم الثقافة

المنهل

١٧٦

نوالحجة ١٤٢٢ هـ - فبراير/مارس ٢٠٠٢ م



للجائدين
فى الشراء
.. والحريصين
على التميز

شقة فاخرة فى ارقى المواقع المطله على النيل الخالد بالقاهرة

- تطل على النيل مباشرة (كورنيش المعادي) .
- تطل على جزيرة الذهب ولها اطلالة على الاهرامات .
- موقع مثير يجمع بين الراحة والمتعة .
- تشاهد مدينتي القاهرة والجيزة حتى مابعد الاهرامات .

موقع يدرّك ولا يدرّك

- مجهزة تجهيزاً كاملاً : أثاث فاخر ، ديكورات حديثة ،
تكييف هواء كامل ، أجهزة كهربائية .

للمعاينة الاتصال بجوال رقم (٠٠٢٠١٢٢٢١١٨٣٥) عناية المهندس ماهر (القاهرة)


للاستفسار الاتصال هاتف (٦٤٢٢١٢٤) ٠٠٩٦٦٢ جدة

كامري

تفاصيل تؤكد الريادة



شغف الريادة

مجموعة عبداللطيف جميل  تويوتا 